
بسم الله الرحمن الرحیم

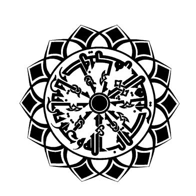


أعلام الهداية

(٣)

سيّدة النساء
«فاطمة الزهراء (عليها السلام)»

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ـ قم



اسم الكتاب: أعلام الهداية (٣) / سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام

المؤلف: لجنة لتأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الموضوع: سيرة وتاريخ

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الخامسة المحقّقة، منقّحة ومزيدة

المطبعة: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٩ هـ

ردمك: ISBN: 978-964-529-346-6

ردمك الدورة: ISBN: 978-964-529-358-9

www.ahl-ul-bayt.org

E-mail: info@ahl-ul-bayt.org

فهرس اجمالي

كلمة المجمع.. ٩

الباب الأوّل :

الفصل الأوّل : فاطمة الزهراء عليها‌السلام في سطور ١٩

الفصل الثّاني : انطباعات عن شخصيّتها عليها‌السلام ٢٣

الفصل الثّالث : مظاهر من شخصيّتها عليها‌السلام ٣٧

الباب الثّاني :

الفصل الأوّل : نشأتها عليها‌السلام ٥٣

الفصل الثّاني : مراحل حياتها عليها‌السلام ٦٩

الفصل الثّالث: الزهراء عليها‌السلام مع أبيها صلى‌الله‌عليه‌وآله.............................. ٧١

الباب الثّالث :

الفصل الأوّل : الزهراء عليها‌السلام بعد أبيها المصطفى صلى‌الله‌عليه‌وآله ١٢٥

الفصل الثّاني : مرض الزهراء واستشهادها عليها‌السلام ١٨٧

الفصل الثّالث : تراث فاطمة الزهراء عليها‌السلام ٢٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المجمع

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفىٰ محمّد (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه.

وقد جعل الله العقل المميِّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ اُخرىٰ.

قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[1].

---

(١) الأنعام (٦): ٧١.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(١).

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣).

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدِّي إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(٤).

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾(٥).

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ ٱللَّهِ﴾(٦).

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم. ولقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال والجمال، ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٧). وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال.

وبعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة

(١) الأحزاب (٣٣): ٤

(٢) البقرة (٢): ٢١٣.

(٣) آل عمران (٣): ١٠١.

(٤) يونس (١٠): ٣٥.

(٥) سبأ (٣٤): ٦.

(٦) القصص (٢٨): ٥٠.

(٧) الذاريات (٥١): ٥٦.

نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الإنسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر أدوات المعرفة ـ ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛كي تتمّ عليه الحجّة ، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الإرشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة .

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدىٰ العصور والقرون ، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيء ،كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه ، لئلّا يكون للناس على الله حجّة ، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق ، ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(١) .

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في :

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه،كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً :

---

(١) الرعد (١٣) : ٧.

﴿ٱللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[١] و ﴿ٱللّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾[٢].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن اُرسلوا إليه، ويتوّقف الإبـلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بـتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانـحراف مـعاً، قـال تعالى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيما ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾[٣] .

٣ ـ تكوين اُمةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة ، وقد صرّحت آيات الذكـر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٤] والتـزكية هـي التـربية بـاتجاه الكـمال اللائـق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عـناصر الكـمال، كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾[٥] .

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها ، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمّىٰ بالعصمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية فـي نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الاُطروحة الربّـانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ

---

(١) الأنعام (٦) : ١٢٤ .
(٢) آل عمران (٣) : ١٧٩ .
(٣) البقرة (٢) : ٢١٣ .
(٤) الجمعة (٦٢): ٢ .
(٥) الأحزاب (٣٣) : ٢١ .

سياسيٍّ يتولّىٰ إدارة شؤون الأُمة علىٰ أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس، وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمة لها بحيث يتنافىٰ مع أهداف الرسالة وأغراضها.

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وحمّله الأمانة الكبرىٰ ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتاجٍ ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء.

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف.

٣ ـ تكوين أُمةٍ مسلمةٍ تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة

قانوناً للحياة.

٤ ـ تأسيس دولة إسلامية وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء.

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته (صلى الله عليه وآله).

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري:

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر.

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كلّ حركاته وسكناته.

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّىٰ هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**».

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الاُمّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ودراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الاُمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الاُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والاُمة جمعاء .

وتبلورت حياة الأئمّة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الاُمة عليهم والتفاعل معهم كأعلامٍ للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على الله وعلى مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذائبين في الشوق إليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود .

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر علىٰ طاعة الله، وتحمّل جفاء أهل الجفاء، حتّىٰ ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالىٰ، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبير .

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكلٍ كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبساتٍ من حياتهم، ولقطاتٍ من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق ، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق .

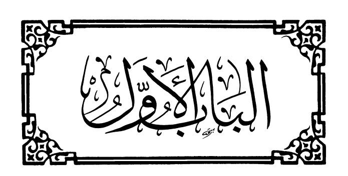
إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء **محمّد بن عبدالله** (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، **محمّد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه** وأنار الأرض بعدله.

ويختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أُم الأئمة المعصومين وزوجة سيّد الوصيّين وابنة سيّد المرسلين تلك المرأة الأُسوة التي تعتبر ملتقى النبوّة والإمامة، وهي المعصوم الثّالث من المعصومين الأربعة عشر الذين اعتبرهم اقرآن أعلاماً للهداية ومناراً للعباد حيث تمثّلت في حياتها كلّ معالم الشريعة، كما سمّاها النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) «**سيّدة نساء العالمين**»، فكانت مثلاً أعلىٰ ، ونبراساً مضيئاً ، يشعُّ إيماناً وطهراً ونقاءً للأجيال.

وفي الختام نتقدّم بالشكر الجزيل للمؤلف فضيلة السيّد منذر الحكيم ومساعده في التأليف الأخ الفاضل عدي الغريباوي في هذا الجزء الخاص بفاطمة الزهراء(عليها السلام)، والأخ الفاضل السيّد يونس عگلة الموسوي الذي اهتمّ بإكمال تخريج وتوثيق النصوص للطبعة الخامسة هذه، والأخ الفاضل حسين الصالحي للتدقيق ولمساهمته في المقابلة مع الأخ الفاضل جواد الطاهر، والأخ العزيز قاسم البغدادي لصف الحروف والإخراج الفني وسائر العاملين الساهرين على تحقيق أهداف الرسالة في المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) .

المعاونية الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الزهراء (عليها السلام) في سطور

الفصل الثّاني :

انطباعات عن شخصيّة الزهراء (عليها السلام)

الفصل الثّالث :

مظاهر من شخصيّة الزهراء (عليها السلام)

الفَصلُ الأوّلُ

الزهراء (عليها السلام) في سطور

* الزهراء فاطمة هي بنت محمّد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله) وخديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

ولدت من أكرم أبوين عرفهما التاريخ البشري، ولم يكن لأحدٍ في تاريخ الإنسانية ما لأبيها من الآثار التي غيّرت وجه التاريخ، ودفعت بالإنسان أشواطاً بعيدةً نحو الأمام في بضع سنوات معدودات، ولم يحدّث التاريخ عن أُمٍّ كأُمّها وقد وهبت كلّ ما لديها لزوجها العظيم ومبدئه الحكيم، مقابل ما أعطاها من هداية ونور.

* في ظلّ هذين الأبوين العظيمين درجت فاطمة البتول، ونشأت في دارٍ يغمرها حنان أبيها الذي حمل عبء النبوّة وتحمّل في سبيله ما تنوء به الجبال، فأنّىٰ اتجّه وأين ذهب كان يرىٰ قريشاً وغلمانها له بالمرصاد، وفاطمة الزهراء (عليها السلام) على صغر سنّها ترى كلّ ذلك، وتساهم مع أُمّها في التخفيف من وقع ذلك في نفسه فكانت تتلوّىٰ من الألم لما كان يلقىٰ من فادح الأذىٰ وتتجرّع ماكان يكابده المسلمون الأوّلون من اضطهاد مرير.

* لقد عاشت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) محن تبليغ الرسالة الإلهية منذ نعومة أظفارها، وحوصرت مع أبيها وأُمّها وسائر بني هاشم في الشِعب ولم تبلغ ـ في بدء الحصار ـ من العمر سوىٰ سنتين.

وما أن رفع الحصار بعد سنوات ثلاث عجاف، حتى واجهت محنة وفاة أُمّها الحنون وعمّ أبيها وهي في بداية عامها السادس، فكانت سلوة أبيها في تحمّل الأعباء ومواجهة الصعوبات والشدائد، تؤنسه في وحدته وتؤازره على ما يلمّ به من طغاة قريش وعتاتهم.

وهاجرت مع ابن عمّها والفواطم، الى المدينة المنوّرة في الثامنة من عمرها الشريف، وبقيت إلى جنب أبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حتى اقترنت بالإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فكوّنت أشرف بيت في الإسلام بعد بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) إذ أصبحت الوعاء الطاهر للسلالة النبوية الطاهرة والكوثر المعطاء لعترة رسول الله(صلى الله عليه وآله) الميامين.

* لقد قدّمت الزهراء (عليها السلام) أروع مثلٍ للزوجة النموذج وللأُمومة العالية، في أحرج لحظات التاريخ الإسلامي الذي كان يريد أن يختطّ طريق الخلود والعلىٰ في بيئةٍ جاهليةٍ وأعرافٍ قَبَلية، ترفض إنسانية المرأة وتعدّ البنت عاراً وشناراً، فكان على مثل الزهراء ـ وهي بنت الرسالة المحمّدية الغرّاء ووليدة النهضة الإلهية الفريدة ـ أن تضرب بسلوكها الفردي والزوجي والاجتماعي مثلاً حقيقياً وعملياً يجسّد مفاهيم الرسالة وقِيَمها تجسيداً واقعيّاً.

وقد أثبتت الزهراء للعالم الإنساني أجمع أنّها الإنسان الكامل الذي استطاع أن يحمل طابع الأُنوثة، فيكون آية إلهية كبرى على قدرة الله البالغة وإبداعه العجيب، إذ أعطى للزهراء فاطمة أوفر حظٍ من العظمة وأوفىٰ نصيب من الجلالة والبهاء.

* أنجبت الزهراء البتول لعليٍّ المرتضىٰ: سيّدي شباب أهل الجنّة وابنيّ رسول الله « الحسن والحسين » الإمامين العظيمين، والسيّدتين الكريمتين

«زينب الكبرىٰ وأُمّ كلثوم» المجاهدتين الصابرتين ، وأسقطت خامس أبنائها « المحسن » بعد وفاة أبيها في أحداث الاعتداء على بيتها بيت الرسالة، فكان أوّل قُربان أهدته هذه الأُمّ المجاهدة الشهيدة بعد أبيها من أجل صيانة رسالة أبيها من التردّي والانحراف .

* لقد شاركت الزهراء (عليها السلام) أباها وبعلها صلوات الله عليهما في أحرج اللحظات وفي أنواع الأزمات، فنصرت الإسلام بجهودها وجهادها وبيانها وتربيتها لأهل بيت الرسالة الذين استودعهم الرسول (صلى الله عليه وآله) مهمة نصرة الإسلام بعد وفاته، فكانت أوّل أهل بيته لحوقاً به بعد جهاد مرير، توزّع في تكوين أُسرة نموذجية واُمومة مثالية ومشاركة فاعلة في سوح الجهاد مع المشركين والقضاء علىٰ خُططِ ومؤامراتِ المنافقين، وتجلّىٰ في تثقيف نساء المسلمين كما تجلّىٰ في الوقوف أمام المنحرفين ، فكانت بحقّ رمزَ الطهر والأُنوثة والأُمومة ورمز الإخلاص والبطولة والجهاد والصبر والشهادة والتضحية والإيثار ، حتى فاقت في كلّ هذه المعاني سادات الأوّلين والآخرين في أقصر فترة زمنية يمكن أن يقطعها الإنسان نحو أعلى قمم الكمال الشاهقة.

فسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيّةً وهي تحمل كلَّ أوسمة الشرف والسمو وعليها حلل الكرامة.

* * *

الفصل الثاني

انطباعات عن شخصيّة الزهراء (عليها السلام)

الزهراء فاطمة ابنة أعظم نبيّ وزوجة أوّل إمام وبطل، وأُم أينع بـزغتين في تاريخ الإمامة، إنّها الوجه المشرق الوضّاء للرسالة الخـاتمة، وإنّـها سـيّدة نساء العالمين، وهي الوعاء الطاهر للسلالة الطـاهرة والمـنبت الطـيّب لعـترة رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.

لقد اقترن تأريخها بتأريخ الرسالة، إذ ولدت قبل الهجرة بثمان سـنوات وتوفّيت بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) بعدّة أشهر.

وقد أشاد النبيّ الكريم بعظيم منزلة الزهـراء الطـاهرة ، وبـما بـلغته مـن موقع ريادي في خطّ الرسالة محتذياً خُطىٰ القرآن الكريم فيما صرّح به من فضائل ومكرمات لأهل بيت الوحي (عليهم السلام) بشكل عام وللزهراء (عليها السلام) بشكل خاص.

الزهراء في آيات الذكر الحكيم

لقد مدح القرآن الكريم أُناساً خلّدهم بآياتٍ تـتلىٰ أنـاء اللـيل وأطـراف النهار، إكباراً لمواقفهم السامية ولتفانيهم بإخلاص في سبيل الحقّ.

وممّن خصّهم الله تعالىٰ بالذكر الجليّ وأشاد بمواقفهم وفضائلهم أهل بيت الرسالة وأهل بيت النبيّ الخاتم (صلى الله عليه وآله)، وقد روى المؤرّخون والمفسّرون نزول آيات كثيرة في مدحهم، كما خصّهم بالثناء في سورٍ شتّىٰ تقريراً لسلامة خطّهم واعترافاً بحُسن سَمتِهم ودعوةً للاقتداء بهم.

١ ـ الزهراء (عليها السلام) كوثر الرسالة :

إنّ الكوثر هو الخير الكثير ، وهو يتناول بظاهره جميع نعم الله على النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله) ولكن ما ذكروه في أسباب النزول بالإضافة إلى الآية الأخيرة من سورة الكوثر يشيران بوضوح إلى أنّ هذا الخير يرتبط بقيم الرسالة كما يرتبط بكثرة النسل ودوامه، وقد عرف العالم كلّه أنّ نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد استمرّ في الأجيال وكثرُ عطاؤه المبارك من خلال ابنته الزهراء البتول كما صرّحت بذلك جملة من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله)[١].

وممّا رواه المفسّرون في هذا الصدد أنّ العاص بن وائل كان يقول لصناديد قريش: إنّ محمّداً أبتر لا ابن له[٢] يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه. وهذا قول ابن عباس وعامة أهل التفسير[٣]، وبالرغم ممّا ذكره الفخر الرازي من اختلاف المفسّرين في معنىٰ الكوثر هنا فإنّه قد

(١) والنصوص الدالة على ذلك هي النصوص التي جاء فيها أنّ الرسول المصطفىٰ (صلى الله عليه وآله) قد جعل الله ذرّيته في صلب عليّ ونسل عليّ الذي يعتبر نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنّما يكون من ذريّة فاطمة (عليها السلام) ومنها النصوص التي ذكرت أنّ المهدي من ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن ولد فاطمة (عليها السلام) .

(٢) وذلك بعد أن مات ابنه عبدالله من خديجة فلم يبق له أحد من الذكور.

(٣) تفسير جوامع الجامع ٣: ٨٥٦ (في تفسير سورة الكوثر)، التفسير الكبير ٣٢: ١٣٢ (في تفسير سورة الكوثر).

صرّح قائلاً : « والقول الثّالث : الكوثر أولاده .. لأنّ هذه السورة إنّما نـزلت ردّاً على من عابه (عليه السلام) بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان (ثم قال): فانظرْ ،كم قُتل من أهل البيت ؟! ثمّ العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني اُمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا (عليهم السلام) والنفس الزكية وأمثالهم»[١].

وتدلّ آية المباهلة ـ الآتي ذكرها[٢] ـ على أنّ الحسن والحسين ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما دلّت النصوص المتضافرة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) على أنّ الله تعالى جعل ذريّة كلّ نبيّ في صلبه وجعل ذريّة الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) في صلب عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)[٣] وروت الصحاح عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال للحسن بن عليّ (عليهما السلام) : **«إنّ ابني هذا سيّد، ولعلّ الله يصلح به بين فئتين عظيمتين»**[٤].

٢ ـ الزهراء (عليها السلام) في سورة الدهر :

حين مرض الحسن والحسين عادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ناسٍ معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر عليّ وفاطمة وفضّة ـ وهي جارية لهما ـ إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهم شيء،

---

(١) التفسير الكبير : ٣٢ / ١٢٤ (تفسير سورة الكوثر).

(٢) سورة آل عمران (٣) : ٦١.

(٣) ذخائر العقبى: ٦٧ (ذكر ان الله جعل ذرية النبيّ صلى الله عليه وآله في صلب عليّ عليه السلام)، كشف الغمّة ١: ٥٤ (باب في معنى العترة)، كتاب الأربعين للماحوزي: ٧٢ ـ ٧٣ (حديث المراد من العترة والذرية)، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٤٣ ـ ٤٤ / ح ٢٦٣٠ ـ ٢٦٣٣، المناقب للخوارزمي (باب فضال أهل البيت عليهم السلام).

(٤) مسند أحمد ٥: ٤٩ (حديث مرة البهزي)، صحيح البخاري ٣: ١٦٩ (كتاب الصلح)، المعجم الصغير للطبراني ١: ٢٧١ (باب اللام من اسمه لؤلؤ)، المستدرك للحاكم ٣: ٧٥ (إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ الحسن عليه السلام ابني).

فاستقرض عليّ (عليه السلام) من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة (عليها السلام) صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلّا الماء وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلمّا أصبحوا أخذ عليّ (رضي الله عنه) بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلمّا أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: ما أشدّ ما يسوؤني ما أرىٰ بكم ! وقام فانطلق معهم فرأىٰ فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل ثم قال: خذها يا محمّد هنّأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة[1].

فالزهراء ممّن شهد الله لها بأنّها من الأبرار الذين يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافوراً، وممّن يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شرّه مستطيراً، وممّن يطعمون الطعام على حبّه، ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وأنّهم إنّما يطعمون لوجه الله لا يريدون منهم جزاءً ولا شكوراً، وأنّهم ممّن صبروا في ذات الله .. وأنّهم ممّن وقاهم الله شرّ ذلك اليوم العبوس القمطرير .. ولقّاهم نضرةً وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً[2].

---

(١) وهي التي عُرفت بسورة الدهر أو الإنسان أو هل أتىٰ .

(٢) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي ١: ١٧٧ ـ ١٨٣ /ح ١٠٤، تفسير فرات الكوفي: ٥١٩ ـ ٥٢٦ / ح٦٧٦، أمالي الصدوق: ٣٢٩ ـ ٣٣٣ / ح ٣٩٠، روضة الواعظين: ١٦٠ ـ ١٦٣ (ذكر إمامة السبطين)، بحار الأنوار ٣: ٢٣٧ ـ ٢٤١ / ح١، تفسير الثعلبي ١٠: ٩٩ ـ ١٠٣ (في تفسير سورة الإنسان)، شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ←

٣ ـ الزهراء (عليها السلام) في آية التطهير :

لقد نزل الوحي بآية التطهير على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في بيت أُم سلمة ـ رضي الله عنها ـ وذلك حينما كان قد ضمّ سبطيه ـ الحسن والحسين ـ وأباهما وأُمّهما إليه ثمّ غشّاهم ونفسه بالكساء تمييزاً لهم عن الآخرين ولا سيّما النساء، فنزلت الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[١] وهم على تلك الحال، ولم يقتصر (صلى الله عليه وآله) على هذا المقدار من توضيح اختصاص الآية بهم حتى أخرج يده من تحت الكساء فألوىٰ بها الى السماء فقال: «**اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**»، يكرّر ذلك وأُم سلمة تسمع وترىٰ ، وقد جاءت لتدخل تحت الكساء وهي تقول: وأنا معكم يا رسول الله، فجذبها من يدها وقال: **لا، إنّك على خير**[٢].

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد نزول الآية كلّما خرج إلىٰ صلاة الفجر يمرّ ببيت فاطمة فيقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾، مستمراً على هذه السيرة ستة أو ثمانية أشهر[٣].

← ٣٩٤ ـ ٣٩٧ / ح١٠٤٢، تفسير القرطبي ١٩: ١٣١ ـ ١٣٤ (في تفسير سورة الإنسان)، المناقب للخوارزمي: ٢٦٧ ـ ٢٧٤ / ح ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

(١) سورة الأحزاب (٣٣) : ٣٣.

(٢) شرح الأخبار للمغربي ١: ٢٠٢ ـ ٢٠٣ / ح١٦٨ وج٢: ٤٩١ / ح٨٧٢، أمالي الطوسي: ٢٦٣ (إنّ عليّاً وفاطمة وابنيهما هم المرادون بآية التطهير)، مسند أحمد ٦: ٣٢٣ (حديث أُم سلمة)، سنن الترمذي ٥: ٣٦٠ ـ ٣٦١ / ح٣٩٦٣، مسند أبي يعلى ١٢: ٤٥٦ / ح٧٠٢٦، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٥٣ / ح٢٦٦٤، تفسير الثعلبي ٨: ٣١١ (في تفسير الآية ٣٣ من سورة الأحزاب). وغيرها من المصادر.

(٣) شرح الأخبار للمغربي ٣: ٤ / ح٩١٥، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي ٢: ١٩ / ح٥٠٨، أمالي الطوسي: ٢٥١ / ح٤٤٧، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥٢٧/ ح٤ (باب ماذكر من فضائل فاطمة عليها السلام)، مسند أحمد ٣: ←

ودلّت الآية المباركة على عصمة أهل البيت من الذنوب فإنّ الرجس هو الذنب، وقد صُدِّرت الآية بأداة الحصر فأفادت أنّ إرادة الله في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها، وهذا هو كُنه العصمة وحقيقتها، وقد أورد النبهاني عن تفسير الطبري هذا المعنى بشكل صريح[1].

٤ ـ مودّة الزهراء (عليها السلام) أجر الرسالة :

وروىٰ جابر (رضي الله عنه) أنّ أعرابياً جاء إلىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمّد! أعرض عليّ الإسلام، فقال: **تشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله**، قال: تسألني عليه أجراً ؟

قال: لا، **إلّا المودّة في القُربىٰ**، قال: قُرباي أو قرباك ؟ قال: **قرباي**، قال: هاتِ أُبايعك، فعلى مَن لا يحبّك ولا يحبّ قرباك لعنه الله، قال (صلى الله عليه وآله) : **آمين**[2].

وفسّر مجاهد هذه المودّة بالاتّباع والتصديق لرسول الله وصلة رحمه[3]،

← ٢٥٩ و ٢٨٥ ما أسند عن أنس)، سنن الترمذي ٥: ٣١ / ح٣٢٥٩، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٥٦ / ح٢٦٧٢، المستدرك للحاكم ٣: ٥٨ (ذكر وقوف النبيّ صلى الله عليه وآله على باب فاطمة عليها السلام لمدة ستة أشهر)، راجع الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء : ١٩٢ قال السيد عبد الحسين شرف الدين : أخرجه الإمام أحمد في المسند وأخرجه الحاكم وصحّحه الترمذي وحسّنه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والطبراني وغيرهم.

(١) راجع الكلمة الغرّاء : ٢٠٠ .

(٢) أمالي المفيد: ١٥١ ـ ١٥٢ / ح٤، الخرائج والجرائح ١: ٨٨ / ح١٤٥، بحار الأنوار ٢٧: ١٠٢ ـ ١٠٣ / ح٦٧، حلية الأولياء ٣: ٢٠١ (ترجمة الإمام الصادق عليه السلام)، تاريخ بغداد ٣: ١٤٢ ـ ١٤٣ (ترجمة محمّد بن عبدالملك الأنصاري رقم ١١٦١)، الصواعق المحرقة: ٢٦١ (ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام).

(٣) تفسير مجاهد ٢: ٥٧٥ (في تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورىٰ)، الدر المنثور للسيوطي ٦: ٦ (في تفسير آية ٢٣ من سورى الشورىٰ).

وفسّرها ابن عباس بحفظه في قرابته[١].

وذكر الزمخشري أنّ هذه الآية لمّا نزلت قيل: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال: «**عليٌّ وفاطمة وابناهما**»[٢]*.

٥ ـ الزهراء (عليها السلام) في آية المباهلة :

أجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم على أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لم يَدْعُ للمباهلة من النساء سوىٰ بضعته الزهراء ومن الأبناء سوىٰ سبطيه وريحانتيه الحسن والحسين (عليهما السلام) ومن الأنفس إلّا أخاه عليّاً (عليه السلام)، الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها لم يشاركهم فيها أحد من العالمين، كما هو بديهيّ لكل من ألمّ بتاريخ المسلمين، وبهم خاصّة نزلت لا بسواهم[٣].

لقد باهل النبيّ (صلى الله عليه وآله) بهم خصومه من أهل نجران فانتصر عليهم ، وأُمّهاتُ المؤمنين كنّ حينئذٍ في حجراته (صلى الله عليه وآله) فلم يدعُ واحدةً منهنّ، ولم يدع صفيّة وهي شقيقة أبيه، ولا أُمّ هاني وهي كريمة عمّه، ولا واحدةً من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والأنصار.

---

(١) كتاب السنة لابن عاصم: ٦٢٠ / ح١٥٠٢، الدر المنثور للسيوطي ٦: ٦ (في تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورىٰ).

(٢) الكشاف للزمخشري ٤: ٢١٩ ـ ٢٢٠ (في تفسير الآية ٢٣ من الشورىٰ).

(*) وقد أورد هذه الآية الشريفة العلّامة الأميني (قدس سره) في الغدير حيث قال: توجد في الكتب والمعاجم أحاديث وكلمات ضافية حول الآية الشريفة لا يسعُنا بسط المقال فيها. ثم عدّ خمسة وأربعين مصدراً. راجع الغدير ٢: ٣٠٦ ـ ٣١٢ (ذكر شعراء القرن الثّاني).

(٣) راجع الكلمة الغرّاء : ١٨١.

كما أ نّه لم يدعُ مع سيديّ شباب أهل الجنة أحداً من أبناء الهاشميين ولا أحداً من أبناء الصحابة، وكذلك لم يدع مع عليّ أحداً من عشيرته الأقربين ولا واحداً من السابقين الأوّلين[1]، وإنّما خرج وعليه مرط من شعر أسود ـ كما يقول الرازي في تفسيره ـ وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها وهو يقول: **إذا أنا دعوت فأمّنوا**، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارىٰ ! إنّي لأرىٰ وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، ولا يبقىٰ على وجه الأرض نصرانيّ الى يوم القيامة.

قال الرازي بعد نقل هذا الحدث: هذه الآية دالّة على أنّ الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وَعَدَ أن يدعو أبناءه فدعا الحسن والحسين (عليهما السلام) فوجب أن يكونا ابنيه[2].

❊ ❊ ❊

(١) قال السيّد عبدالحسين شرف الدين في هامش ١٠٦ ص٧٧ في كتابه النصّ والاجتهاد: وهذا الحديث ذكره المفسّرون والمحدثون وأهل السير والأخبار، وكل من أرّخ حوادث السنة العاشرة للهجرة. (انتهىٰ).
وراجع: تفسير القمي ١: ١٠٤ (في تفسير الآية ٦١ من سورة آل عمران)، تفسير فرات الكوفي: ٨٦ / ح٦٣، شرح الأخبار ٢: ٣٣٩ ـ ٣٤٠ / ح ٦٨٠، الإرشاد للمفيد ١: ١٦٧ ـ ١٨٦ (ذكر استصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته عليهم السلام للمباهلة)، تفسير القرآن للصنعاني ١: ١٢٢ (في تفسير الآية ٦١ من سورة آل عمران)، جامع البيان (تفسير الطبري) ٣: ٤٠٧ (في تفسير الآية ٦١ من سورة آل عمران)، تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٢ (ذكر كتابه صلى الله عليه وآله الى رؤساء القبائل)، البداية والنهاية لابن كثير ٥: ٦٤ ـ ٦٥ (ذكر وفد نجران)، إمتاع الأسماع ١٤: ٦٩ (شهادة الأساقفة للمصطفى صلى الله عليه وآله) .
(٢) التفسير الكبير ٨: ٨٦ (في تفسير الآية ٦١ من سورة آل عمران).

الزهراء (عليها السلام) عند سيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله)

«إنّ الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضىٰ لرضاها»[١].

«فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني ومن أحبّها فقد أحبّني»[٢].

«فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ»[٣].

«فاطمة سيّدة نساء العالمين»[٤].

لقد تواترت هذه الشهادات وأمثالها في كتب الحديث والسيرة عن رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى[٥] ولا يتأثّر بنسب أو سبب، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

إنّ الرسول الذي ذاب في دعوته وكان للناس فيه أُسوة فأصبحت خفقات قلبه ونظرات عينيه ولمسات يديه وخطوات سعيه وإشعاعات

(١) أمالي الصدوق: ٤٦٧ / ح٦٢٢، شرح الأخبار ٣: ٢٩ ـ ٣٠ / ح٩٦٩، أمالي الطوسي: ٤٢٧ / ح٩٥٤، وراجع المستدرك للحاكم ٣: ١٥٤ (ذكر فضائل فاطمة)، ميزان الاعتدال ١: ٥٣٥ / ح٢٠٠٢،كنز العمال ١٢: ١١١ / ح٣٤٢٣٧.

(٢)أمالي الصدوق: ١٦٥ / ح١٦٣، شرح الأخبار ٣: ٣٠ /ح ٩٧٠، أمالي الطوسي: ٢٤ / ح٣٠، الصراط المستقيم للعاملي ٢: ١١٨ (باب ١٠، فصل ما ورد من الصحابة بذلك).

(٣) أمالي الصدوق: ١٧٥ / ح١٧٨،كشف الغمّة ٢: ٩٤ (فصل في فضائل فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٢٨: ٣٨ / ح١، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢١١ (فصل في ذكر البتول عليها السلام).

(٤) أمالي الصدوق: ٤٥/٧٨، المناقب للكوفي ٢: ١٩٧ /ح ٦٧٠، شرح الأخبار ١: ٢٠٧ /ح ١٧٠، مسند أبي داود الطيالسي: ١٩٧ (أحاديث النساء ـ حديث فاطمة عليها السلام)، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥٢٧ (ذكر فضائل فاطمة عليها السلام)، سنن النسائي ٤: ٢٥٢ / ح٧٠٧٨، المستدرك للحاكم ٣: ١٥٦ (كتاب معرفة الصحابة، فضائل أهل البيت).

(٥) إشارة الى الآية ٣ من سورة النجم.

فكره المتجليّة في قوله وفعله وتقريره ـ وهي سنّته ـ بل وجوده كلّه مَعْلَماً من معالم الدين ومصدراً للتشريع ومصباحاً للهداية وسبيلاً للنجاة.

إنّها أوسمة من خاتم الرسل على صدر فاطمة الزهراء، تزداد تألقاً كلّما مرّ الزمن، وكلّما تطوّرت المجتمعات، وكلّما لاحظنا المبدأ الأساس في الإسلام في كلامه (صلى الله عليه وآله) لها: **يا فاطمة اعملي لنفسك فإنّي لا أغني عنكِ من الله شيئاً**»[1].

وفي قوله (صلى الله عليه وآله): «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلّا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد**»[2].

وفي قوله (صلى الله عليه وآله): «**إنّما فاطمة شجنة**[3] **منّي، يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها**[4] **وإنّ الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري**[5] **...**».

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم وقد أخذ بيد فاطمة (عليها السلام) وقال: «**من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد وهي بضعة منّي، وهي قلبي الذي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**»[6].

---

(١) فاطمة الزهراء وتر في غمد: من مقدمة السيد موسى الصدر.

(٢) الصراط المستقيم ١: ١٧٠ (فصل ٥، من الباب ٧)، الأربعين للماحوزي: ٣١٥ (مناقب فاطمة عليها السلام)، تفسير نور الثقلين ٥: ٣٧٧ / ح ٤٤، جامع البيان (تفسير الطبري) ٣: ٣٥٨ (في تفسير الآية ٤٢ من سورة آل عمران)، تفسير الثعلبي ٩: ٣٥٣ (في تفسير الآية ١٢ من سورة التحريم)، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٠٧ ـ ٢٠٨ (ذكر البتول عليها السلام)، تخريج الأحاديث للزيلعي ٤: ٦٧ / ح ١٣٨٦.

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب ١٣: ٢٣٣ (مادة شجن) (الشجنة بالكسر والضم: شعبة من غصن من غصون الشجره. وقيل: الشجنة الصهر). إنتهى كلامه.

(٤) مسند أحمد ٤: ٣٣٢ (حديث قطبة بن مالك)، الآحاد والمثاني للضحاك ٥: ٣٦٢ / ح٢٩٥٦، المستدرك للحاكم ٣: ١٥٤ (ذكر مناقب فاطمة عليها السلام).

(٥) مسند أحمد ٤: ٣٢٣ (حديث قطبة بن مالك)، المستدرك للحاكم ٣: ١٥٨ (ذكر مناقب فاطمة عليها السلام)، كنز العمال ١٢: ١٠٨ / ح ٣٤٢٢٣.

(٦) كشف الغمّة ٢: ٩٤ (فصل في فضائل فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٣: ٥٤ / ح٤٨، الأربعين للماحوزي: ٣١٦ (ذكر مناقب فاطمة ٩ عليها السلام، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢١١ (فصل في ذكر البتول عليها السلام).

وقال (صلى الله عليه وآله): «**فاطمة أعزّ البريّة عليّ**»(١).

ولا يصعب علينا تفسير هذه النصوص بعد معرفة عصمتها (عليها السلام)، بل هذه النصوص هي شاهدة على عصمتها بشهادة أنّها لا تغضب إلّا لله ولا ترضى إلّا له.

الزهراء (عليها السلام) عند الأئمة والصحابة والمؤرّخين

عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): «**لم يولد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من خديجة على فطرة الإسلام إلّا فاطمة**»(٢).

وعن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام): «**والله لقد فطمها الله تبارك وتعالىٰ بالعلم**»(٣).

وعن الإمام أبي عبدالله الصادق (عليه السلام): «**إنّما سُمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها**»(٤).

وعن الصحابي ابن عباس: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالساً ذات يوم وعنده عليّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: «**اللهمّ إنّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ فأحبب من أحبّهم وأبغض من أبغضهم ووالِ من والاهم وعادِ من**

---

(١) أمالي المفيد: ٢٦٠ / ح٢، أمالي الطوسي: ٢٤ / ح٣٠، المحتضر ٢٤٠ / ح٣٢٣، بحار الأنوار ٤٣: ٣٩ / ح٤١.

(٢) الكافي ٨: ٣٤٠ / ح٥٣٦، مختصر بصائر الدرجات: ١٣١ (ذكر زواج عليّ عليه السلام)، بحار الأنوار ١٩: ١١٧ /ح٢.

(٣) الكافي ١: ٤٦٠ / ح٦ (باب مولد فاطمة عليها السلام)، علل الشرائع ١: ١٧٩، باب ١٤٣، ح٤، كشف الغمّة ٢: ٩١ (فصل في فضائل فاطمة عليها السلام)، المحتضر ٢٣٢ / ح٣٠٥، بحار الأنوا ٤٣: ١٣/ح٩ .

(٤) تفسير فرات الكوفي: ٥٨١ / ح٧٤٧، بحار الأنوار ٤٣: ٦٥ / ح٥٨.

عاداهم، وأعن من أعانهم واجعلهم مطهّرين من كلّ رجس معصومين من كلّ ذنب وأيّدهم بروح القدس منك»[١].

وعن أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة أنّها قالت:كانت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢].

وعن اُم المؤمنين عائشة أنّها قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلّا أن يكون الذي ولّدها[٣] وكانت إذا دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قام فقبّلها ورحّب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه، وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبّلته وأخذت بيده وأجلسته في مجلسها، وكان الرسول دائماً يختصّها بسرّه ويرجع إليها في أمره[٤].

وعن الحسن البصري : أنّه ماكان في هذه الاُمة أعبد من فاطمة،كانت تقوم حتى تورّم قدماها[٥].

ودخل عبدالله بن حسن علىٰ عمر بن عبد العزيز وهو حديث السنّ، وله وقرة[٦]، فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضىٰ حوائجه، ثم أخذ عكنة[٧] من عكنه

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٧٤ / ح٧٨٧، بشارة المصطفى: ٢٧٤ / ح٨٩، بحار الأنوار ٤٣: ٢٤ / ح٢٠.

(٢) كشف الغمّة ٢: ١٠٠ (فصل في ذكر فضائل فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٥٥ / ح٤٩.

(٣) ذخائر العقبى: ٤٤ (ذكر ما جاء أنها أصدق لهجةً)، مناقب أهل البيت عليهم السلام للشيرواني: ٢٣٣ (الباب ٢ في فضائل الزهراء)، الاستيعاب ٤: ٨٩٦ (ترجمة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله رقم ٤٠٥٧)، سير أعلام النبلاء ٢: ١٣١ (ترجمة فاطمة عليها السلام رقم ١٨)، سبل الهدىٰ والرشاد ١١: ٤٧ (جماع أبواب بعض فضائل آل الرسول صلى الله عليه وآله، باب ٩).

(٤) أمالي الطوسي: ٤٠٠ / ح٨٩٢، بحار الأنوار ٤٣: ٢٥ / ح٢٢، مسند ابن راهويه ٥: ٨ / ح٢١٠٣، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٣٩٢ / ح٩٢٣٦، السنن الكبرى للبيهقي ٧: ١٠١ (باب ما جاء في قبلة الخد).

(٥) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١١٩ (باب مناقب فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوا ٤٣: ٧٦ / ح٦٢ وص ٨٤ / ح٧.

(٦) والوقار: الحلم والرزانة، وقر يقر وقاراً ووقارة ووقر قرة وتوقر واتقر، لسان العرب ٥: ٢٩٠ (مادة وقر).

(٧) عكن: العكن والأعكان: الأطواء في البطون من السمن. لسان العرب ١٣: ٢٨٨ (مادة عكن).

فغمزها حتىٰ أوجعه وقال له: اذكرها عند الشفاعة.

فلما خرج لامَهُ أهله وقالوا: فعلت هذا بغلام حديث السن، فقال: إنّ الثقة حدّثني حتىٰ كأنّي أسمعه من في رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**إنّما فاطمة بضعة منّي يسرّني ما يسرّها**» وأنا أعلم أنّ فاطمة (عليها السلام) لو كانت حيّة لسرّها ما فعلت بابنها، قالوا: فما معنىٰ غمزك بطنه، وقولك ما قلت؟ قال: إنّه ليس أحد من بني هاشم إلّا وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا[1].

قال ابن الصبّاغ المالكي: ... وهي بنت من أُنزل عليه ﴿**سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ**﴾[2]، ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيّدة بإجماع أهل السداد[3].

ووصفها الحافظ أبو نعيم الإصفهاني بقوله قائلاً: «من ناسكات الأصفياء وصفيّات الأتقياء فاطمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ السيّدة البتول، البضعة الشبيهة بالرسول ...كانت عن الدنيا ومتعتها عازفة، وبغوامض عيوب الدنيا وآفاتها عارفة[4].

وقال عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي: وأكرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة إكراماً عظيماً أكثر مماكان الناس يظنّونه ... حتى خرج بها عن حبّ الآباء للأولاد، فقال لمحضر الخاص والعام مراراً لا مرّة واحدة وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: «**إنّها سيّدة نساء العالمين وإنّها عديلة مريم بنت عمران، وإنّها**

---

(١) الأغاني للإصبهاني ٨: ٣٠١ (ذكر عمر بن عبدالعزيز)، فضل آل البيت عليهم السلام للمقريزي: ٩٩ ـ ١٠٠ (ما جاء في فضل فاطمة عليها السلام) ح١٣٦، الصواعق المحرقة: ٢٣٢ (باب الحثّ على حبّهم).

(٢) الإسراء (١٧): ١.

(٣) الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي: ٢٠٥ (فصل في ذكر البتول عليها السلام).

(٤) حلية الأولياء : ٢ / ٣٩ (ذكر فاطمة الزهراء عليها السلام).

إذا مرّت في الموقف نادىٰ منادٍ من جهة العرش: يا أهل الموقف غضّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمدٍ»، وهذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة ، وكم قال لا مرّة: **«يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها، وإنّها بضعة منّي يريبني ما رابها»**[١].

وقال المؤرّخ المعاصر الدكتور عليّ حسن إبراهيم: وحياة فاطمة هي صفحة فذّة من صفحات التاريخ نلمس فيها ألوان العظمة، فهي ليست كبلقيس أو كليو بطرة استمدّت كلّ منهما عظمتها من عرش كبير وثروة طائلة وجمال نادر، وهي ليست كعائشة نالت شهرتها لما اتصفت به من جرأة جعلتها تقود الجيوش وتتحدّىٰ الرجال، ولكنّا أمام شخصية استطاعت أن تخرج إلىٰ العالم وحولها هالة من الحكمة والجلال، حكمة ليس مرجعها الكتب والفلاسفة والعلماء، وإنّما تجارب الدهر المليء بالتقلّبات والمفاجآت، وجلال ليس مستمداً من ملك أو ثراء وإنّما من صميم النفس ...[٢].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ١٩٣ (فصل في ترجمة عائشة).
(٢) الأسرار الفاطمية لمحمّد فاضل المسعودي: ١٠٢ / ٨ (مقامها عليها السلام عند العلماء والمحدّثين).

الفصل الثالث

مظاهر من شخصيّة الزهراء (عليها السلام)

الحديث عن الزهراء فاطمة يتجاوز الفسحة التي امتدّت بين ساعةٍ أبصرت فيها النور وساعةٍ انطفأت فيها من عينيها لمعة الحياة.

لقد حازت على كمال العقل وجمال الروح وطيب الصفاء وكرم المحتد، وعاشت في جوٍّ شعّت عليه وامتدّت به وعبّرت عنه فكراً وانتاجاً، وغدت خطّاً في الرسالة التي انطلقت ثورةً، فكانت هي ركناً من أركانها التي لا يمكن فهم تاريخ الرسالة من دون فهم تاريخها.

فإنّها ابنة نبيّ هزّ جذور الفكر في الإنسان وقفز به فوق الأجيال، كما أنّها زوجة رجلٍ هو ركنٌ من أركان الحقّ وأُمّ أئمّةٍ هم امتداد لأعظم نبيّ في تاريخ الإنسانيّة.

وقد مثّلت الزهراء (عليها السلام) أشرف ما في المرأة من إنسانية وصيانة وكرامة وقداسة ورعاية وعناية، بالإضافة إلىٰ ماكانت عليه من ذكاء وقّاد وفطنة حادّة وعلم واسع، وكفاها فخراً أنّها تربّت في مدرسة النبوّة وتخرّجت من معهد الرسالة وتلقّت عن أبيها الرسول الأمين (صلّى الله عليه وآله) ما تلقّاه عن ربّ العالمين، وممّا لا شك فيه أنّها تعلّمت في دار أبويها ما لم تتعلّمه طفلة غيرها في مكّة[1].

---

(١) أهل البيت لتوفيق أبو علم : ١١٦، بتصرّف.

لقد سمعت القرآن الكريم من النبيّ المصطفىٰ وسمعته من عليّ المرتضىٰ، وصلّت به وعبدت به ربّها بعد أن وعت أحكامه وفرائضه وسننه وعياً لم يحصل عليه غيرها من ذوي الشرف والمكرمات.

ونشأت الزهراء نشأة إيمان ويقين ، نشأة وفاء وإخلاص وزهد ، وعلمت مع السنين أنّها سليلة شرف لا منازع لها فيه من واحدة من بنات حوّاء، فوثقت بكفاية هذا الشرف الذي لا يُدانىٰ، وشبّت بين انطوائها على نفسها واكتفائها بشرفها في دار الرسالة وعهد الإيمان.

لقد نشأت الزهراء وهي تحذو حذو أبيها في كلّ كمال، حتى قالت عنها عائشة: ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله (صلى الله عليه وآله) من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبّلها ورحّب بها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحّبت به وأخذت بيده فقبّلتها[1].

ومن هنا نعرف السرّ أيضاً في ما صرّحت به عائشة من أنّها لم تجد في الأرض امرأة كانت أحبّ الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من فاطمة ، وقد علّلت هي ذلك بقولها: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلّا أن يكون الذي ولّدها (صلى الله عليه وآله)[2].

وهكذا صارت الزهراء البتول صورة الأُنوثة الكاملة التي يتخشّع بتقديسها المؤمنون.

وإليك بعض مآثرها ومظاهر جمال شخصيّتها وأوسمة كمالاتها:

---

(١) أهل البيت لتوفيق أبو علم : ١١٦ .

(٢) المصدر نفسه .

١ ـ علمها ومعرفتها:

لم تكتفِ الزهراء فاطمة (عليها السلام) بما هـيّأ لهـا بـيت الوحـي مـن مـعارف وعلوم، ولم تقتصر على الاستنارة العلمية التي كانت تُهيّئها لها شموس العلم والمعرفة المحيطة بها من كلّ جانب.

لقد كانت تحاول في لقاءاتها مع أبيها المصطفىٰ (صلى الله عليه وآله) وبعلها المـرتضىٰ باب مدينة علم النبيّ أن تكتسبَ من العلوم ما استطاعت، كما كانت تـرسل ولديها الحسن والحسين إلى مجلس أبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بشكل مستمر ثم تستنطقهما بعد العودة إليها، وهكذا كانت تحرص على طـلب العـلم كـما كانت تحرص على تربية ولديها تربيةً فُضلىٰ، ولقد كانت تبذل ما تكـتسبه من العلوم لسائر نساء المسلمين بالرغم من كثرة واجباتها البيتية.

إنّ هذا الجهد المتواصل لها في طلب العلم ونشره قد جعلها من كبريات رواة الحديث ومن حملة السُنّة المـطهرة، حـتى أصـبح كـتابها الكـبير الذي كانت تعتزّ به أشدّ الاعتزاز يُعرف باسم «مصحف فاطمة» وانتقل إلى أبنائها الأئمة المعصومين يتوارثونه كابراً عن كابر، كما سوف تلاحظه بالتفصيل في باب تراثها سلام الله عليها.

ويكفيك دليلاً على ذلك وعلى سموّ معرفتها وكمال علمها ما جادت به قريحتها من خطبتين خطيرتين[١] ألقتهما بـعد وفـاة أبـيها رسـول الله (صلى الله عليه وآله) إحداهما بحضور كبار الصحابة في مسجد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والاُخرىٰ في

(١) راجع الخطبتين فيما سيأتي من أحداث حياتها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله) من هـذا الكـتاب، الخـطبة الأولى ص ١٤٩ ـ ١٥٩ والخطبة الثانية ص ١٨٩ ـ ١٩٥.

بيتها، وقد تضمّنتا صوراً رائعةً من عمق معارفها وأصالتها وسعة ثقافتها وقوّة منطقها وصدق نبوءاتها فيما ستنتهي إليه الاُمّة بعد انحراف مسيرة القيادة عن المسار النبوي، هذا فضلاً عن رفعة أدبها وعظيم جهادها في ذات الله وفي سبيل الحقّ تعالىٰ.

لقد كانت الزهراء (عليها السلام) من أهل بيتٍ اتقوا الله وعلّمهم الله ـ كما صرح بذلك الذكر الحكيم ـ وهكذا فطمها الله بالعلم فسمّيت فاطمة، وانقطعت عن النظير فسمّيت بالبتول.

٢ ـ مكارم أخلاقها:

كانت فاطمة (عليها السلام): «كريمة الخليقة، شريفة الملكة، نبيلة النفس، جليلة الحس، سريعة الفهم، مرهفة الذهن، جزلة المروءة، غرّاء المكارم، فيّاحة نفّاحة، جريئة الصدر، رابطة الجأش، حميّة الأنف، نائية عن مذاهب العجب، لا يحدّدها باديّ الخيلاء، ولا يثني أعطافها الزهو والكبرياء».

«لقد كانت سبطة الخليقة في سماحة وهوادة إلى رحابة صدر وسعة أناة في وقار وسكينة ورفق ورزانة وركانة ورصانة وعفة وصيانة.

عاشت قبل وفاة أبيها متهلّلة العزة وضّاحة المحيّا حسنة البشر باسمة الثغر، ولم تغرب بسمتها إلّا منذ وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله).

كانت لا يجري لسانها بغير الحقّ ولا تنطق إلّا بالصدق، لا تذكر أحداً بسوء، فلا غيبة ولا نميمة، ولا همز ولا لمز، تحفظ السرّ وتفي بالوعد، وتصدق النصح وتقبل العذر وتتجاوز عن الإساءة، فكثيراً ما أقالت العثرة وتلقّت الإساءة بالحلم والصفح».

«لقد كانت عزوفة عن الشرّ، ميّالة إلى الخير، أمينة، صدوقة في قولها، صادقة في نيّتها ووفائها، وكانت في الذروة العالية من العفاف، طاهرة الذيل عفيفة الطرف، لا يميل بها هواها، إذ هي من آل بيت النبيّ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وكانت إذا ما كلّمت إنساناً أو خطبت في الرجال يكون بينها وبينهم ستر يحجبها عنهم عفةً وصيانة.

ومن عجيب صونها أنّها استقبحت بعد الوفاة ما يصنع بالنساء من أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها»[1].

وكانت الزهراء (عليها السلام) زاهدةً قنوعة، موقنة بأنّ الحرص يفرّق القلب ويشتّت الأمر، مستمسكة بما قاله لها أبوها: **«يا فاطمة! اصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الأبد»**[2] فكانت راضية باليسير من العيش، صابرة على شظف الحياة، قانعة بالقليل من الحلال، راضيةً مرضيّة، لا تطمح إلى ما لغيرها، ولا تستشرف ببصرها إلى ما ليس من حقّها، وما كانت تتنزّل إلى سؤال غير الله تعالىٰ، فهي رمز لغنىٰ النفس ،كما قال أبوها (صلى الله عليه وآله): **«إنّما الغنىٰ غنى النفس»**[3].

إنّها السيّدة البتول التي انقطعت إلى الله تعالى عن دنياها وعزفت عن زخارفها وصدفت عن غرورها وعرفت آفاتها، وصبرت على أداء مسؤولياتها وهي تعاني شظف العيش ولسانها رطب بذكر مولاها.

لقد كان همّ الزهراء الآخرة، فلم تحفل بمباهج الدنيا وهي ترى إعراض أبيها (صلى الله عليه وآله) عن الدنيا وما فيها من متع ولذائذ وشهوات.

وعرف عنها صبرها على البلاء وشكرها عند الرخاء ورضاها بواقع

---

(١) أهل البيت : ١٣٢ ـ ١٣٤.

(٢) انظر كنز العمّال ١٢: ٤٢٢ / ح٣٥٤٧٥.

(٣) مسند أحمد ٢: ٢٤٣ و ٤٤٣ (ما أسند عن أبي هريرة)، كنز العمال ١٥: ٩٠٠ / ح٤٣٥٤٩.

القضاء، وقد روت عن أبيها (صلى الله عليه وآله): «**إنّ الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه**»[١].

٣ ـ جودها وإيثارها :

وكانت على هدي أبيها في جوده وسخائه، وقد سمعته يقول: «**السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار**»[٢]. «**وأنّ الله سبحانه جواد يحبّ الجواد**»[٣] .

وكان الإيثار من شعار المصطفى(صلى الله عليه وآله) حتى قالت بعض زوجاته: ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، وكان يقول (صلى الله عليه وآله) : «**ولو شئنا لشبعنا ولكنّا نؤثر على أنفسنا**»[٤]، وكانت الزهراء خير من يؤثر على نفسه اقتداءً بأبيها حتى عُرف عنها إيثارها بقميص عرسها ليلة زفافها(عليها السلام)، وكفى بما أوردناه في سورة الدهر شاهداً على عظيم إيثارها وجميل سخائها.

وروي عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: صلّىٰ بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلاة العصر، فلمّا انفتل جلس في قبلته والناس حوله، فبينا هم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل* قد تهلّل وأخلق، ولا يكاد يتمالك كبراً

(١) مسكن الفؤاد: ٨٠ (الباب الثّالث)، بحار الأنوار ٧٩: ١٤٢ / ح٢٦ (ولم يورد الرواية بسند عن الزهراء عليها السلام أرسلوها عن الرسول صلى الله عليه وآله)، وأوردها بهذا السند توفيق أبو علم في كتابه أهل البيت: ١٣٧.

(٢) مصباح الشريعة: ٨٣ (باب ٣٧ في السخاء)، مشكاة الأنوار: ٤٠٩ (الباب ٥ من الفصل ٤ في السخاء)، بحار الأنوار ٦٨: ٣٥٥ / ح١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٢٢٢ ـ ٢٢٣ (بيان أحوال العافين)، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٦٧ / ح٤٨٠٤، كنز العمال ٦: ٣٣٨ / ح١٥٩٢٨.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ٦: ٢٥٤ / ح١١ (من باب الشح)، كنز العمال ٦: ٣٤٧ / ح ١٥٩٩٠، كشف الخفاء ١: ٢٨٨ / ح٩٢٢.

(٤) جامع السعادات ٢: ٩١ (باب الإيثار)، فتح الباري ١١: ٢٤٠ (باب كيف كان عيش النبيّ صلى الله عليه وآله).

(*) سمل: سمل الثوب يسمل سمولاً، وأسمل: أخلق، والسمل: الخلق من الثياب. لسان العرب ١١: ٣٤٥ (مادة سمل).

وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يستحثّه الخبر، فقال الشيخ: يا نبيّ الله، أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فأرشني، فقال (صلى الله عليه وآله): **«ما أجد لك شيئاً، ولكنّ الدالّ علىٰ الخير كفاعله، إنطلق إلىٰ منزل من يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يؤثر الله علىٰ نفسه، انطلق إلىٰ حجرة فاطمة»**. ـ وكان بيتها ملاصقاً لبيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه ـ وقال: **«يا بلال قم فقف به علىٰ منزل فاطمة»**.

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلمّا وقف علىٰ باب فاطمة؛ نادىٰ بأعلىٰ صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند ربّ العالمين، فقالت فاطمة: **«عليك السلام، فمن أنت يا هذا؟»** قال: شيخ من العرب أقبلتُ علىٰ أبيكِ السيّد البشير من شقّة، وأنا يا بنت محمّد عاري الجسد جائع الكبد فواسيني يرحمكِ الله.

وكان لفاطمة وعليّ ورسول الله (صلى الله عليه وآله) ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله(صلى الله عليه وآله) ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة إلىٰ جلدكبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين(عليهما السلام)، فقالت: **«خذ أيّها الطارق، فعسىٰ الله أن يختار لك ما هو خير فيه»**، قال الأعرابي: يا بنت محمّد، شكوت إليك الجوع فناولتني جلدكبش ما أصنع به مع ما أجد من السغب؟

قال: فعمدت ـ لمّا سمعت هذا من قوله ـ إلىٰ عقدكان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها ونبذته الى الأعرابي وقالت: **«خذ وبعه، فعسىٰ الله أن يعوّضك به ما هو خير منه»**.

فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلىٰ مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والنبيّ جالس في أصحابه فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمة هذا العقد، فقالت: « بعه ».

قال فبكىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: **«كيف لا يعوّضك به ما هو خير منه ؟! وقد**

أعطتك فاطمة (عليها السلام) بنت محمّد سيّدة بنات آدم».

فقام عمار بن ياسر (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟ قال: «**اشتره يا عمار، فلو اشترك فيه الثقلان ما عذّبهم الله بالنار**»، فقال عمار: بكم العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم وبردة يمانية أستر بها عورتي وأُصلّي بها لربّي ودينار يبلّغني أهلي ..

وكان عمار قد باع سهمه الذي نفله رسول الله(صلى الله عليه وآله) من خيبر ولم يبق منه شيئاً، فقال: لك عشرون ديناراً ومئتا درهم هجرية وبردة يمانية وراحلتي تبلغك أهلك، وشبعك من خبز البرّ واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال يا رجل! وانطلق به عمّار فوفّاه فأضمن له، وعاد الأعرابي إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**أشبعت واكتسيت ؟**» قال الأعرابي: نعم، واستغنيت بأبي أنت وأُمي قال: «**فأجز فاطمة بصنيعها**» فقال الأعرابي: اللهمّ إنّك إله ما استحدثناك ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا علىٰ كلّ الجهات، اللهمّ أعطِ فاطمة ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت.

فأمّن النبيّ علىٰ دعائه وأقبل علىٰ أصحابه، فقال: «**إنّ الله قد أعطىٰ فاطمة في الدنيا ذلك، أنا أبوها ولا أحد من العالمين مثلي، وعليّ بعلها ولولا عليّ؛ لما كان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما سيدا شباب أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة**».

وكان بإزائه مقداد وعمار وسلمان. فقال: « **وأزيدكم ؟** »، قالوا: نعم يا رسول الله، قال (صلى الله عليه وآله): «**أتاني الروح ـ يعني جبرئيل ـ أنّها إذا هي قُبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها: من ربّك؟ فتقول: الله ربّي، فيقولان فمن نبيّك؟ فتقول: أبي، فمن وليّكِ؟ فتقول: هذا القائم علىٰ شفير قبري ألا وأزيدكم من فضلها؟ إنّ الله قد وكّل بها رعيلاً**

من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها في حياتها وعند قبرها وعند موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلىٰ أبيها وعلىٰ بعلها وبنيها، فمن زارني بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنّما زارني، ومن زار عليّ بن أبي طالب فكأنّما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنّما زار عليّاً، ومن زار ذريّتهما فكأنّما زارهما».

فعمد عمار إلىٰ العقد فطيّبه بالمسك، ولفّه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه (سهم) ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا العقد وادفعه لرسول الله وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتىٰ به رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره بقول عمار، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله): **«انطلق الىٰ فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها»**، فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذت فاطمة (عليها السلام) العقد وأعتقت المملوك فضحك الغلام، فقالت: **«ما يضحكك يا غلام؟»**، قال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً وكسىٰ عرياناً وأغنىٰ فقيراً وأعتق عبداً ورجع إلىٰ ربّه[1].

٤ ـ إيمانها وتعبّدها لله :

الإيمان بالله قيمة الإنسان الكامل، والتعبّد لله سُلّم الوصول إلى قمم الكمال ، وقد حاز الأنبياء والأولياء على مقاعد الصدق في دار الكرامة بما اشتملوا عليه من درجات الإيمان وبما اجتهدوا في الدنيا وأخلصوا فيه من العبادة لله سبحانه .

وقد شهد القرآن الكريم ـ كما لاحظنا في سورة الدهر ـ على كمال

(١) بشارة المصطفى: ٢١٧ ـ ٢٢١ / ح ٤٤، بحار الأنوار ٤٣: ٥٦ ـ ٥٨ / ح ٥٠.

إخلاصها وخشيتها لله سبحانه وعظيم إيمانها به وباليوم الآخر، وشهد الرسول (صلى الله عليه وآله) لها قائلاً : « **إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها* ففرغت لطاعة الله**»[١] وأخبر عن عبادتها « **أنّها متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض. ويقول الله عزّوجل لملائكته : يا ملائكتي انظروا إلى أَمتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يديّ ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي ، أُشهدكم أنّي قد أمّنت شيعتها من النار**»[٢].

وقال الحسن بن عليّ (عليهما السلام) : «**رأيت أُمي فاطمة (عليها السلام) قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعةً ساجدةً حتى إتّضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء ، فقلت لها : يا أُمّاه! لمَ لا تدعينَ لنفسكِ كما تدعين لغيرك ؟ فقالت : يا بُنيّ الجار ثم الدار**»[٣].

وكانت تخصّص الساعات الأخيرة من نهار الجمعة للدعاء ،كما كانت لا تنام الليل في العشر الأخير من شهر رمضان المبارك وكانت تحرّض جميع من في بيتها بإحياء الليل بالعبادة والدعاء .

وقال الحسن البصري : ماكان في هذه الأُمّة أعبد من فاطمة ،كانت تقوم حتى تورّمت قدماها[٤]. وكانت تنهج في صلاتها من خوف الله تعالى[٥] .

(*) المشاش جمع مشاشة: وهي رؤوس العظام الليّنة، لسان العرب ٦: ٣٤٧ (مادة مشش).

(١) دلائل الإمامة: ١٣٩ / ح٤٧، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١١٦ (باب مناقب فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٤٦.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧٥ ـ ١٧٦، ١٧٨، فضائل شاذان: ٩ (خبر ابن عبّاس في فضل عليّ عليه السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٧٢ / ح١٣.

(٣) علل الشرائع ١: ١٨١ ـ ١٨٢ / باب ١٤٥، ح١، دلائل الإمامة: ١٥٢ (أخبار في مناقبها عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٨١ ـ ٨٢ / ح٣.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١١٩ (باب مناقب فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٧٦ / ح٦٢ وص٨٤ / ح٧.

(٥) أعلام الدين : ٢٤٧ (ذكر مواعظ متفرقة)، عدّة الداعي: ١٣٩ (في بيان لزوم الخوف والرجاء على كلّ

وهل خرجت فاطمة في حياتهاكلّها عن المحراب ؟ وهل كانت حياتها كلّها إلّا السجود الدائم ؟ فهي في البيت تعبد الله في حسن التبعّل وفي تربية أولادها، وهي في قيامها بالخدمات العامة كانت تطيع الله وتعبده أيضاً، كما أنّها في مواساتها للفقراء كانت تقوم بعبادة الله بنفسها وبأهل بيتها مؤثرة على نفسها.

٥ ـ حنُوّها وشفقتها :

«لمست الزهراء(عليها السلام) من أبيها المصطفىٰ سيّد الأنبياء(صلى الله عليه وآله) حبّه ومودّته وحنوّه وشفقته فكانت نعم البرّة به، أخلصت له في حبّها وولائها وحنوّها ووفائها له ، فآثرته على نفسها ، وكانت تتولّى تدبير بيت أبيها البارّ بها وتقوم بإدارته ، فتنجز ما يصلحه وتبعث فيه الهدوء والراحة له ، وكانت تسارع إلى كلّ ما يرضي أباها رسول الله(صلى الله عليه وآله)، تسكب له الماء ليغتسل وتهيّئ له طعامه وتغسل ثيابه ، فضلاً عن اشتراكها مع النساء في الغزو لحمل الطعام والشراب وسقاية الجرحىٰ ومداواتهم، وفي غزوة اُحد هي التي داوت جراح أبيها حينما رأت أنّ الدم لا ينقطع، فأخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ذرّته على الجرح فاستمسك الدم[1].. وجاءته في حفر الخندق بكسرةٍ من خبز فرفعتها إليه فقال: **ما هذه يا فاطمة ؟** قالت : **من قرص اختبزته لابنيّ جئتك منه بهذه الكسرة ، فقال: «يا بُنيّة: أما إنّها لأوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة**

← حال)، بحار الأنوار ٦٧: ٤٠٠ / ح٧٢.

(١) مجمع البيان ٢: ٤١٧ (في تفسير سورة آل عمران)، بحار الأنوار ٥٩: ١٩٢ / ح٤، صحيح مسلم ٥: ١٧٨ (باب غزوة اُحد)، سنن ابن ماجة ٢: ١١٤٧ ح٣٤٦٤، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢: ٤٨ (ذكر من قتل يوم اُحد من المسلمين).

أيّام[١]»[٢].

وقد استطاعت الزهراء أن تسدّ الفراغ العاطفي الذي كان يعيشه الرسول(صلى الله عليه وآله) بعد أن فقد أبويه في أوّل حياته وفقد زوجته الكريمة خديجة الكبرىٰ في أقسىٰ ظروف الدعوة والجهاد في سبيل الله.

إنّ مواقف الأُمومة التي صدرت عن الزهراء بالنسبة لأبيها وحدّثنا التاريخ عن نتفٍ منها تؤكّد نجاح فاطمة في هذه المحاولة التي أعادت إلى النبيّ ـ الذي كان قد فقد أعزّته ـ المصدر العاطفي الذي ساعده دون شك في تحمّل الأعباء الرسالية الكبرىٰ، ومن هنا قد نفهم السرّ في ما تكرّر على لسانه (صلى الله عليه وآله) من قول: «**فاطمة أُم أبيها**»[٣].

لقد كان يعاملها معاملة الأُم فيقبّل يدها، ويبدأ بزيارتها عند عودته إلى المدينة، كما يودّعها وينطلق من عندها في كلّ رحلاته وغزواته. كان يتزوّد من هذا المنبع الصافي عاطفةً لسفره ورحلته، كما نلاحظ في سيرته كثرة دخوله عليها في حالات تعبه وآلامه، أو حال جوعه، أو حال دخول ضيف عليه، ثم تقابله فاطمة البتول (عليها السلام) كما تقابل الأُم ولدها فترعاه وتحتضنه وتخفّف آلامه كما كانت تخدمه وتطيعه.

٦ ـ جهادها المتواصل:

لقد ولدت فاطمة في حدّة الصراع بين الإسلام والجاهلية، وفتحت عينيها

---

(١) ذخائر العقبىٰ: ٤٧ (ذكر برّها بالنبيّ صلى الله عليه وآله).

(٢) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١٤١ ـ ١٤٢ بتصرّف.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٤٠ (فصل في أقربائه وخدّامه صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٢٢: ١٥٢ / ح ٤، المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٣٩٧ (ذكر سن فاطمة ووفاتها عليها السلام)، تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٥٨ (باب صفة خلقه صلى الله عليه وآله).

والمسلمون في ضراوة الجهاد مع الوثنية الجائرة، وقد فرضت قريش الحصار على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبني هاشم جميعاً، فدخل الرسول مع زوجته المجاهدة وابنته الطاهرة الشِعب، وحاصرتهم ثلاث سنين وأذاقتهم فيها ألوان الحرمان، وهكذا عايشت الزهراء هذا الحصار القاسي وذاقت في طفولتها مرارة الحرمان وشظف العيش دفاعاً عن الحقّ وتضحيةً من أجل المبدأ .

ومرّت سنون الحصار صعبةً ثقيلةً، وخرج رسول الله منها منتصراً، وشاء الله أن يختار خديجة لجواره في ذلك العام ويتوفىٰ أبا طالب عمّ الرسول وحامي الدعوة وناصر الإسلام، ويأخذ الحزن والأسىٰ من قلب الرسول(صلى الله عليه وآله) مأخذه بعد أن فقد أحبّ الناس إلى قلبه وأعزّهم عليه .

وهكذا رزئت فاطمة وهي لم تشبع بعد من حنان الاُمومة ، وشاطرت أباها المأساة والألم بالرغم من أنّها قد فقدت مصدر الحنان الثر. ولقد صبّت قريش كلّ حقدها وأذاها على الرسول بعد وفاة عمّه وحاميه والزهراء ترى باُمّ عينيها ما يقوم به سفهاء قريش وطغاتهم من انتقاص الرسول وإيذائه وهو يريد إخراجهم من الظلمات إلى النور ، وكان الرسول يحاول أن يخفّف عنها عبء الألم ويحثّها على التجلّد قائلاً : **«لا تبكي يا بنيّة ، فإنّ الله مانع أباك وناصره على أعداء دينه ورسالته»**[1]، وهكذا كان يزرع الرسول(صلى الله عليه وآله) في نفس ابنته روحاً جهاديةً عاليةً ويملأ قلبها بالصبر والثقة بالنصر .

وهاجرت الزهراء بعد هجرة أبيها إلى المدينة في جوّ مكّة المرعب مع ابن عمّها عليّ بن أبي طالب الذي كان مستهيناً بكبرياء قريش وغرورها،

(١) السيرة النبويّة لابن هشام ٢: ٢٨٣ (وفاة أبي طالب عليه السلام)، تاريخ الطبري ٢: ٨٠ (ذكر الخبر عن ابتداء أمر النبيّ صلى الله عليه وآله)، تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣٣٨ (في ترجمة أبي طالب عليه السلام، رقم ٨٦١٣).

ليلتحق بالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في «قباء» بعد أن تورّمت قدماه من مواصلة السير على قدميه .

وانتقلت الزهراء إلى بيت زوجها المتواضع في المدينة بعد أن أرسى أبوها خاتم النبيّين دعائم دولته المباركة ، وشاركته في جهاده صابرةً على قساوة الحياة ومصاعب الجهاد في سبيل الله، وهي تحاول أن تقدّم صورة الحياة العائلية الفريدة ، ولعبت الزهراء دوراً بارزاً وشاقاً في نصرة الحقّ والدفاع عن وصيّة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) حينما وقفت موقفاً لا مثيل له إلى جانب الوصيّ المرتضىٰ عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) في أحرج أيّام حياته مؤكّدةً أنّ الجبهة الداخلية في حياة عليّ صامدة لا تشعر بالضعف، ولكنها تترك تقدير الظروف وانتخاب الموقف لقائدها وزوجها الإمام المفترَض الطاعة فهو الذي، يقرّر ويصمّم ويأمر فيطاع .

لقد كانت الزهراء تأتي قبور الشهداء كلّ غداة سبت وتترحم عليهم وتستغفر لهم، وهذه البداية لأعمال الأُسبوع تفصح عن مدى تقدير فاطمة للجهاد وللشهادة، وتعبّر بوضوح عن حياتها العمليّة التي تبدأ بالجهاد وتستند على الجهاد والتضحية إلى درجة الاستشهاد[1] .

(١) من مقدمة كتاب (فاطمة الزهراء وترفي غمد) ، للسيّد موسى الصدر .



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

نشأة الزهراء فاطمة (عليها السلام)

الفصل الثّاني :

مراحل حياة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

الفصل الثّالث :

الزهراء (عليها السلام) مع أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)

الفَصلُ الأوّلُ

نشأة الزهراء فاطمة (عليها السلام)

١ ـ شخصية السيّدة خديجة « أُمّ فاطمة » (عليهما السلام) :

السيّدة خديجة بنت خويلد زوجة النبيّ الأُولىٰ ولدت من أبوين قرشيين من أعرق الأُسر في الجزيرة العربية، وقد اجتمع لها بالإضافة إلىٰ هذا النسب الرفيع، الذكر الطيب والخلق الكريم والصفات الفاضلة، وبلغ من علوّ شأنها أنّها كانت قبل أن تتزوّج بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) تُعرف بالطاهرة وبسيّدة نساء قريش، وهي مع ذلك كانت من أثرياء قريش وأوسعهم جاهاً ومفطورة علىٰ التديّن بعاملي الوراثة والتربية ، فأبوها خويلد هو الذي نازع ملك اليمن (تُبّعاً الآخر) حين أراد أن يحمل الحجر الأسود معه إلىٰ اليمن، فتصدّىٰ له ولم ترهبه قوّته وكثرة أنصاره حرصاً منه علىٰ هذا النسك من مناسك دينه[١] .

وأسد بن عبد العزىٰ ـ جدّ السيّدة خديجة ـ كان من المبرّزين في حلف الفضول الذي تداعت له قبائل من قريش ، فتعاقدوا وتعاهدوا علىٰ أن لا يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها أو غيرهم ممّن دخلها من سائر الناس إلّا قاموا معه وكانوا علىٰ من ظلمه حتىٰ تُرد مظلمته ، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحبّ أنّ لي به حمر النعم ، ولو أُدعىٰ به في**

(١) سيرة الأئمة الإثني عشر ، للسيد هاشم معروف الحسني : ١ / ٤٢ .

الإسلام لأجبت »[١].

وابن عمّها ورقة بن نوفل كان يعكف علىٰ دراسة كتب النصارىٰ واليهود، ويعمل بما يستحسنه منهما، لا لأنه كان يعاشر النصارىٰ واليهود، ولا لأنّ مكّة كانت مقراً لهما، بل لأنّه كان يسخر من عبادة الأصنام والتماثيل ويبحث عن دين يطمئن إليه.

إذن كانت السيّدة خديجة من أُسرة عريقة معروفة بالعلم والديانة، وكان ذووها علىٰ الحنيفيّة دين إبراهيم (عليه السلام) ، وممّن ينتظرون ظهور الدين الحقّ في بلاد الجزيرة العربية[٢].

نشاطها التجاري :

خطب أشراف قريش السيّدة خديجة وقدّموا لها العروض المغرية فلم تستجب لأحد منهم[٣]، وظلّت تعيش بعيدةً عن الرجال ومشاكلهم طيبة النفس مرتاحة الضمير، لأنّ أكثر الخاطبين كانوا يضعون في حساباتهم ثروتها الواسعة حتىٰ بلغت الأربعين من عمرها[٤].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٨٧ (فصل حلف الفضول)، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧ (ذكر حلف الفضول)، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٦: ٣٦٦ ـ ٣٦٧ (باب إعطاء الفيء من جماع أبواب تفريق الخمس)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٢٢٥ (فصل في فضل بني هاشم).

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٦٣: ٣ ـ ٥ (ترجمة ورقة بن نوفل تحت رقم ٧٩٧١)، الإصابة لابن حجر ٦: ٤٧٤ ـ ٤٧٧ (ترجمة رقم ٩١٥١)، السيرة الحلبية ١: ٤٤٥ (فضل في أوّل من أسلم).

(٣) الطبقات الكبرى ١: ١٣١ (ذكر تزويج رسول الله صلى الله عليه وآله)، تاريخ الطبري ٢: ٣٤ (ذكر زواجه صلى الله عليه وآله بخديجة عليها السلام)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٩ ـ ٤٠ (ذكر نكاحه صلى الله عليه وآله).

(٤) ومن هنا يظهر أنّها لم تتزوّج أحداً قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن أن تكون قد تزوجّت بزوجين مشركين وفاقدين لأيّ مكانة بين الناس . راجع مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٣٨(فصل في أقربائه واخدامه صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٢٢: ١٩١ / ح٥.

←

كانت في يدي السيّدة خديجة أموالٌ طائلة، ولكنّها لم تترك هذه الأموال راكدةً ولم ترابِ بها في زمان كان الربا رائجاً ، وإنّما استثمرت هذه الأموال في التجارة واستخدمت رجالاً صالحين لهذا الغرض ، واستطاعت أن تكسب عن طريق التجارة ثروة ضخمة .

ويروي المحدّثون أنّ السيّدة خديجة كانت ترسل في تجارتها إلىٰ الشام جماعة بأجر معيَّن. وقبيل زواجها بالنبيّ أرسلت إليه ليذهب في تجارتها وبذلت له ضعفي ماكانت تبذله لغيره لأنّه كان حديث الناس رجالاً ونساءً في أمانته وصدقه واستقامته ، فوافق علىٰ طلبها بعد أن استشار عمّه أبا طالب، وأرسلت معه غلامها ميسرة لخدمة القافلة ورعايتها ، وكانت الرحلة ناجحة وموفّقة بشكل لم تُوفّق له رحلة قبلها ، وأسرع ميسرة قبل دخول القافلة مشارف مكّة ليخبر خديجة بما جرىٰ وما حدث لمحمّد بن عبدالله في طريقه مع بحيرىٰ الراهب وغيره .

ومن نبوغ السيّدة خديجة وحدّة ذكائها ونظرتها البعيدة أنّها أدركت عظمة شخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وسموّ أخلاقه قبل أن يكلّف برسالة السماء، فاختارته زوجاً لها من دون الرجال والشخصيات المرموقة الذين كانوا قد تقدّموا لخطبتها، بل إنّها هي التي تقدّمت للاقتران به وعرضت نفسها ورغبت في الاقتران به[1]. علىٰ رغم البون الشاسع بين حياتها المادية ذات الثراء العريض وحياته البسيطة .

← وعن ابن عباس أنّ عمرها حين الاقتران بالرسول (صلى الله عليه وآله) كان ٢٨ عاماً، انظر: تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٩٣ (باب خلقه صلى الله عليه وآله ومعرفة خُلقه).

(١) الطبقات الكبرىٰ ٨: ١٦ (ذكر ما بايع رسول الله صلى الله عليه وآله النساء)، الثقات لابن حبان ١: ٤٥ ـ ٤٦ (ذكر خروج النبيّ صلى الله عليه وآله الى الشام)، البداية والنهاية ٢: ٣٥٨ (ذكر تزويجه صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام).

وممّا جاء في تاريخ اليعقوبي عن عمار بن ياسر أنّه قال : أنا أعلم الناس بزواج خديجة بنت خويلد من رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، لقد كنت صديقاً له وإنّا لنمشي يوماً بين الصفا والمروة وإذا بخديجة وأُختها هالة معها، فلمّا رأت رسول الله(صلى الله عليه وآله) جاءتني أُختها هالة وقالت : يا عمار! ما لصاحبك رغبة في خديجة ؟ فقلت لها : والله لا أدري ، فرجعتُ إليه وذكرت ذلك له ، فقال لي : إرجع فواضعها وعدها يوماً نأتيها فيه ، فلمّا كان ذلك اليوم أرسلتْ إلىٰ عمّها عمرو بن أسد ودهنت لحيته وألقت عليه حبراً ، ثم حضر رسول الله(صلى الله عليه وآله) في نفر من أعمامه يتقدّمهم أبو طالب، فخطب في الحاضرين، وتمّ الزواج بينهما.

وأضاف عمّار : أنّها لم تستأجره في تجارتها ولم يكن أجيراً لأحد أبداً[1] .

٢ ـ زواج النبيّ (صلى الله عليه وآله) واقترانه بخديجة :

ولد النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله) في بيت من أرفع بيوت العرب شأناً وأعلاها مجداً وأكثرها عزّةً ومنعةً ، فنمىٰ وترعرع وشبّ ، وشبّت معه آمال الحياة كلّها ، وقد شاء الله أن يربّي محمّداً (صلى الله عليه وآله) ويعدّه ويؤهّله لحمل الرسالة والاضطلاع بتبليغ الأمانة ، فأحاطه برعايةٍ خاصّةٍ رسمت حياته وفق قدر ربّاني متناسب مع ما ينتظره من عظم المسؤولية في حمل آخر رسالة عالمية إلهية .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠ ـ ٢١ (ذكر تزويج خديجة عليها السلام).
وأورد هذا الحديث بلفظ متفاوت ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٨٨ ـ ١٨٩ (باب صفة خلقه ومعرفة خُلقه) وابن كثير في البداية والنهاية ٢: ٣٦١ (ذكر تزويجه صلى الله عليه وآله من خديجة).

وحين بلغ محمّد (صلى الله عليه وآله) الخامسة والعشرين من عمره الشريف كان لابدّ له من الاقتران بامرأة تناسب إنسانيته وتتجاوب مع عظيم أهدافه وترتفع إلىٰ مستوىٰ حياته بما ينتظر لها من جهاد وبذل وصبر ، لقد كان بإمكانه وهو بهذه المؤهّلات الراقية أن يتزوج من أية فتاة أرادها من بني هاشم ، ولكن مشيئة الله شاءت أن يتّجه قلب خديجة نحوه صلوات الله عليه ، ويتعلّق قلبها بشخصه الكريم فيقبل ذلك الطلب ويقترن بخديجة .

لقد أعطت خديجة زوجها حبّاً وهي لا تشعر بأنّها تعطي ، بل تأخذ منه حبّاً فيه كلّ السعادة ، وأعطته ثروة وهي لا تشعر بأنّها تعطي ، بل تأخذ منه هداية تفوق كنوز الأرض، وهو بدوره أعطاها حبّاً وتقديراً رفعاها إلىٰ أعلىٰ مرتبة وهو لا يشعر بأنّه قد أعطاها ، حتّىٰ قال : ما قام الإسلام إلّا بسيف عليّ ومال خديجة ، ولم يتزوّج بغيرها حتىٰ توفّيت لم تحتل أية زوجة أُخرىٰ ما كانت تحتله خديجة من قلبه.

وقصة زواج خديجة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعدّ منعطفاً مهماً ومن النقاط اللامعة في حياتها، فقد كانت متميّزة بروح الاستقلال والاعتماد علىٰ النفس والحرية بشكل واضح ، وكانت تمارس التجارة كأفضل الرجال عقلاً ورشداً، ورفضت الزواج من الأشراف والأثرياء الذين تقدّموا إليها، ورضيت باندفاع للزواج من محمّد (صلى الله عليه وآله) الذي فقد أباه كما كان يفتقد المال، بل تقدّمت بشوق لتقترح علىٰ محمّد (صلى الله عليه وآله) الزواج منها، وأن يكون المهر من أموالها ، فلمّا أراد النبيّ(صلى الله عليه وآله) أن يتزوّج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتىٰ دخل علىٰ عمّ خديجة، فابتدأ أبو طالب بالكلام قائلاً :

«الحمد لربّ هذا البيت الذي جعلنا زرع إبراهيم وذرّية إسماعيل ، وأنزلنا حرماً أمناً

وجعلنا الحكام علىٰ الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثمّ إنّ ابن أخي ـ يعني محمّداً (صلى الله عليه وآله) ـ ممن لا يوزن برجل من قريش إلّا رجح به ، ولا يقاس به رجل إلّا عظم عنه ، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلّاً في المال فإنّ المال رفد جار وظل زائل ، وله في خديجة رغبة ، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها ، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله ، وله وربّ هذا البيت حظّ عظيم ودين شائع ورأي كامل».

ثمّ سكت أبو طالب ، فتكلّم عمّها وتلجلج وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر وكان رجلاً عالماً ، فتداركت خديجة الموقف وزوّجت نفسها من محمّد (صلى الله عليه وآله)[1].

ويروىٰ أنّ خديجة وكّلت ابن عمّها ورقة في أمرها ، فلمّا عاد ورقة إلىٰ منزل خديجة بالبشرىٰ وهو فرح مسرور نظرت إليه فقالت : مرحباً وأهلاً بك يا ابن عمّ ، لعلك قضيت الحاجة ، قال : نعم يا خديجة يهنئك ، وقد رجعت أحكامك إليّ وأنا وكيلك ، وفي غداة غد أُزوجك إن شاء الله تعالىٰ بمحمّد[2].

ولمّا خطب أبو طالب (عليه السلام) الخطبة المعروفة وعقد النكاح قام محمّد (صلى الله عليه وآله) ليذهب مع أبي طالب، فقالت خديجة : إلىٰ بيتك ، فبيتي بيتك وأنا جاريتك[3].

وبعد أن تمّ الزواج المبارك انتقل النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ دار خديجة، تلك الدار التي ظلّت معلماً شاخصاً ولساناً ناطقاً يحكي أحداث الدعوة والجهاد وصبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعاناته .

---

(١) الكافي ٥: ٣٧٤ ـ ٣٧٥ / ح ٩ (باب خطب النكاح)، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠ ـ ٢١ (ذكر تزويج خديجة عليها السلام)، بحار الأنوار ١٦: ١٣ ـ ١٤ / ح ١٣.

(٢) بحار الأنوار ١٦: ٦٥ / ح ١٩ نقلاً عن الأنوار في مولد النبيّ المختار صلى الله عليه وآله لأبي الحسن البكري.

(٣) الخرائج والجرائح ١: ١٤٠ ـ ١٤١ / ح ٢٢٦، بحار الأنوار ١٦: ٤ / ح ٨.

مكانة خديجة (رضي الله عنها) **لدىٰ النبيّ** (صلى الله عليه وآله) :

اجتمع شمل محمّد (صلى الله عليه وآله) وخديجة(رضي الله عنها) وتأسست الأُسرة وبُني البيت الذي يغمره الحبّ والسعادة والحنان والدفء العائلي والانسجام ، فقد كانت أوّل من آمن بدعوة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) من النساء، وبذلت كلّ ماكان بوسعها من أجل أهدافه المقدسة ، وجعلت ثروتها بين يدي الرسول (صلى الله عليه وآله) وقالت : جميع ما أملك بين يديك وفي حكمك ، اصرفه كيف تشاء في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر دينه[1].

وتحمّلت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) عذاب قريش ومقاطعتها وحصارها ، وكان هذا الإخلاص الفريد والإيمان الصادق والحبّ المخلص من خديجة حريّاً أن يقابله رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما يستحقّ من الحبّ والإخلاص والتكريم، وبلغ من حبّه لها وعظيم مكانتها في نفسه الطاهرة أنّ هذا الحبّ والوفاء لم يفارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتىٰ بعد موتها ، ولم تستطع أيّ من زوجاته أن تحتل مكانها في نفسه ، حتى قال الرسول (صلى الله عليه وآله) : «**وخير نساء أُمتي خديجة بنت خويلد ...**»[2].

وعن عائشة أنّها قالت :كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا ذكر خديجة لم يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة فقلت : وهل كانت إلّا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها ؟ قالت : فغضب حتىٰ اهتز مقدّم شعره وقال : « **والله ما أخلف لي خيراً منها ، لقد آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدّقتني إذ كذّبني الناس وأنفقتني مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد**

(١) راجع شرح الأخبار ٣: ١٦ ـ ١٧ (باب فضل خديجة عليها السلام).

(٢) تذكرة الخواص ٢: ٣٠٧ (فصل في فضل خديجة عليها السلام)، صحيح مسلم ٧: ١٣٢ (كتاب الفضائل، باب فضائل خديجة)، سنن الترمذي ٥: ٣٦٧ / ح ٣٩٨٠.

النساء ». قالت : فقلت في نفسي : والله لا أذكرها بسوء أبداً[(١)].

وفي رواية : أنّ جبرئيل (عليه السلام) أتىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال : « **يا محمّد! هذه خديجة قد أتتك فاقرأها السلام من ربّها ، وبشّرها ببيت في الجنة من قصب، لاصخب فيه ولا نصب** »[(٢)].

وكان (صلى الله عليه وآله) يحترم صديقاتها إكراماً وتقديراً لها،كما جاء عن أنس أنّ النبّي (صلى الله عليه وآله)كان إذا أُتي بهدية قال : «**إذهبوا إلىٰ بيت فلانة فإنّهاكانت صديقة لخديجة ، إنّهاكانت تحّبها**»[(٣)].

وروي عنه (صلى الله عليه وآله) أنّه كان إذا ذبح الشاة يقول : «**أرسلوا إلىٰ أصدقاء خديجة**»[(٤)]، فتسأله عائشة في ذلك فيقول : «**إنّي لأُحب حبيبها**»[(٥)].

إنّ خديجة الكُبرىٰ لَتستحق كلّ هذا التقدير والاحترام من رسول الله(صلى الله عليه وآله) بعد أن بلغت المقام السامي والدرجة العالية عند الله حتىٰ حباها ربّ العالمين بالدرجة الرفيعة في الجنة، وقد أوضح رسول الله مكانتها في الجنة بقوله (صلى الله عليه وآله) : «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت**

---

(١) تذكرة الخواص ٢: ٣٠٨ ـ ٣٠٩، مسند أحمد ٦: ١١٨ (ما أسند عن عائشة)، الاستيعاب ٤: ١٨٢٣ ـ ١٨٢٤ (ترجمة رقم ٣٣١١)، الإصابة لابن حجر ٨: ١٠٣ الترجمة رقم ١١٠٩٢).

(٢) تذكرة الخواص ٢: ٣٠٧ (فصل في فضل خديجة)،كشف الغمّة ٢: ١٣٠ (فصل في مناقب خديجة عليها السلام)، بحار الأنوار ١٦: ٨ / ح١٢، مسند أحمد ٢: ٢٣١ (ما أسند عن أبي هريرة)، صحيح مسلم ٧: ١٣٣ (كتاب الفضائل باب فضائل خديجة)، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥٢٩ / ح١ (من باب ما جاء في فضل خديجة)، المعجم الكبير للطبراني ٢٣: ٩ (باب مناقب خديجة عليها السلام).

(٣) الآحاد والمثاني للضحاك ٥: ٣٨٧ / ح٣٠٠٣، المعجم الكبير للطبراني ٢٣: ١٢ (باب مناقب خديجة)، الاستيعاب ٤: ١٨١١ (ترجمة رقم ٣٢٩٥)، عيون الأثر لابن سيّد الناس ٢: ٤٢٥ (ذكر جمل من أخلاقه صلى الله عليه وآله)، سبل الهدىٰ والرشاد ١١: ١٥٨ (جماع أبواب أزواجه صلى الله عليه وآله، باب ٢).

(٤) صحيح مسلم ٧: ١٣٤ (كتاب الفضائل، باب فضائل خديجة)، صحيح ابن حبان ١٥: ٤٦٧ (كتاب مناقب الصحابة، مناقب خديجة)، الجامع الصغير ٢: ٣٣٤ / ح٦٦٨٨،كنز العمّال ٧: ١٣٠ / ح١٨٣٣٩.

(٥) الإصابة لابن حجر ٨: ١٠٣ (ترجمة رقم ١١٠٩٢).

محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم إمرأة فرعون»[١].

وكانت السيّدة خديجة تؤازره علىٰ أمره في تبليغ الدعوة، فخفّف الله عن رسوله (صلى الله عليه وآله) بمؤازرتها، فكانت تسرّه وتروّح عنه عندما كان يجد قسوة وغلظة أو ما يكره من ردّ وتكذيب من قريش فيحزن فإذا رجع إلىٰ داره هوّنت عليه معاناته وبثّت فيه النشاط كي لا يشعر بالتعب، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يسكن إليها ويشاورها في المهم من اُموره[٢].

٣ ـ الأمر الإلهي في خلق فاطمة (عليها السلام):

لقد هيّأ الله سبحانه وتعالىٰ البيئة الصالحة لتكوين شخصية الصّديقة الطاهرة فاطمة الزهراء(عليها السلام) التي قدّر لها أن تكون ملتقىٰ النبوّة والإمامة الراشدة الضامنة لسلامة المسيرة الرسالية الخاتمة من خلال ذرّيتها الطاهرة من كل زيغ وشين .

والروايات تحدثنا عن مزيد من الاهتمام الربّاني والعناية الإلهية في تكوين وخلق الزهراء البتول، وقد أشار المصطفىٰ(صلى الله عليه وآله) إلىٰ هذه الحقيقة في مواطن عديدة .

فقد روي أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) بينما كان جالساً بالأبطح إذ هبط عليه جبرئيل(عليه السلام) فناداه : « **يا محمّد! العليّ الأعلىٰ يقرئك السلام ، وهو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً** » فبعث عماراً بن ياسر إلىٰ خديجة ليخبرها بالأمر

---

(١) ذخائر العقبى: ٤٢ (ما جاء في سيادة فاطمة(عليها السلام))، بحار الأنوار ٨: ١٧٨ / ح١٣٣ وج١٣: ١٦٢ / ح٣، مسند أحمد ١: ٢٩٣ (ما أسند عن ابن عبّاس)، فضائل الصحابة للنسائي: ٧٤ (مناقب آسية بنت مزاحم).

(٢) بحار الأنوار ١٦: ١٠ ـ ١١.

الإلهي. وأقام النبيّ (صلى الله عليه وآله) أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، فلمّا كان تمام الأربعين هبط جبرئيل (عليه السلام) فقال : « **يا محمّد! العليّ الأعلىٰ يقرئك السلام ، وهو يأمرك أن تتأهّب لتحيته وتحفته** » . فبينما النبيّ (صلى الله عليه وآله) كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس ، فوضعه بين يدي النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأقبل جبرئيل (عليه السلام) وقال: « **يا محمّد! يأمرك ربّك أن تجعل الليلة إفطارك علىٰ هذا الطعام** ». فأكل النبيّ (صلى الله عليه وآله) شبعاً وشرب من الماء ريّاً ، ثم قام ليصلي فأقبل عليه جبرئيل وقال : « **الصلاة محرمة**[1] **عليك في وقتك حتىٰ تأتي منزل خديجة، فإنّ الله ـ عزّوجلّ ـ آلىٰ علىٰ نفسه أن يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرية طيبة** » . فوثب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلىٰ منزل خديجة رضي الله عنها .

قالت خديجة رضي الله عنها : وكنت قد ألفت الوحدة ، فكان إذا جنّني الليل غطيت رأسي ، وأسجفت ستري وغلقت بابي ، وصلّيت وردي ، وأطفأت مصباحي ، وآويت إلىٰ فراشي ، فلمّا كان تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمنتبهة ، إذ جاء النبيّ فقرع الباب فناديت : « من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلّا محمّد؟ .. قالت خديجة : فنادىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه : « **افتحي يا خديجة ، فإنّي محمّد** » وفتحت الباب ودخل النبيّ المنزل ، فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء ما تباعد عنّي النبيّ (صلى الله عليه وآله) حتىٰ أحسست بثقل فاطمة في بطني[2].

---

(١) قد يكون المراد هو الصلاة النافلة، فإنّه كان يقوم الليالي كما مرّ .

(٢) العُدد القوية: ٢٢٠ ـ ٢٢٢ / ح ١٤، بحار الأنوار ١٦: ٧٨ ـ ٨٠ / ح ٢٠ وروىٰ هذا المضمون الشيخ الصدوق في الأمالي: ٥٤٥ ـ ٥٤٦ / ح٢٨ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٥: ٢٩٣ (ترجمة أحمد بن محمّد البلخي رقم ٢٧٩٧)، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ١٣١ / ح٣٦٩.

٤ ـ اُنس خديجة بفاطمة (عليها السلام):

لمّا تزوّجت خديجة بنت خويلد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هجرها نسوة مكّة وكنّ لا يكلّمنها ولا يدخلن عليها، فلمّا حملت بالزهراء فاطمة (عليها السلام) كانت إذا خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من منزلها تكلّمها فاطمة الزهراء في بطنها من ظلمة الأحشاء، وتحدّثها وتؤانسها، فدخل يوماً رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال لها: «**يا خديجة! من تكلّمين؟** قالت: يا رسول الله إنّ الجنين الذي أنا حامل به إذا أنا خلوت به في منزلي كلّمني وحدّثني من ظلمة الأحشاء، فتبسّم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: «**يا خديجة! هذا أخي جبرئيل(عليه السلام) يخبرني أنّها ابنتي، وأنّها النسمة الطاهرة المطهّرة، وأنّ الله تعالىٰ أمرني أن اُسمّيها «فاطمة» وسيجعل الله تعالىٰ من ذرّيتها أئمة يهتدي بهم المؤمنون**»[1].

وروي أنّه لمّا سأل الكفار رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه يريهم انشقاق القمر ـ وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر ـ قالت خديجة: واخيبة من كذّب محمّداً وهو خير رسول ونبيّ، فنادت فاطمة من بطنها: يا اُمّاه! لا تحزني ولا ترهبي فإنّ الله مع أبي[2].

إنّ خديجة التي وقفت مع رسول الله في أيام محنته الاُولىٰ وتعرّضت لهجران النساء عوّضها الله علىٰ صبرها وبذلها الغالي والنفيس من أجل نشر الدعوة الإسلامية كما عوّضها بالبشرىٰ بحملها بهذه البنت التي سيكون لها ولذرّيتها شأن عظيم.

---

(١) الثاقب في المناقب: ٢٨٥ / ح ٢٤٤. ورویٰ هذا الحديث بتفاوت يسير باللفظ الشيخ الصدوق في الأمالي: ٦٩٠ ـ ٦٩١ / ح ٩٤٧ والفتّال النيسابوري في روضة الواعظين: ١٤٣ (مجلس في ذكر مولد سيّدة النساء(عليها السلام))، والراوندي في الخرائج والجرائح ٢: ٥٢٤ / ح ١.

(٢) الروض الفائق: ٢٥٥ (في تكلّمها(عليها السلام) في بطن اُمها).

٥ ـ فاطمة الوليدة :

لمّا انقضت أيام الحمل واقترب موعد الولادة وخديجة لم تزل تأنس بجنينها وتعيش الأمل علىٰ الفرحة بالولادة، حضرتها الولادة فأرسلت إلىٰ نساء قريش ونساء بني هاشم أن يجئن ويلين منها ما تلي النساء من النساء في مثل هذا الظرف الخاص، فأرسلن إليها : عصيتنا ولم تقبلي قولنا ، وتزوّجت محمّداً يتيم أبي طالب ، فقيراً لا مال له ، فلسنا نجيء ولا نلي من أمركِ شيئاً ، فاغتمّت خديجة لذلك، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنّهن من نساء بني هاشم ، ففزعت منهنّ ، فقالت إحداهن : لا تحزني يا خديجة ، فإنّا رسل ربّكِ إليكِ ، ونحن أخواتك ، أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة ، وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثم اُخت موسىٰ بن عمران ، بعثنا الله تعالىٰ إليكِ لنلي من أمركِ ما تلي النساء من النساء فجلست واحدة عن يمينها والأُخرىٰ عن يسارها والثالثة من بين يديها والرابعة من خلفها ، فوضعت فاطمة طاهرة مطهرة ، فلمّا سقطت إلىٰ الارض أشرق منها نور حتىٰ دخل بيوتات مكّة، فتناولتها المرأة التي بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين فلفّتها بواحدة وقنعتها بالثانية ، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة (عليها السلام) بالشهادتين ثم سلّمت عليهنّ وسمّت كلّ واحدة منهن باسمها ، وأقبلن يضحكن إليها ، وقالت النسوة : خذيها يا خديجة طاهرة مطهّرة زكية ميمونة ،بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها وهي فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها فدرّ عليها[1].

(١) أمالي الصدوق: ٦٩٠ ـ ٦٩٢ / ح٩٤٧، دلائل الإمامة: ٧٦ ـ ٧٨ / ح١٧، العُدد القوية: ٢٢٢ ـ ٢٢٤ / ح١٥، المحتضر لابن سليمان الحلّي: ٥٦ ـ ٥٨ / ح٧٦، بحار الأنوار ٤٣: ٢ ـ ٣ / ح١.

وكانت السيّدة خديجة حين تلد تدفع مولودها لمن يرضعه، ولكنّها لمّا ولدت فاطمة(عليها السلام) لم يرضعها أحدٌ غير خديجة[١].

٦ ـ تاريخ الولادة :

اختلف المؤرّخون في تاريخ ولادتها (عليها السلام) إلّا أنّ المشهور بين مؤرّخي الإمامية أنّه كان في يوم الجمعة في العشرين من شهر جمادى الآخرة في السنة الخامسة من البعثة[٢]، بينما قال غيرهم : إنّها ولدت قبل البعثة بخمس سنين[٣].

روىٰ أبو بصير عن الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق(عليهما السلام) أنّه قال: **« ولدت فاطمة في جمادى الآخرة يوم العشرين سنة خمس وأربعين من مولد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، فأقامت بمكّة ثمان سنين وبالمدينة عشر سنين ، وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً ، وقُبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة»**[٤].

ومن أسمائها : **الصدّيقة** وهي الكثيرة التصديق، فإنّها قد كانت سلام الله عليها مصدِّقة لأبيها صادقة في أقوالها صدوقة في أفعالها ووفائها ، فهي الصدّيقة الكبرىٰ، وعلى معرفتها دارت القرون كما ورد عن حفيدها

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٢٨ (باب ذكر بناته وبنيه).

(٢) الكافي ١: ٤٥٨ (باب مولد الزهراء(عليها السلام))، تاريخ الأئمة المعصومين (المجموعة): ٦، دلائل الإمامة: ٧٩ / ح١٨، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٢ (باب مناقب الزهراء(عليها السلام))، كشف الغمّة ٢: ٧٦ (باب في فضائل فاطمة(عليها السلام))، بحار الأنوار ٤٣: ٧ / ح٨.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ٨: ١٩ (ذكر بنات رسول الله(صلى الله عليه وآله))، الاستيعاب ٤: ١٨٩٣ (ترجمة رقم ٤٠٥٧)، نظم درر السمطين: ١٧٥ (ذكر ولادة فاطمة(عليها السلام))، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٠٥ (فصل في ذكر البتول).

(٤) دلائل الإمامة: ٧٩/ ح١٨، بحار الأنوار ٤٣: ٩ / ح١٦.

الصادق(عليه السلام)[١].

والمباركة باعتبار الخير الكثير الذي يأتي من قِبَلِها، وقد وصفها القرآن الكريم بالكوثر باعتبار أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد انقطع نسله إلّا منها، فهي أُمّ الأئمة الأطهار وأُمّ الذريّة الطاهرة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكثرة الذرّية ـ التي دافعت عن رسالة محمّد (صلى الله عليه وآله) وتحمّلت أعباء الوقوف أمام الظالمين والمنحرفين عنها ـ هي الخير الكثير أو أهمّ مصاديقه فهي عطيّة الله لرسوله المصطفىٰ كما نصّت سورة الكوثر على هذا العطاء الإلهي الخالد الخاص برسوله(صلى الله عليه وآله).

وعن سائر أسمائها قال ابن عباس أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) قال : «**ابنتي فاطمة حوراء آدمية ، لم تحض ولم تطمث ، وإنّما سمّاها فاطمة لأنّ الله فطمها ومحبيها عن النار**»[٢].

وعنه (صلى الله عليه وآله) : «**أن فاطمة حوراء إنسيّة،كلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتُها**»[٣].

وقالت أُمّ أنس بن مالك في وصف شمائلها:كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر، أو الشمس كفر غماماً إذا خرج من السحاب، بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) شبهاً[٤].

ولقّبت **بالطاهرة** لطهارتها من كلّ دنس وكلّ رفث، فأنّها ما رأت قطّ يوماً حمرةً ولا نفاساً[٥]كما جاء عن الإمام الباقر(عليه السلام) ذلك، وقد شهد القرآن

(١) أمالي الطوسي: ٦٨٨ / ح١٣٩٩، بحار الأنوار ٤٣: ١٠٥ / ح١٩ وراجع الدر النظيم للعاملي: ٤٥٥ (فصل في أسمائهاعليها السلام)، والخصائص الفاطمية للكجوري ١: ٢٧ ـ ٣١ (في ديباجته).

(٢) الدر النظيم للعاملي: ٤٥٦ (في أسمائهاعليها السلام)، العُدد القوية: ٢٢٧ / ح٢٢،كنز العمال ١٢: ١٠٩ / ح٣٤٢٢٦، ينابيع المودّة للقندوزي ٢: ٤٥٠ / ح٢٤٣. وراجع الصواعق لابن حجر: ١٦٠ (الفصل ١ من الباب ١١).

(٣) أمالي الصدوق: ٥٤٦ / ٧٢٨، روضة الواعظين: ١٤٩ (مجلس في ذكر مناقب فاطمةعليها السلام)، تاريخ بغداد ٥: ٢٩٣ /ترجمة رقم ٢٧٩٧ (ترجمة أحمد بن محمّد البلخي).

(٤) مستدرك الحاكم ٣: ١٦١ (ذكر سنة ولادة فاطمةعليها السلام)، نظم درر السمطين: ١٨٠ (ذكر ولادتهاعليها السلام).

(٥) بحار الأنوار ٤٣: ١٩ / ح٢٠.

الكــــريم ـ سـلفاً ـ بـطهارتها مـن الدنس فـي آيـة التـطهير المـباركة (الأحزاب:٣٣).

وكانت سلام الله عليها **راضية** بـما قـدّر لهـا مـن مـرارة الدنـيا ومشـاقّها ومصائبها وثوابها، **مرضية** عند ربها كما أخبر بذلك القرآن الكريم عنها فـي سورة الدهر، إذ ارتضى ربّها سعيها وآمنها من الفـزع الأكـبر ، وهـي مـمّن ﴿رَضِيَ ٱللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[١] وخشـي ربّـه دون شك كـما نـلاحظ ذلك في سيرتها وتاريخ حياتها.

والمحدَّثة هي التي كانت تحدّثها الملائكة ،كما حدّثت الملائكة مـريم ابنة عمران وأُمّ موسىٰ وسارة امرأة إبـراهـيم إذ بشّـرتها بـإسحاق ومـن وراء إسحاق يعقوب[٢] .

وكنّاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) **بأُمّ أبيها** تعظيماً لشأنها، إذ لم يكن أحد يوازيـها في محبّته لها ورفعة مكانتها لديه ، وكان يعاملها معاملة الولد لأُمّه كما كانت تعامله معاملة الأُم لولدها، إذ كانت تحتضنه وتضمّد جـروحه وتـخفّف مـن آلامه .

كما كُنيت **بأُمّ الأ ئمة**، إذ أخبر الرسول المـصطفىٰ(صلى الله عليه وآله) أنّ الأئـمة مـن ولدها وأنّ المهديّ المنتظر من نسلها[٣] .

* * *

(١) سورة المائدة (٥) : ١١٩ .

(٢) انظر الآيات التالية: سورة آل عمران(٣): ٤٢ ، سورة القصص (٢٨): ٧ ، سورة هود(١١): ٧١ .

(٣) شرح الأخبار للمغربي ٣: ٣٦٣ / ح١٢٣٣، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٤٧٥ (ذكر ترجمة زيد بـن عـليّ بـن الحسين(عليه السلام) رقم ٢٣٤٣)، سبل الهدىٰ والرشاد ١٠: ١٧٣ (باب ٣٧ في إخباره(صلى الله عليه وآله) بخروج الدجال)، كنز العمال ١٢: ١٠٥ / ح٣٤٢٠٨. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

الفصل الثاني

مراحل حياة الزهراء(عليها السلام)

لقد عاشت الزهراء فاطمة(عليها السلام) في ظلّ أبـيها رسـول الله(صلى الله عليه وآله) مـع اُ مّـها خديجة الكبرىٰ(عليها السلام) ثمّ انفردت بأبيها حتّى هجرته(صلى الله عليه وآله) الى يثرب إذكان يرعاها وترعاه بحنان الاُمومة، ثم اقترنت بابن عمّها عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) فأصبحت تستظلّ بظلال أبيها مـحمّد(صلى الله عليه وآله) وفـي كـنف دولتـه دولة الإسـلام الفتية، تسعى جاهدة لأداء مهامّها الرساليّة والعـائلية جـنباً إلى جـنب، حـتى غربت شمس النبوّة العظمىٰ بـوفاة الرسـول الأعـظم(صلى الله عليه وآله)، وحـدثت الطـامّة الكبرى في إفلات زمام الزعامة السياسية للدولة الإسلامية الفتية من يد الإمام عليّ ابن أبي طالب(عليه السلام) ، فكانت العضد الوحيد للإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) حيث كان هو المسؤول عن معالجة الموقف الحرج معالجة رسالية بعيدة عن التحيّز القبلي أو العاطفي.

لقد عاشت الزهراء(عليها السلام) في كنف زوجها الإمام عليّ(عليه السلام) بعد أبيها(صلى الله عليه وآله) فترة قصيرة جداً وتجرّعت من الغصص والمحن لغربة الرسالة الإلهيّة مـا لم يعلم مدى مرارتها إلّا الله سبحانه وتعالى بارئ النفوس وعلّام الغيوب.

ومن هنا ارتأينا أن نقسّم دراستنا هذه لمراحل حياتهاكما يلي:

المرحلة الاُولىٰ: مرحلة الطفولة في ظل أبويها .

المرحلة الثانية: حياتها بعد وفاة خديجة(عليها السلام) مع أبيها(صلى الله عليه وآله) حتى زواجها.

المرحلة الثالثة: حياتها منذ اقترانها بعليّ(عليه السلام) حتى رحيل المصطفىٰ(صلى الله عليه وآله).

المرحلة الرابعة: حياتها بعد رحيل الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) حتى مرضها.

المرحلة الخامسة: حياتها في فترة مرضها حتى استشهادها(عليها السلام).

وسوف نتابع دراسة المراحل الثلاث الأُولىٰ في الفصل الثّالث من هذا الباب.

ونخصّص الفصل الأوّل من الباب الثّالث لدراسة المرحلة الرابعة من حياتها(عليها السلام).

بينما نخصّص الفصل الثّاني منه لدراسة المرحلة الخامسة من حياتها سلام الله عليها.

الفصل الثالث

الزهراء(عليها السلام) مع أبيها رسول الله(صلى الله عليه وآله)

فاطمة(عليها السلام) في مرحلة الطفولة

حين نطالع الفترة التي ولدت فيها الزهراء(عليها السلام) نجد أنّ مجتمع الجزيرة ـ آنذاك ـ عاش أحداثاً خطيرة وصراعات وأوضاعاً متأزّمة، فالدعوة الجديدة التي جاء بها النبيّ الأكرم جعلت المجتمع علىٰ مفترق طرق.

ومن الناحية الاقتصادية كان فقيراً بحكم طبيعته، إلّا من حركة اقتصادية ضعيفة كانت تقتصر علىٰ التجارة المحدودة مع بلاد اليمن والشام.

ومن الناحية الاجتماعية فقد كانت تسوده الديانة الكافرة والتقاليد البالية والعنصرية القبلية، وتطغىٰ عليه الحروب والغارات التي تشنها قبيلة علىٰ أُخرىٰ لأسباب قد لا تكون معقولة أبداً، وكانت ظاهرة وأد البنات من أقسىٰ ظواهره المتخلفة.

في هذه الفترة بعث النبيّ (صلى الله عليه وآله) ـ وعمره أربعون عاماً ـ فانطلق لوحده ليقف بوجه الكفر العالمي وعبادة الأصنام والشرك، ويغالب المشاكل والمصاعب الخطيرة، فبلّغ بالدعوة سرّاً في أوّل الأمر حفاظاً عليها من الأعداء، حتىٰ جاء أمر الله بإعلان الدعوة واقتحام صفوف الباطل، فأعلن

الرسول دعوته ، ودعا الناس إلىٰ الإسلام ، وأخذ عدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم ، وأحسّ أعداء الإسلام بالخطر من هذا التيار الجديد فوثبت كلّ قبيلة علىٰ من فيها من مستضعفي المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بألوان العذاب من الضرب والتجويع والترك علىٰ حرّ الرمال وكيّهم بالنار في محاولة منهم لافتتان المسلمين وردعهم عن دينهم ، فلمّا رأىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يصيب أصحابه من البلاء قال لهم : « **لو خرجتم إلىٰ أرض الحبشة حتىٰ يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه** » فاستجاب المسلمون لأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) فخرجوا وتركوا أرضهم وأموالهم ، مخافة الفتنة وفراراً إلىٰ الله بدينهم[١].

١ ـ فاطمة (عليها السلام) في شِعب[٢] أبي طالب (عليه السلام) :

لمّا رأت قريش أنّ أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) قاوموهم وتحمّلوا أذاهم ، وأنّ الإسلام أخذ يعلو شأنه وينتشر في القبائل ، وعجزوا عن صدّه؛ ائتمروا بينهم علىٰ قتل الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فلمّا أحسّ أبو طالب بذلك إنحاز إلىٰ شِعبه، واجتمع إليه بنو هاشم وبنو عبد المطلب ليحموا الرسول (صلى الله عليه وآله) وكان حمزة عمّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) يحرسه حتىٰ الصباح ، فحاصرتهم قريش حصاراً اقتصادياً شديداً ، وكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه علىٰ أن لا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١٣ (ذكر الهجرة الأُولىٰ الى الحبشة)، تاريخ الطبري ٢: ٦٨ (ذكر خبر ابتداء أمر النبيّ صلى الله عليه وآله)، الكامل في التاريخ ٢: ٧٦ (ذكر الهجرة الأُولىٰ).

(٢) الشعب بالكسر: الطريق في الجبل والجمع الشعاب. الصحاح للجوهري ١: ١٥٦، (مادةَ شعب)، لسان العرب ١: ٤٩٩ مادة شعب.

شيئاً ، فأقاموا علىٰ ذلك سنتين أو ثلاثاً حتىٰ جـهدوا ، لا يـصل إلىٰ أحـدهم شيء إلّا سرّاً ، والجوع يشتد بـبني هـاشم ويـتعالىٰ صـراخ الأطـفال الجـياع أحياناً.

في هذا الظرف العصيب والقاسي قضت الزهراء (عليها السلام) شـطراً مـن أيـام الرضاعة في شعب أبي طالب ، ثم فطمت من اللبن،وهـناك درجت تـمشي علىٰ رمضاء الشعب ، وتـعلّمت النـطق وهـي تسـمع أنـين الجـياع وصـراخ الأطفال المـحرومين، وبـدأت تأكـل فـي زمـن الحـرمان والفـاقة، وإذا مـا استيقظت في هدأة الليل وجدت الحرس يدورون ـ بـحذر وتـرقّب ـ حـول أبيها يخافون عليه من غدر الأعداء فـي حـلكة اللـيل، ثـلاث سـنين تـقريباً والزهراء (عليها السلام) في هذا السجن لا يربطها بـالعالم الخـارجـي أيّ شـيء حـتىٰ أدركت سن الخامسة .

٢ ـ وفاة السيّدة خديجة وعام الحزن :

ومرّت سنون الحصار صعبة ثقيلة، وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن معه من الحصار والمقاطعة ، وقدكتب الله تعالىٰ لهم النصر والغلبة ، وخرجت خديجة وقد أثقلتها السنون وأرهقها عناء الحصار والحرمان ، وهـا هـي قـد قـضت بالجدّ والصبر عمرها الجهادي المشرق وحـياتها المـثالية الفـريدة فـي دنـيا المرأة ، لقد قرب أجل خديجة وشاء الله تعالىٰ أن يختارها لجواره ، فتوفّيت في ذلك العام الذي خرج فيه بنو هاشم من الحـصار وكـان العـام العـاشر مـن البعثة .

وتوفّي في العام ذاته أبو طالب عمّ الرسول (صلى الله عليه وآله) وحامي الدعوة الإسلامية وناصر الإسلام، ولقد شعر رسول الله بالحزن والأسىٰ ، وأحسّ بالفراق والوحشة ، إنّه فقد الحبيب والعون الكبير والمواسي اللبيب، فقد خديجة زوجته وحبيبته وعونه، وفقد عمّه الحامي والمدافع عنه ، فسمّىٰ ذلك العام بـ(عام الحزن)[1].

وليس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحده هو الذي رزئ في ذلك العام، بل وفاطمة الصغيرة في عمرها والكبيرة في روحها لم تشبع من حنان الأُمومة وعطف الوالدة بعد ، فقد شاطرته المأساة ورزئت هي الأُخرىٰ ، فشملتها المحنة في ذلك العام الحزين، وشعرت بغمامة الحزن واليتم تخيّم علىٰ حياتها الزاخرة بالأحداث الجسام .

٣ ـ انفراد الزهراء (عليها السلام) بأبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وأحسّ الرسول المصطفىٰ (صلى الله عليه وآله) بوطأة الحزن علىٰ نفس فاطمة (عليها السلام) وهو يرىٰ دموع الفراق تتسابق علىٰ خديها، فيرقّ القلب الرحيم ، وتفيض مشاعر الود والأُبوة الصادقة ، فيحنو رسول الله (صلى الله عليه وآله) علىٰ فلذة كبده فاطمة، فيعوضها من حبّه وحنانه ما فقدته في أُمّها من حبّ ورعاية وحنان .

لقد أحبّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة وأحبته وحنا عليها وحنت عليه ، فلم يكن أحد أحبّ إلىٰ قلبه ولا إنسان أقرب إلىٰ نفسه من فاطمة ، لقد أحبها

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١: ١٥٠ (فصل في أحوال وتواريخ النبيّ صلى الله عليه وآله)، السيرة الحلبية ٣: ٤٩٨ (باب بيان ما وقع من الحوادث له صلى الله عليه وآله من ولادته الى وفاته).

وكان يؤكّد ـ كلّما وجد فرصة مناسبة ـ هذه العلاقة بفاطمة ، ويوضّح مقامها ومكانتها في أُمّته ، وهو يُـمهّد لأمـر عـظيم وقـدر خـطير يـرتبط بـفاطمة ، وبالذريّة الطاهرة التي أعقبتها فاطمة وبالأُمة الإسلامية كلّها ،كان يؤكّد ذلك ليعرف المسلمون مقام فاطمة البتول ومكانة الأئمة من ذريّتها ليعطوا فاطمة حقّها ، ويحفظوا لها مكانتها ، ويراعوا الذرّية الطاهرة حقّ رعايتها ، فها هـو رسول الله(صلى الله عليه وآله) يعرّف فاطمة ويؤكد للمسلمين موقعها من نفسه ومن رسالته فيقول: «**فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني**»[(١)].

وتكبر فاطمة (عليها السلام) وتشبّ ويشبّ معها حبّ أبيها لها، ويـزداد حـنانه عليها، وتبادله هي هـذا الحبّ وتـملأ قـلبه بـالعطف والرعـاية فـيسميها «**أُمّ أبيها** »[(٢)].

وهذا النموذج هو القدوة التي يستحقّ التأسي به في مجال العلاقة الأبوية الطاهرة التي تساهم في بناء شخصيّة الأبناء وتوجّه سلوكهم وحـياتهم ، لقـد كانت هذه العلاقة هي المثل الأعلىٰ في رعاية الإسـلام للـفتاة والعـناية بـها وتحديد مكانتها .

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١١٢ (باب مناق فاطمة عليها السلام)، العمد لابن البطريق: ٣٨٤ / ح٧٥٧، الطرائف لابن طاووس: ٢٦٢ / ح٣٦٣، صحيح البخاري ٤: ٢١٠ (كتاب المناقب، باب مناقب المهاجرين وفضلهم)، ٢١٩ من نفس الباب، المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥٢٦ (باب ٣٥، ح١)، الآحاد والمثاني للضحاك ٥: ٣٦١ / ح٢٩٥٤، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٢٠٨ / ح٥٨٣٣.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٢٩ (ذكر الإمام الحسن عليه السلام)، تاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة): ٢٠ (ذكر حالات الزهـراء عليها السلام)، الاستيعاب ٤: ١٨٩٩/ تـرجـمة رقـم ٤٠٥٧، تـاريخ مـدينة دمشـق ٣: ١٥٨ (بـاب صـفة خلقه صلى الله عليه وآله).

٤ ـ فاطمة الممتحنة :

وشاء الله سبحانه وتعالىٰ أن تشهد فاطمة فترة صراع الدعوة في مكّة ، وتشهد محنة أبيها(صلى الله عليه وآله) ، فترىٰ الأذىٰ والاضطهاد يقع عليه ، وتشهد جوّ مكّة المعادي لبيت النبوّة ، بيت الهدىٰ والإيمان والفضيلة ، وتشاهد أباها والصفوة المؤمنة من دعاة الإسلام والسابقين بالإيمان يخوضون ملحمة البطولة والجهاد ، فيؤثّر هذا الجوّ الجهادي في نفسها ، ويساهم في تكوين شخصيّتها وإعدادها لحياة التحمّل والمعاناة ، لقد عايشت فاطمة كلّ ذلك وهي بعد لم تزل في دور الطفولة، لقد عايشت المحنة الأشد مع أبيها، بعد فقد أُمها ، الرمز المواسي والأنيس والحبيب الذي كان يخفّف عنها متاعب الحياة وآلام الاضطهاد، وبعد فقد الرسول(صلى الله عليه وآله) عمّه أبا طالب حامي الدعوة والمدافع عن الرسالة الذي ما تجرأت قريش في حياته أن تؤذيه (صلى الله عليه وآله) أو تنال منه شيئاً، إذ كان لها بالمرصاد[1]، هذه الحماية التي عبّر عنها رسول الله(صلى الله عليه وآله) بعد فقده أبا طالب بقوله : « **ما زالت قريش كاعة[2] عنّي حتىٰ مات أبو طالب**»[3].

(١) تاريخ الطبري ٢: ٨٠ (ذكر ابتداء الرسالة)، تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣٣٨ (ترجمة أبي طالب رقم ٨٦١٣)، البداية والنهاية ٣: ١٥١ (فصل في وفاة أبي طالب).

(٢) الكاعة: جمع كاع، وهو الجبان. لسان العرب ٨: ٣١٢ (مادة كع).

(٣) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٥٣ (الفصل ٣ في ذكر مدة حياته صلى الله عليه وآله)، كشف الغمّة ١: ١٦ (ذكر نسبه صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٢٢ / ح٣٦، مستدرك الحاكم ٢: ٦٢٢ (ذكر الهجرة الأُولى للحبشة)، تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣٣٩ (ترجمة أبوطالب رقم ٨٦١٣)، السيرة النبوية لابن كثير ٣: ١٤٧ (ذكر إجتراء قريش بعد وفاة أبي طالب).

لقد صبّت قريش حقدها وأذاها علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تلك الفترة العصيبة من عمر الدعوة ، وبكل ما تملك من وسائل الأذىٰ والاستهزاء والسخرية ومحاولات الانتقاص من مكانة محمّد (صلى الله عليه وآله) وشخصيته .

لقد تحمّل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أجل دعوته وفي سبيل مبادئه ورسالته ما لم يتحمّله أحد من الأنبياء ، فقد بلغ الأمر بأحد سفهاء قريش أن يغترف غرفة من تراب الأرض ويقذفها في وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ رأسه ، فيتحمّل رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا الأذىٰ ويعود إلىٰ بيته صابراً محتسباً وقد لطخ التراب وجهه ورأسه، ويعود إلىٰ بيته وفاطمة (عليها السلام) تنظر إليه فترىٰ ما لحق به من أذىٰ قريش وتماديها في الصلف والغرور ، فيحزّ الألم في نفسها ويعظم عليها تجرؤ السفهاء والمغرورين من طغاة الجاهلية ومتكبّريها علىٰ رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثم تقوم لأبيها وتنفض التراب عنه وتأتي بالماء وتغسل رأسه ووجهه الكريم .

ولم يمرّ هذا المشهد المؤلم دون أن يؤثّر في نفسها (عليها السلام) فيستبدّ بها الحزن والألم علىٰ القائد رسول الله أبيها (صلى الله عليه وآله) فتبكي وتتألّم لجرأة هؤلاء الجاهلين الطغاة علىٰ رجل يريد أن يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور ويهديهم سبيل الهدىٰ والرشاد ، ويؤثّر موقف فاطمة في نفس أبيها (صلى الله عليه وآله) ويشعر بحرارة الألم تمسّ قلبها ، فيحاول (صلى الله عليه وآله) أن يخفّف عنها ويحثّها علىٰ التجلّد والتحمّل ، فيمدّ يديه الكريمتين ويضعهما علىٰ رأسها فيمسّه برقّة وحنان وهو يقول لها : **« لا تبكي يا بنية فإنّ الله مانع أباك ، وناصره علىٰ أعداء دينه**

ورسالته»[١].

بــهذه الكـلمات الجـهادية المـربّية يـحاول رسـول الله (صلى الله عليه وآله) أن يـزرع في نفس فاطمة (عليها السلام) روحاً جهادية عالية، ويملأ نفسها وقلبها بالصبر والثقة بالنصر.

ولم تنته هذه المشاهد المثيرة المؤلمة ولم يقف أذىٰ قريش واستخفافها برسول الله (صلى الله عليه وآله) ودعوة الحقّ والهدىٰ والتحرير إلىٰ هـذا الحـدّ، بـل راحت تتمادىٰ في غيّها وتصرّ علىٰ عنتها وكـبريائها، فـقد روي عـن عـبدالله بـن مسعود أنّه قال: ما رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا علىٰ قريش غـير يـوم واحـد، فإنّه كان يصلّي ورهط من قريش جلوس، وسلىٰ[٢] جزور قريب منه، فقالوا: من يأخذ هذا السلىٰ فيلقيه علىٰ ظهره، فقام رجل ـ وهو عقبة بن أبي معيط ـ وألقاه علىٰ ظهره فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة (عليها السلام) فأخذته عن ظهره فقال (صلى الله عليه وآله): **«اللهمّ عليك الملأ من قريش، اللهمّ عليك بعتبة بن ربيعة، اللهمّ عليك بشيبة بن ربيعة، اللهمّ عليك بأبي جهل بن هشام، اللهمّ عليك بعقبة بن أبي معيط، اللهمّ عليك بأُبي بن خلف وأُمية بن خلف».**

قال عبدالله بن مسعود: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعاً ثم سـحبوا إلىٰ القليب[٣] غير أُبي بن خلف أو أُمية فإنّه كان رجلاً ضخماً فتقطع[٤].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٨٣ (ذكر وفاة أبي طالب)، تاريخ الطبري ٢: ٨٠ (ذكر ابتداء رسالته صلى الله عليه وآله)، تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣٣٨ (ترجمة أبي طالب رقم ٨٦١٣)، البداية والنهاية ٣: ١٥١ و١٦٤ (ذكر وفاة أبي طالب). ولم يذكروا ذيل الرواية. نعم أوردها هاشم معروف الحسني في سيرة المصطفى: ٢٠٥.

(٢) السلىٰ: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه ولد الماشية من بطن أُمه ملفوفاً فيه.

(٣) القليب: البئر.

(٤) ذخائر العقبىٰ: ٤٧ (ذكر برّها بالنبيّ صلى الله عليه وآله)، حلية الأبرار: ٣٤٦ / ح٢، مسند أحمد ١: ٤١٧ (ما أُسـند عـن

٥ ـ هجرتها (عليها السلام) إلىٰ المدينة :

هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في السنة الثالثة عشرة للبعثة من مكّة إلىٰ يثرب « المدينة » حفاظاً علىٰ نفسه وإبقاءً علىٰ دعوته ، وأوصىٰ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أن يبيت علىٰ فراشه ليلة الهجرة ليوهم المشركين ويشغلهم ، وأوصاه (صلى الله عليه وآله) بعدة وصايا ، منها : أنّه إذا وصل مأمنه يرسل إليه من يدعوه بالتوجّه إليه مع عائلته من الفواطم وغيرهن ، ويردّ جميع الأمانات التي كانت مودعة عنده إلىٰ أهلها ويسدّد الديون التي كانت عليه .

ولمّا وصل (صلى الله عليه وآله) منطقة «قباء» ـ وهي علىٰ أميال من يثرب ـ واستقر فيها؛ بعث مع أبي‌واقد الليثي كتاباً إلىٰ عليّ (عليه السلام) يأمره بالقدوم عليه مع الفواطم وردّ الإمانات إلىٰ أهلها ، فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) من ساعته واشترىٰ الرواحل اللازمة وأعدّ متطلبات السفر والهجرة من مكّة ، وأمر من كان معه من ضعفاء المؤمنين أن يتسللوا ويتخفّوا إذا ملأ الليل بطن كلّ وادٍ إلىٰ ذي طوىٰ .

فلمّا أدىٰ الأمانات قام علىٰ الكعبة فنادىٰ بصوت رفيع : «**يا أيّها الناس! هل من صاحب أمانة ؟ هل من صاحب وصيّة ؟ هل من عدة له قِبل رسول الله؟**» فلمّا لم يأت أحد لحق بالنبيّ (صلى الله عليه وآله).

خرج عليٌّ (عليه السلام) بالفواطم في وضح النهار ـ وهنّ : فاطمة الزهراء (عليها السلام)

← عبدالله بن مسعود)، البداية والنهاية ٣: ٥٨ ـ ٥٩ (باب الأمر بإبلاغ الرسالة)، سبل الهدىٰ والرشاد ٢: ٤٣٦ (أبواب بعض الأمور الكائنة بعد بعثته صلى الله عليه وآله، باب ٣٠).

وفاطمة بنت أسد الهاشمية أُمّه وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب ـ وتبعتهم حاضنة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وخادمته بركة أُمّ أيمن ، وابنها أيمن مولىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وعاد مع الركب مبعوثه (صلى الله عليه وآله) أبو واقد الليثي ، فجعل يسوق الرواحل ، فأعنف بهم فقال له الإمام علىّ (عليه السلام): « **إرفق بالنسوة يا أبا واقد ، إنّهن ضعاف** » قال : إنّي أخاف أن يدركنا الطلب، فقال عليّ (عليه السلام) : « **أربعْ عليك ، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي : يا عليّ لن يصلوا من الآن إليك بأمرٍ تكرهه** »، ثم جعل عليّ (عليه السلام) يسوق بهنّ سوقاً رقيقاً وهو يرتجز ويقول :

وليس إلّا الله فارفع ظنّكا يكفيك ربّ الناس ما أهمّكا

وسار ، فلمّا شارف «ضجنان» أدركه الطلب سبعة فوارس من شجعان قريش متلثّمين وثامنهم مولىٰ الحارث بن أُمية يدعىٰ جناحاً ، وكان شجاعاً مقداماً، فأقبل الإمام عليّ (عليه السلام) علىٰ أيمن وأبي واقد وقد تراءىٰ القوم فقال لهما: « **أنيخا الأبل وأعقلاها** » ، وتقدّم حتىٰ أنزل النّسوة ، ودنا القوم فاستقبلهم عليّ (عليه السلام) منتضياً سيفه ، فأقبلوا عليه وقالوا : ظننت أنّك ناجٍ بالنّسوة، إرجع لا أبا لك قال : « **فإن لم أفعل ؟** » قالوا : لترجعنّ راغماً ، أو لنرجعنّ بأكثرك شعراً ـ أي رأسك ـ ودنا الفوارس من النّسوة والمطايا ليثوّروها ، فحال عليّ (عليه السلام) بينهم وبينها ، فأهوىٰ له جناح بسيفه فراغ عليّ (عليه السلام) عن ضربته ، وتختّله عليّ (عليه السلام) فضربه علىٰ عاتقه ، فأسرع السيف مضيّاً فيه حتىٰ مسّ كاثبة فرسه، فشدّ عليهم بسيفه فتصدّع القوم عنه ، وقالوا له: إغن عنّا نفسك يابن أبي طالب قال : « **فإنّي منطلق إلىٰ ابن عمّي رسول الله(صلى الله عليه وآله) فمن سرّه أن أفري لحمه وأُهريق دمه فليتبعني** » فرجعوا مخذولين منكسرين .

ثم أقبل علىٰ صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما : « **أطلقا مطاياكما** » ، ثم سار بالركب ظافراً قاهراً حتىٰ نزل « ضجنان » ، فتلوّم بها ـ أي لبث فيها ـ قدر يومه وليلته ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين ، وكانوا يصلّون ليلتهم ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم ، فلم يزالوا كذلك حتىٰ طلع الفجر فصلّىٰ الإمام عليّ (عليه السلام) بهم صلاة الفجر ، ثم سار لوجهه حتىٰ قدموا « قبا » القريبة من المدينة، والتحقوا برسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كان ينتظرهم بها[1].

ونزل الوحي علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما كان في شأنهم قبل وصولهم ، بآيات خمسة من القرآن المجيد هي : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ... الى قوله تعالى: وَٱللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ** ﴾[2].

ومكث النبيّ (صلى الله عليه وآله) خمسة عشر يوماً بـ«قبا» في انتظار قدوم الوفد ، وفي تلك الفترة أسّس مسجد « قبا » ، ونزلت فيه آيات بيّنات منها قوله تعالىٰ: ﴿**لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ** ﴾[3] كما أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) حثّ علىٰ الصلاة فيه وإحيائه وذكر الأجر الكبير لمن صلّىٰ فيه .

٦ ـ الزهراء(عليها السلام) في المدينة

بعد استراحة الركب سار النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) بمن معه من أصحابه وأهله

(١) أمالي الطوسي: ٤٦٣ ـ ٤٧١ / ح ١٠٣١، حلية الأولياء ١: ١٣٩ ـ ١٥١ / ح٧، بحار الأنوار ١٩: ٥٧ ـ ٥٨ / ح ١٨ (وفيها تفاوت يسير باللفظ).

(٢) آل عمران (٣) : ١٩١ ـ ١٩٥ .

(٣) التوبة (٩): ١٠٨.

مــتوجهاً إلىٰ يــثرب واســتقبلته الجـماهير المسـلمة بـالأشعار والأهـازيج وشعارات الترحيب، واستقبله زعـماء الأوس والخـزرج مـرحّـبين بـقدومه باذلين كلّ ما وسعهم من إمكانات مالية وعسكرية ، وكان عندما يـمرّ عـلىٰ حيّ من أحيائهم يتقدّم الأشراف ليأخذوا بـخطام النـاقة رجـاء أن يـنزل فـي حيّهم حيث الضيافة والمنعة ، فكان (صلى الله عليه وآله) يدعو لهم بالخير ويـقول : «**دعـوا الناقة تسير فإنّها مأمورة**» .

ثم بركت في رحبة من الأرض بجوار دار أبي أيوب الأنـصاري ، فـنزل الرسول(صلى الله عليه وآله) ونزلت بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مع الفواطم ودخلن علىٰ أُمّ خالد[(١)][(٢)]، وبقيت السيّدة فاطمة (عليها السلام) مـع أبـيها (صلى الله عليه وآله) زهـاء سـبعة أشهر حتىٰ تمّ بناء المسجد ودار رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبيته المتواضع المؤلف من عدّة حجرات بعضها بالأحجار، والبعض الآخر من جريد النخل ، أمّا ارتـفاع الحجرات فقد وصفه الإمام الحسن (عليه السلام) سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما جاء عنه أنّه قال : «**كنت أدخل بيوت النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدي**»[(٣)].

أمّا الأثاث الذي هيّأه النبيّ(صلى الله عليه وآله) لبيته الجديد فـهو فـي مـنتهىٰ البسـاطة والخشونة والتواضع ، فقد أعدّ لنفسه سـريراً مـؤلّفاً مـن أخشـاب مشـدودة بالليف، واستقرّت الزهراء فـي دار هـجرتها وفـي بـيت أبـيها ، ذلك البـيت البسيط المتواضع في دار الإسلام ، لتنعم بعنايته وحبّه ورعايته ، تلك العـناية

---

(١) خالد : هو اسم أبي أيوب الأنصاري .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٣٤٣ ـ ٣٤٤ (عرض كبار المدينة بيوتهم على رسول الله صلى الله عليه وآله)، تاريخ الطبري ٢: ١١٦ـ١١٧ (ذكر حوادث السنة الأُولىٰ للهجرة)، الكامل في التاريخ ٢: ١٠٩ ـ ١١٠ (ذكر حوادث السنة الأُولى للهجرة)، البداية والنهاية ٣: ٢٤٦ (ذكر دخوله صلى الله عليه وآله الى المدينة).

(٣) التمهيد لابن عبدالبرّ ٨: ٩٨ (ذكر تعجيل صلاة العصر)، مع المصطفى لبنت الشاطئ: ٢٠٠ (ذك الهجرة والتاريخ).

والرعاية والحبّ الذي لم يحظ بمثله امرأة ولا أحد من الناس سواها .

إلىٰ هذا البيت المتواضع جاءت فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله) مهاجرة من مكّة لترىٰ أباها بين أنصاره في يثرب يفدونه بالأنفس ومعه المهاجرون، وقد اطمأن بهم المقام مع إخوانهم ممن أسلم من الأوس والخزرج، وانصرفوا مع النبيّ(صلى الله عليه وآله) إلىٰ الدعوة للإسلام والتخطيط لغدٍ أفضل، وقد آخىٰ النبيّ(صلى الله عليه وآله) بينهم وبين مسلمي المدينة ليذهب عنهم وحشة الاغتراب ويشدّ بعضهم إلىٰ بعض بتلك الأُخوة التي تجمعهم علىٰ صعيد واحد، وهو الإيمان بإله واحد لا شريك له،وترك عليّاً لنفسه فأخذ بيده ومعه حشد من المهاجرين والأنصار ، وقال : « **هذا أخي ووصيّي ووارثي من بعدي**»[1] ولم يمضِ وقت طويل علىٰ تلك المؤاخاة التي فاز بها عليّ (عليه السلام) حتىٰ أصبح صهراً للنبيّ وزوجاً لأحبّ بناته إليه وأعزّهنّ علىٰ قلبه وروحه.

وبعد ما استقر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة تزوّج « سودة » وهي أوّل من تزوّجها بعد السيّدة خديجة (رضي الله عنها) ثم تزوّج « أُمّ سلمة بنت أبي أُمية»[2] وفوّض أمر ابنته الزهراء إليها .

قالت أُمّ سلمة : تزوّجني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفوّض أمر ابنته فاطمة (عليها السلام) إليَّ ، فكنت أُؤدّبها وأدلّها ، وكانت والله أأدب منّي وأعرف بالأشياء كلّها[3].

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٢٧ / ح٥٦٣، المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٣٣ (فصل في الأُخوّة)، بحار الأنوا ٣٨/ ح٦ وفيها تفاوت يسير باللفظ.

وحديث المؤاخاة حديث متواتر ومشهور عند المؤرخين والمحدثين، وأفردوا له الأبواب والفصول. راجع الغدير ٣: ١١٣ (خمسون حديثاً في المؤاخاة).

(٢) المصنف للصنعاني ٧: ٤٨٩ / ح ١٣٩٩٧، المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤٤٧ (ذكر أزواج الرسول صلى الله عليه وآله)، الاستيعاب لابن عبدالبرّ ٤: ١٨٦٧ / ترجمة رقم ٣٣٩٤ ترجمة سودة.

(٣) دلائل الإمامة: ٨٢ / ح ٢١، بحار الأنوار ٤٣: ١٠ / ح١٦.

٧ ـ محاولات خطبتها (عليها السلام) :

فاقت فاطمة الزهراء (عليها السلام) نساء عصرها في الحسب والنسب فهي بنت محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة رضي الله عنها وسليلة الفضل والعلم والسجايا الخيّرة ، وغاية الجمال الخَلقي والخُلقي ، ونهاية الكمال المعنوي والإنساني ، علا شأوها وتألّق نجمها .

وكانت (عليها السلام) تمتاز منذ صغرها بالنضج الفكري والرشد العقلي ، وقد وهب الله لها عقلاً كاملاً وذهناً وقّاداً وذكاءً حادّاً وحسناً وجمالاً في إشراقةِ محيّاها، فما أكثر مواهبها وما أعظم فضائلها وهي تكبر يوماً بعد يوم تحت ظلال النبيّ الخاتم(صلى الله عليه وآله) حتىٰ أدركت سلام الله عليها مدرك النساء**!!**

ومـا إن دخلت السنة الثانية من هجرة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وبدأت طلائع الاستقرار تلوح للمسلمين حتىٰ خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام والشرف والمال من النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فكان يردّهم ردّاً جميلاً ويقول لكلّ من جاءه : « **إنّي أنتظر فيها أمر الله** » وكان يعرض عنهم بوجهه الكريم حتىٰ كان الرجل يظنّ في نفسه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساخط عليه.

وكان رسول الله قد حبسها علىٰ عليّ ، ويرغب أن يخطبها منه[1].

وعن بريدة قال : خطب أبو بكر فاطمة (عليها السلام)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « **إنّها صغيرة ، وإنّي أنتظر بها القضاء** » فلقيه عمر فأخبره ، فقال : ردّك ، ثم خطبها عمر فردّه[2].

---

(١) كشف الغمّة ١: ٣٦٣ (ذكر تزويج عليّ عليه السلام بفاطمة عليها السلام)، المناقب للخوارزمي: ٣٤٣ / ح ٣٦٤ وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

(٢) تذكرة الخواص ٢: ٣٢١ (ذكر فاطمة عليها السلام)، الطبقات الكبرى ٨: ١٩ (ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله)، إمتاع الأسماع

٨ ـ عليّ (عليه السلام) يتقدّم لخطبة الزهراء (عليها السلام) :

كان ربيب النبيّ(صلى الله عليه وآله) علـيّ بـن أبـي طـالب(عليه السلام) ذلك الفـتىٰ الذي آثـر الرسول على نفسه ليلة هجرته ممّن يفكّر في خطبة الزهراء فـاطمة، ولكـنّه بقي بين أمرين: الحالة التي يعيشها هو والمجتمع الإسلامي مـن فـقر وفـاقة وضيق في المعيشة ممّا يصرفه عن التفكير في الزواج ويشغله عـن التـوجّه إلى بناء الأُسرة. وواقعه الشخصي المتميّز حيث قد تجاوز الواحد والعشرين من العمر[١]، وآن له أن يتزوّج من فاطمة التي لاكفؤ لهـا سـواه ولاكـفؤ له سواها، وهي نسيج لا يتكرّر.

وفي ذات يومٍ وما أن أكمل الإمام (عليه السلام) عمله حتىٰ حـلّ عـن نـاضحه وأقبل يقوده إلىٰ منزله، ثمّ توجّه نحو منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان فـي بـيت السيدة أُمّ سلمة ، وبينما كان الإمام في الطريق هبط ملك من السماء بأمر إلهي هو أن يزوّجَ النور من النور ، أي فاطمة من عليّ[٢].

فدقّ عليّ (عليه السلام) الباب ، فقالت أُمّ سلمة : من بالباب ؟ فقال لهـا رسـول الله(صلى الله عليه وآله) : « **قومي يا أُمّ سلمة فافتحي له الباب ومريه بالدخول ، فـهذا رجـل يـحبّه الله ورسوله ويُحبّهما** » فقالت أُمّ سلمة :فداك أبي وأُمي ، من هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره ؟ فقال : « **مه يا أُمّ سلمة ، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق، هذا أخي**

← ٥: ٣٥١ (ذكر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله)، السيرة الحلبية ٢: ٤٧ (حوادث السنة الثانية للهجرة).

(١) ذخائر العقبى: ٢٦ (باب فضائل فاطمة عليها السلام).

(٢) مسائل عليّ بن جعفر عليه السلام: ٣٢٦ / ح٨١٢، الكافي ١: ٤٦٠ ـ ٤٦١ / ح٨ (باب مولد الزهراء عليها السلام)، أمالي الصدوق: ٦٨٩ / ح٩٤٦، روضة الواعظين للنيسابوري: ١٤٦ (ذكر تـزويج فـاطمة عليها السلام)، دلائـل الإمـامة: ٩٣/ح٢٧، بحار الأنوار ٤٣: ١١١ / ح ٢٣.

وابن عمّي وأحبّ الخلق إليّ » قالت أُمّ سلمة : فقمت مبادرةً أكاد أعثر بمرطي ، ففتحت الباب فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فدخل علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : « السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته » فقال له النبيّ (صلى الله عليه وآله) : « وعليك السلام يا أبا الحسن ، اجلس » فجلس عليّ (عليه السلام) بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعل ينظر إلىٰ الأرض كأنّه قصد لحاجة وهو يستحي أن يبيّنها ، فهو مطرق إلىٰ الأرض حياءً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) علم ما في نفس عليّ (عليه السلام) فقال له : « يا أبا الحسن ، إنّي أرىٰ أنّك أتيت لحاجة ، فقل حاجتك وابدِ ما في نفسك ، فكلّ حاجة لك عندي مقضية » قال عليّ (عليه السلام) : «فداك أبي وأُمي إنّك أخذتني عن عمّك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي، فغذّيتني بغذائك ، وأدّبتني بأدبك ، فكنتَ إليّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرّ والشفقة ، وإنّ الله تعالىٰ هداني بك وعلىٰ يديك ، وإنّك والله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة يا رسول الله فقد أحببت مع ما شدّ الله من عضدي بك أن يكون لي بيت وأن تكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راغباً ، أخطب إليك إبنتك فاطمة ، فهل أنت مزوّجي يا رسول الله ؟ » فتهلّل وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فرحاً وسروراً ، وأتىٰ فاطمة فقال : « إنّ علياً قد ذكركِ وهو من قد عرفتِ » فسكتت (عليها السلام) ، فقال (صلى الله عليه وآله) : « الله أكبر ، سكوتها رضاها » فخرج فزوّجها.

قالت أُمّ سلمة : فرأيت وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتهلّل فرحاً وسروراً ، ثم تبسّم في وجه عليّ (عليه السلام) فقال : « يا عليّ فهل معك شيء أُزوّجك به ؟ » فقال عليّ (عليه السلام) : «فداك أبي وأُمّي ، والله ما يخفىٰ عليك من أمري شيء ، أملك سيفي ودرعي وناضحي ، وما أملك شيئاً غير هذا » فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « يا عليّ أمّا سيفك فلا غنىٰ بك عنه ، تجاهد في سبيل الله ، وتقاتل به أعداء الله ، وناضحك تنضح به علىٰ نخلك

وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك ، ولكني قد زوّجتك بالدرع ورضيت بها منك ».

« يا أبا الحسن ، أأُبشّرك ؟ ! » قال عليّ (عليه السلام) قلت : **« نعم فداك أبي وأُمّي بشّرني ، فإنّك لم تزل ميمون النقيبة ، مبارك الطائر ، رشيد الأمر ، صلّىٰ الله عليك » .**

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **«أبشّرك يا عليّ فإنّ الله ـ عزوجل ـ قد زوّجكها في السماء من قبل أن أزوّجكها في الأرض، ولقد هبط عليَّ في موضعي من قبل أن تأتيني ملك من السماء فقال : يا محمّد! إنّ الله ـ عزّوجلّ ـ اطّلع إلىٰ الأرض اطّلاعة فاختارك من خلقه فبعثك برسالته ، ثم اطّلع إلىٰ الأرض ثانية فاختار لك منها أخاً ووزيراً وصاحباً وختناً فزوّجه إبنتك فاطمة** (عليها السلام)**، وقد احتفلت بذلك ملائكة السماء، يامحمّد! إنّ الله ـ عزّوجلّ ـ أمرني أن آمرك أن تزوّج عليّاً في الأرض فاطمة، وتبشّرهما بغلامين زكيين نجيبين طاهرين خيّرين فاضلين في الدنيا والآخرة، ياعليّ! فوالله ما عرج الملك من عندي حتىٰ دققتَ الباب »**[1] .

٩ ـ أمر زواجها من السماء :

قال ابن أبي الحديد : وإنّ إنكاحه عليّاً إيّاها ماكان إلّا بعد أن أنكحه الله تعالىٰ إيّاها في السماء بشهادة الملائكة[2].

وعن جابر بن عبدالله قال : لمّا زوّج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة من عليّ (عليه السلام) كان الله مزوّجه من فوق عرشه[3].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال : **« قال رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **: إنّما أنا بشر مثلكم ، أتزّوج فيكم وأزوّجكم إلّا فاطمة ، فإنّ تزويجها نزل من السماء »**[4].

---

(١) كشف الغمّة ١: ٣٦٤ ـ ٣٦٧ (ذكر تزويجه عليه السلام بفاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٢٦ ـ ١٢٨ / ح٣٢، المناقب للخوارزمي: ٣٤٤ ـ ٣٤٧ / ح٣٦٤.

(٢) شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٩٣ (فصل في ترجمة عائشة) .

(٣) كشف الغمّة ٢: ١٠١ (فصل في فضائل فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٤٢ / ح٣٧.

(٤) الكافي ٥: ٥٦٨ / ح٥٤ (باب النوادر من كتاب النكاح)، مكارم الأخلاق للطبرسي: ٢٠٤ (فصل ٣ من ←

١٠ ـ خطبة العقد :

قال أنس : بينما أنا قاعد عند النبيّ (صلى الله عليه وآله) إذ غشيه الوحي، فلمّا سري عنه قال : « **يا أنس! تدري ما جاءني به جبرئيل من صاحب العرش ؟** » قلت : الله ورسوله أعلم ، بأبي واُمّي ما جاء به جبرئيل ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : « **إنّ الله تعالىٰ أمرني أن أزوّج فاطمة عليّاً ، انطلق فادع لي المهاجرين والأنصار** » قال : فدعوتهم ، فلمّا أخذوا مقاعدهم قال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : « **الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع بسلطانه ، المرغوب إليه فيما عنده، المرهوب عذابه ، النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميّزهم بأحكامه ، وأعزّهم بدينه ، وأكرمهم بنبيّه محمّد ، ثم إنّ الله تعالىٰ جعل المصاهرة نسباً وصهراً ، فأمر الله يجري إلىٰ قضائه، وقضاؤه يجري إلىٰ قدره ، فلكلّ قدر أجل، ولكلّ أجل كتاب ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب ﴾[1]، ثمّ إنّ الله أمرني أن أزوّج فاطمة بعليّ ، فأُشهدكم أنّي قد زوّجته علىٰ أربعمائة مثقال من فضة إن رضي بذلك عليّ** » .

وكان عليّ غائباً قد بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حاجته ، ثمّ إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر بطبق فيه بسر فوضع بين أيدينا ، ثمّ قال (صلى الله عليه وآله) : «**انتهبوا**»[2]، فبينا نحن ننتهب إذ أقبل عليّ (عليه السلام) ، فتبسّم إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال : « **يا عليّ! إنّ الله أمرني أن أزوّجك فاطمة ، فقد زوّجتكها علىٰ أربعمائة مثقال فضة إن رضيت** » فقال عليّ (عليه السلام) : « **قد رضيت يا رسول الله** » ثم إنّ عليّاً مال فخرّ ساجداً شكراً لله

← الباب ٨ في النكاح)، بحار الأنوار ٤٣: ٤٥ / ح٤٧.

(١) الرعد (١٣): ٣٩.

(٢) الانتهاب : وهو الغلبة على المال . والنهب الغنيمة، مجمع البحرين: ٣٧٩/٤ مادة نهب، وفي السنن الكبرىٰ للبيهقي: ٢٨٨/٧، جاء فقال رسول الله: «انتهبوا»، فقال: يا رسول الله أولم تنهنا عن النهبة، قال: «إنّما **نهيتكم عن نهبة العساكر أما العرسات فلا**».

تعالى وقال : « **الحمد لله الذي حبّبني إلىٰ خير البرية محمّد رسول الله** » ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **بارك الله عليكما ، وبارك فيكما وأسعدكما ، وأخرج منكما الكثير الطيب** » .

قال أنس : فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب(١).

١١ ـ مهرها وجهازها :

وجاء عليّ بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان، وكان أربعمائة درهم سود هَجَرية، فقبض الرسول (صلى الله عليه وآله) الدراهم وأعطاها لبعض أصحابهِ ونسائهِ ليشتروا متاعاً للبيت الجديد، والجهاز هو:

« ١ ـ قميص بسبعة دراهم .

٢ ـ خمار بأربعة دراهم .

٣ ـ قطيفةٌ سوداء خيبرية.

٤ ـ سرير مزمَّل بشريط .

٥ ـ فراشان من خيش مصر حشو أحدهما ليف ، وحشو الآخر من جزّ الغنم (صوف) .

٦ ـ أربعةُ مرافق من أدم الطائف حشوها أذخر.

٧ ـ ستر من صوف .

٨ ـ حصير هجري .

٩ ـ رحاءَ اليد .

١٠ ـ سقاءً من أدم .

(١) كشف الغمّة ١: ٣٥٨ ـ ٣٥٩ (ذكر تزويجه بفاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١١٩ ـ ١٢٠ / ح٢٩، المناقب للخوارزمي: ٣٣٦ ـ ٣٣٧ / ح٣٥٧، تاريخ مدينة دمشق ٥٢: ٤٤٤ ـ ٤٤٥ (ترجمة محمّد بن دينار رقم ٦٣٣٨)، كفاية الطالب للكنجي: ٢٩٧ ـ ٢٩٩ (باب ٧٨ في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله زوّج فاطمة بأمر الله...).

١١ ـ مخضب من نحاس .

١٢ ـ قعب للّبَن .

١٣ ـ شنّ للماء .

١٤ ـ مطهرة مزفّتة .

١٥ ـ جرّة خضراء .

١٦ ـ كيزان خزف .

١٧ ـ نطع من أدم .

١٨ ـ عباءً قطراني.

١٩ ـ قربة ماء ».

قالوا : وحملناه جميعاً حتىٰ وضعناه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلمّا نظر إليه بكىٰ وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه إلىٰ السماء وقال : « **اللهمّ بارك لقومٍ جلّ آنيتهم الخزف** »[1].

جهّز عليّ (عليه السلام) داره ، وفرش بيته بالرمل الليّن ونصب خشبة من حائط إلىٰ الحائط لتعليق الثياب عليها وبسط علىٰ الأرض إهاب كبش ومخدّة ليف .

وعن أبي يزيد المديني قال : لمّا اُهديت فاطمة إلىٰ عليّ (عليه السلام) لم تجد عنده إلّا رملاً مبسوطاً ووسادة وجرّة وكوزاً[2].

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٠ ـ ٤١ / ح٤٥، كشف الغمّة ١: ٣٦٨ ـ ٣٦٩ (ذكر تزويجه عليه السلام من فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٩٤ ـ ٩٥ / ح٥ و ١٣١ / ح٣٢، المناقب للخوارزمي: ٣٤٩ / ح٣٦٤.
الشريط : ورق مفتول يشترط به السرير . الخيش : نسيج خشن من الكتان. والأذخر ، حشيش طيب الريح. والمخضب : وعاء لغسل الثياب أو خضبها . والقعب : القدح العظيم الغليظ . والشن : القربة الصغيرة . والزفت : نوع من القير تطلىٰ به الآنية كي لا يترشح منها الماء .

(٢) مناقب الإمام علي (أمير المؤمنين عليه السلام) للكوفي ٢: ٢١٦/ح٦٨٣، المصنف للصنعاني ٥: ٤٨٥/ح ٩٧٨١، ← المعجم الكبير للطبراني ٢٤: ١٣٧ / ح٣٦٥، مجمع الزوائد ٩: ٢٠٩ (باب مناقب فاطمة عليها السلام)، سبل الهدىٰ والرشاد ١١: ٤٣ (جماع أبواب فضائل آل الرسول صلى الله عليه وآله، باب ٩).

١٢ ـ مقدّمات الزفاف ووليمة العرس :

قال عليّ (عليه السلام) : « **ومكثت بعد ذلك شهراً لا أُعاود رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمر فاطمة بشيء، استحياءً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير أنّي كنت إذا خلوت برسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لي : «يا عليّ ما أحسن زوجتك وأجملها ! أبشر يا عليّ فقد زوّجتك سيّدة نساء العالمين» فقال** عليّ (عليه السلام): **فلمّا كان بعد شهر دخل عليَّ أخي عقيل فقال : يا أخي ما فرحت بشيء كفرحي بتزوجك فاطمة بنت محمّد(صلى الله عليه وآله) ، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدخلها عليك ؟ فتقرّ عيناً باجتماع شملكما** » .

قال عليّ (عليه السلام) : « **والله يا أخي إنّي لأُحبّ ذلك وما يمنعني من مسألته إلّا الحياء منه»** فقال : أقسمت عليك إلّا قمت معي ، فقمنا نريد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلقيتنا في طريقنا بركة « أُمّ أيمن » ـ مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ فذكرنا ذلك لها، فقالت : لا تفعل ودعنا نحن نكلّمه ، فإنّ كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال .

ثم انثنت راجعة فدخلت إلىٰ أُمّ سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبيّ فاجتمعن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأحدقن به وقلن ـ والكلام لا يزال لأُمّ سلمة (أُمّ المؤمنين) ـ فديناك بآبائنا وأُمهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أنّ خديجة في الأحياء لقرّت بذلك عينها، قالت أُمّ سلمة : فلمّا ذكرنا خديجة بكىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: « **خديجة وأين مثل خديجة ؟ صدّقتني حين كذّبني الناس ووازرتني علىٰ دين الله وأعانتني عليه بما لها».**

قالت أُمّ سلمة : فقلنا: فديناك بآبائنا وأُمّهاتنا ، يا رسول الله إنّك لم تذكر

من خديجة أمراً إلّا وقد كانت كذلك ، غير أنّها قد مضت إلىٰ ربّها ، فهنأها الله بذلك ، وجمع بيننا وبينها في درجات جنّته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله هذا أخوك في الدين وابن عمك في النسب عليّ بن أبي طالب ، يحبّ أن تدخل عليه زوجته فاطمة وتجمع بها شمله، فقال : « **يا أُمّ سلمة ، فما بال عليّ لا يسألني ذلك ؟** » .

فقلت : يمنعه الحياء منك يا رسول الله ، قالت أُمّ أيمن : فقال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **انطلقي إلىٰ عليّ فآتيني به** » ، فخرجت من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإذا عليّ ينتظرني ليسألني عن جواب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فلمّا رآني قال : « **ما وراءك يا أُمّ أيمن ؟** » .

قلت : أجب رسول الله، قال عليّ (عليه السلام) : « **فدخلت وقمن أزواجه فدخلن البيت وجلست بين يديه مطرقاً نحو الأرض حياءً منه** » ، فقال (صلى الله عليه وآله) : « **أتحبّ أن تدخل عليك زوجتك ؟** »، فقلت وأنا مطرق : « **نعم ،فداك أبي وأُمّي** » .

فقال : « **نعم وكرامة ، يا عليّ ، أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد إن شاء الله** »[1] .

فالتفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلىٰ النساء وقال : «**من هاهنا**»؟ فقالت أُمّ سلمة : أنا أُمّ سلمة وهذه زينب وهذه فلانة وفلانة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **هيّئوا لابنتي وابن عمّي في حجري بيتاً** » فقالت أُمّ سلمة : في أيّ حجرة يا رسول الله ؟ فقال (صلى الله عليه وآله) : «**في حجرتك**»، وأمر نساءه أن يزيّنّ فاطمة ويصلحن من شأنها.

(١) كشف الغمّة ١: ٣٦٩ ـ ٣٧١ (ذكر تزويج فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٣٠ ـ ١٣١ / ح٣٢، المناقب للخوارزمي: ٣٤٩ ـ ٣٥١ / ح٣٦٤.

قالت أُمّ سلمة : فسألت فاطمة : هل عندك طيب ادّخرتيه لنفسك ؟ قالت(عليها السلام) : « **نعم** » فأتت بقارورة فسكبت منها في راحتي فشممت منها رائحة ما شممت مثله قطّ ، فقلت : ما هذا ؟ قالت (عليها السلام) : «**كان دحية الكلبي يدخل علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقول لي (صلى الله عليه وآله) : يا فاطمة هاتِ الوسادة فاطرحيها لعمّك ، فأطرح له الوسادة فيجلس عليها ، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه [فسأل عليّ(عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ذلك فقال (صلى الله عليه وآله): هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل]** ».

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **يا عليّ ، لا بدّ للعرس من وليمة** » .

فقال سعد : عندي كبش ، وجمع رهط من الأنصار أصواعاً من ذرة، وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الدراهم التي سلّمها إلىٰ أُم سلمة عشرة دراهم فدفعها إليّ وقال : « **اشتر سمناً وتمراً وإقطاً** »[1]، فاشتريت وأقبلت به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، تحسّر عن ذراعيه ودعا بسفرة من أدم[2]، وجعل يشدخ[3] التمر والسمن ويخلطهما بالأقط حتى اتخذه حيساً[4]، ثم قال : « **يا عليّ اُدعُ من أحببت** ».

فخرجت إلىٰ المسجد وهو مشحن بالصحابة ، فاستحييتُ أن أُشخص قوماً وأدع قوماً ، ثم صعدت علىٰ ربوة هناك وناديت : أجيبوا إلىٰ وليمة

---

(١) الأقط : الجبن المتخذ من اللبن الحامض، راجع لسان العرب ٧: ٢٥٧ (مادة أقط).

(٢) الأدم بفتحتين: جمع الأديم: الجلد المدبوغ ، والأدم بضمّتين : جمع الأدام للطعام. راجع للتفصيل مختار الصحاح: ص ١٤ .

(٣) الشَدْخ :كسر الشيء الرطب أو الأجوف، لسان العرب ٣: ٢٨ (مادة شدخ).

(٤) الحيس : تمر بدق ويعجن بالسمن عجناً شديداً حتىٰ يندر النوىٰ منه. راجع لسان العرب ٦: ٦١ مادة (حيس).

فاطمة، فأقبل الناس أرسالاً[(١)] فاستحييت من كثرة الناس وقلّة الطعام ، فعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما تداخلني ، فقال: «**يا عليّ إنّي سأدعو الله بالبركة ، فجلّل السفرة بمنديل، وقال : أدخل عليّ عشرة بعد عشرة ففعلت ، وجعلوا يأكلون ويخرجون لا ينقص الطعام**» وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يصبّ الطعام بيده ، والعبّاس وحمزة وعليّ وعقيل يستقبلون الناس، قال عليّ : «**فأكل القوم عن آخرهم طعامي وشربوا شرابي ، ودعوا لي بالبركة وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل**» .

ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالصحاف فملئت ووجّه بها إلىٰ منازل أزواجه ، ثم أخذ صحيفة وجعل فيها طعاماً، وقال : « **هذه لفاطمة وبعلها**»[(٢)].

١٣ ـ مراسم ليلة الزفاف :

فلمّا انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «**يا أُمّ سلمة هلمّي فاطمة**»، فانطلقت فأتت بها تسحب أذيالها وقد تصببت عرقاً حياءً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعثرت ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «**أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة**»، فلمّا وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتىٰ رآها عليٌّ (عليه السلام) .

وكانت النّسوة يرجّعن أوّل بيت من كلّ رجز ثم يكبّرن، ودخلن الدار[(٣)] .

ثم أنفذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلىٰ عليّ ودعاه ، ثم دعا فاطمة فأخذ بيدها ووضعها في يد عليّ، وقال : «**بارك الله في ابنة رسول الله ، يا علي نِعم الزوج فاطمة،**

(١) أرسال : جمع (رسل) وهو القطيع من كلّ شيء ، الجماعة. راجع لسان العرب ١١: ٢٨١ (مادة رسل).
(٢) أمالي الطوسي: ٤١ ـ ٤٢ / ح٤٥، بحار الأنوار: ٩٥ / ح٥.
(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٠ ـ ١٣١ (باب مناقب الزهراء عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١١٥ ـ ١١٦ / ح٢٤.

و يا فاطمة نِعم البعل عليّ»[١].

ثم قال: **«إنطلقا إلىٰ منزلكما ولا تُحدِثا أمراً حتى آتيكما».**

قال عليّ (عليه السلام) : **« فأخذت بيد فاطمة وانطلقت بها حتىٰ جلست في جانب الصفة وجلست في جانبها وهي مطرقة إلىٰ الأرض حياءً منّي وأنا مطرق إلىٰ الأرض حياءً منها »[٢] .**

وأمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) بنات عبد المطّلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن ، ولا يقلن ما لا يرضي الله، قال جابر : فأركبها علىٰ ناقته أو علىٰ بغلته الشهباء، وأخذ سلمان زمامها ، وحولها سبعون ألف حوراء ، والنبيّ (صلى الله عليه وآله) وحمزة وعقيل وجعفر وبنو هاشم يمشون خلفها مشهرين سيوفهم، ونساء النبيّ(صلى الله عليه وآله) قدّامها يرجزن .

ثم قال : **«يا عليّ هذه فاطمة وديعة الله ووديعة رسوله عندك، فاحفظ الله واحفظني في وديعتي»[٣].**

ثم دعا وقال : **« اللهمّ اجمع شملهما ، وألّف بين قلبيهما ، واجعلهما وذرّيتهما من ورثة جنّة النعيم، وارزقهما ذرّية طاهرة طيبة مباركة ، واجعل في ذرّيتهما البركة ، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلىٰ طاعتك ويأمرون بما رضيت »[٤].**

---

(١) أمالي الطوسي: ٤٢ ـ ٤٣ / ح٤٥، بحار الأنوار ٤٣: ٩٦ / ح٥.

(٢) أمالي الطوسي: ٤٢ ـ ٤٣ / ح٤٥، بحار الأنوار ٤٣: ٩٦ / ح٥.

(٣) شجرة طوبىٰ ٢: ٢٥٤ (المجلس ١٢ في زواج فاطمة عليها السلام). ونقل هذا المقطع العلّامة المجلسي في بحار الأنوار ٢٢: ٤٨٤ / ح٣١ عن الطرف لابن طاووس وفيه أنه في آخر لحظة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله لا في يوم زواج الزهراء عليها السلام فراجع.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٢ (مناقب فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١١٧ / ح٢٤.

فما كان إلّا أن دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبيده مصباح ، فوضعه في ناحية المنزل، وقال لي : «**يا عليّ خذ في ذلك القعب ماءً من تلك الشكوة ، ففعلت ثم أتيته به فتفل فيه تفلات ، ثم ناولني القعب وقال : اشرب منه ، فشربت ثم رددته إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فناوله فاطمة وقال : اشربي حبيبتي فشربت منه ثلاث جرعات ثم ردّته إليه، فأخذ ما بقي من الماء فنضحه علىٰ صدري وصدرها وقال: إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً ، ثم رفع يديه وقال : يا ربّ إنّك لم تبعث نبيّاً إلّا وقد جعلت له عترة ، اللهمّ فاجعل عترتي الهادية من عليّ وفاطمة**[1] .

ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب وقال : **طهّركما الله وطهّر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم ، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما**»[2] .

وأغلق الباب وأمر النساء فخرجن .

فلمّا أراد الخروج رأىٰ امرأة فقال: من أنتِ؟، قالت : أسماء ، فقال : «**ألم آمركِ أن تخرجي؟**» قالت أسماء : بلىٰ يا رسول الله ـ فداك أبي وأُمي ـ وما قصدت خلافك ، ولكنّي أعطيت خديجة عهداً، حينما حضرت خديجة الوفاة بكت، فقلت: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين ؟ وأنتِ زوجة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومبشّرة علىٰ لسانه بالجنة ؟

فقالت : ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لا بدّ لها من امرأة تفضي إليها بسرّها ، وتستعين بها علىٰ حوائجها ، وفاطمة حديثة عهد بصبا ، وأخاف أن لا يكون لها من يتولّىٰ أمرها حينئذٍ .

---

(١) نوادر المعجزات: ٩٥ / ح ١٤ .

(٢) كشف الغمّة ١: ٣٧١ ـ ٣٧٢ (ذكر تزويج فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٣٢ / ح ٣٢، المناقب للخوارزمي: ٣٥٢ / ح ٣٦٤.

فقلت : يا سيدتي لك عليّ عهد الله إن بقيت إلىٰ ذلك الوقت أن أقوم مقامَكِ في هذا الأمر ، فبكىٰ رسول الله وقال : «**بالله لهذا وقفتِ ؟**». فقلت : نعم والله ، فدعا لي[١].

١٤ ـ زيارة النبيّ (صلى الله عليه وآله) للزهراء في صبيحة عرسها :

دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) علىٰ فاطمة (عليها السلام) في صبيحة عرسها بقدح فيه لبن فقال : « **اشربي فداكِ أبوكِ** » ، ثم قال لعلي (عليه السلام) : « **اشرب فداك ابن عمّك** »[٢].

ثم سأل عليّاً : «**كيف وجدت أهلك؟**» قال (عليه السلام) : «**نِعم العون علىٰ طاعة الله** » .

وسأل فاطمة فقالت : « **خير بعل** »[٣].

قال عليّ (عليه السلام) : «**ومكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا، فلمّا كان**

(١) كشف الغمّة ١: ٣٧٦ (ذكر تزويج فاطمة عليها السلام)، كفاية الطالب للكنجي: ٣٠٦ (باب ٨٢)، بحار الأنوار ٤٣: ١٣٨ / ح ٣٤.

من كفاية الطالب للكنجي: ٣٠٧ (باب ٨٢):

إنّ ذكر أسماء بنت عميس في حديث تزويج فاطمة (عليها السلام) غير صحيح، لأن أسماء هذه امرأة جعفر بن أبي طالب، تزوجها بعده أبو بكر فولدت له محمّداً، فلما مات أبوبكر، تزوّجها عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وإن أسماء التي حضرت في عرس فاطمة (عليها السلام)، إنّما هي بنت يزيد بن السكن الأنصاري ولها أحاديث عن النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وأسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر بالحبشة وقدم بها يوم فتح خيبر سنة سبع وكان زواج فاطمة (عليها السلام) بعد بدر بأيام بسيرة. إنتهى.

إنّ إشتباه أسماء بنت عميس بأسماء بنت يزيد ممكن بأن يكون الراوي ذكر أسماء فتبادر الى الأذهان بنت عميس لأنها أعرف، لكن ذلك ينافي آخر الحديث. وهو إنّها حضرت وفاة خديجة (عليها السلام)، وأسماء بنت يزيد أنصارية من أهل المدينة. واحتمل الإربلي في كشف الغمّة ١: ٣٧٦ (ذكر تزويج فاطمة عليها السلام) أن تكون التي شهدت الزفاف (سلمىٰ بنت عميس) زوجة حمزة (عليه السلام)، وأشتبه بعض الرواة بأسماء لشهرتها وتبعه الباقون.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٢ (ذكر مناقب فاطمة عليها السلام)، كشف الغمّة ١: ٣٧٨ (ذكر تزويج فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١١٧ / ح ٢٤.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣١ (ذكر مناقب فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوا ٤٣: ١١٧ / ح ٢٤.

في صبيحة اليوم الرّابع جاءنا (صلى الله عليه وآله) ليدخل علينا...»(١) .

فلمّا دخل عليهما أمر عليّاً بالخروج ، وخلا بـابنته فـاطمة (عليها السلام) **وقـال : «كيف أنت يا بُنيّة ؟ وكيف رأيت زوجكِ ؟ »** .

قالت : « **يا أبه خير زوج ، إلّا أنّه دخل عليَّ نساء من قريش وقلن لي زوّجكِ رسول الله من فقير لا مال له** »، فقال (صلى الله عليه وآله) لها : « **يا بنية ما أبوك ولا بعلُك بفقير، ولقد عرضت عليَّ خزائن الأرض ، فاخترت ما عند ربّي ، والله يا بنية ما ألوتك نصحاً أنّ زوّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً**» .

« **يا بُنية إنّ الله ـ عزوجل ـ اطلع إلىٰ الأرض فاختار من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباكِ والآخر بعلكِ، يا بنية نِعم الزوج زوجكِ ، لا تعصي له أمراً** » .

ثم صاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعليّ : « **يا عليّ** »، فقال : « **لبيك يـا رسـول الله** » ، قال : **أُدخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها ، فإنّ فاطمة بضعة منّي، يؤلمني ما يؤلمها ويسرّني ما يسرّها ، أستودعكما الله وأستخلفه عليكم**»(٢).

وفـي روايـة : لمّـا زوّج رسـول الله (صلى الله عليه وآله) إبـنته فـاطمة (عليها السلام) قـال لهـا : « **زوّجتك سيّداً في الدنيا والآخرة ، وإنّه أوّل أصحابي إسلاماً وأكثرهم عـلماً وأعـظمهم حلماً** »(٣).

---

(١) كشف الغمّة ١: ٣٧١ (ذكر تزويجها عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٣٢ / ح١٣٢.

(٢) كشف الغمّة ١: ٣٧٢ ـ ٣٧٣ (ذكر تزويجها عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٣٣ ـ ١٣٤ / ح٣٢، المناقب للخوارزمي: ٣٥٣ / ح٣٦٤.

(٣) العُدد القوية: ٢٤٧ / ح٤٢، الاستيعاب لابن عبدالبرّ ٣: ١٠٩٩ (ترجمة عليّ عليه السلام رقم ١٨٥٥)، تهذيب الكمال للمزي ٢٠: ٤٨٤ (ترجمة عليّ عليه السلام رقم ٤٠٨٩).
وقد وردت أحاديث كثيرة بزواج الزهراء وأميرالمؤمنين(عليهما السلام) وفضل عليّ(عليه السلام) أحجمنا عن ذكرها للاختصار.

١٥ ـ تاريخ الزواج :

إنّ الروايات التي وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) تنصّ كلّها على وقوع الزواج بعد عودة المسلمين من معركة بدر منتصرين .

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : « **تزوّج عليّ فاطمة (عليها السلام) في شهر رمضان وبنى بها في ذي الحجة من العام نفسه بعد معركة بدر** »[١].

وروي أيضاً أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل بفاطمة (عليها السلام) بعد رجوعه من معركة بدر لأيام خلت من شوال السنة الثانية من الهجرة النبويّة المباركة[٢].

وروي في أوّل يوم من ذي الحجة (السنة الثانية من الهجرة) زوّج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة عليّاً (عليه السلام)[٣].

❊ ❊ ❊

(١) كشف الغمّة ١: ٣٧٤ (ذكر تزويج فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوا ٤٣: ١٣٦ / ح٣٣.
(٢) أمالي الطوسي : ٤٣ مجلس٢ حديث ٤٧، بحار الأنوار ٤٣: ٩٧ / ح٧.
(٣) مصباح المتهجد للطوسي : ٦١٣ (ط. حجرية).

مميّزات زواج الزهراء (عليها السلام) بعليّ (عليه السلام)

لقد امتاز زواج السيّدة فاطمة سلام الله عليها بما يلي :

١ ـ إنّه زواج من السماء وبأمر من الله تعالىٰ قبل أن يكون نسباً أرضياً ، ومجرد ارتباط عاطفي ، ويكفينا في ذلك ما رويَ عن عمر بن الخطاب إذ قال: نزل جبرئيل فقال : «**يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تزوّج فاطمة ابنتك من عليّ** »[1].

٢ ـ إنّ الله تعالىٰ قد جعل الذرّيّة النبويّة الطاهرة محصورة بهذا الزواج المبارك ، ومن طريق هذين الزوجين ، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : «**كلّ نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكلّ بني أُنثىٰ فعصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإنّي أبوهم وأنا عصبتهم**»[2].

٣ ـ إنّ الزهراء (عليها السلام) وحيدة محمّد (صلى الله عليه وآله) التي لم يكن لها أُخت في النسب الأبوي ، أمّا زينب ورقية وأُمّ كلثوم ـ وإن اشتهرن بكونهنّ بنات محمّد (صلى الله عليه وآله) ـ فهنّ بنات هالة أُخت خديجة، وقد كنّ في بيت خديجة حينما اقترنت بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) ، ولم يؤيّد التحقيق التأريخي بنوّتهنّ لمحمّد (صلى الله عليه وآله)[3].

---

(١) ذخائر العقبىٰ: ٣١ (ذكر تزويج فاطمة عليها السلام)، ينابيع المودّة للقندوزي ٢: ١٢٣ / ح٣٥٦.

(٢) العمدة لابن البطريق: ٢٨٧ / ح٤٦٤، ذخائر العقبىٰ: ١٦٩ (فصل ١٨ في ذكر أُم كلثوم بنت فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٢: ٩٧ / ح٢٩، كنز العمال ١٣: ٦٢٤ / ح٣٧٥٨٦.

(٣) الإمام عليّ بن أبي طالب سيرة وتاريخ : ص٢٧ ، الشيخ محمّد حسن آل ياسين، وراجع الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي المتوفىٰ ٣٥٢ : الصفحة ٨٠ ـ ٨٢ طبعة دار الكتب العلمية ـ قم .

من الزواج إلىٰ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)

١ ـ الزهراء (عليها السلام) في بيت الزوجيّة :

لمّا تزوّج عليّ من فاطمة (عليها السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ : «**أُطلب منزلاً**»، فطلب عليّ منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قليلاً فبنىٰ بها فيه .

فجاء النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ ابنته فقال : « **إنّي أُريد أن أُحوّلك إليّ** »، فقالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : «**فكلّمْ حارثة بن النعمان أن يتحوّل عنّي**» فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **قد تحوّل حارثة عنّا حتىٰ قد استحييت منه** »، فبلغ ذلك حارثة فجاء إلىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وقال : يا رسول الله إنّه بلغني أنّك تحوّل فاطمة إليك وهذه منازلي وهي أسقب[1] بيوت بني النجّار بك ، وإنّما أنا ومالي لله ولرسوله ، والله يا رسول الله المال الذي تأخذ منّي أحبّ إليّ من الذي تدع، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **صدقت ، بارك الله عليك** » فحوّلها رسول الله إلىٰ بيت حارثة[2].

انتقلت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلىٰ بيت الزوجيّة وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوّة الىٰ دار الإمامة والولاية ، فهي تعيش في جوّ تكتنفه القداسة والنزاهة ، وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش ، وكانت تعين زوجها علىٰ أمر دينه وآخرته .

كان عليّ (عليه السلام) يحترم السيّدة فاطمة الزهراء احتراماً لائقاً بها ، لا لأنّها

(١) أسقب : مفرده سقب والسقب: الغصن الطويل الريان . وقيل: عمود الخباء، وكذلك قيل: ولد الناقة . كتاب العين: ٥/٨٤ مادة (سقب) .
(٢) الطبقات الكبرىٰ ٨: ١٦٦ (ذكر أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله) .

زوجته فقط، بل لأنّها أحبّ الخلق إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولأنّها سيّدة نساء العالمين، ولأنّ نورها من نور رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولأنّها مجموعة الفضائل والقيم.

ولم يُعلم بالضبط مدّة إقامة الإمام عليّ والسيّدة فاطمة (عليهما السلام) في دار حارثة بن النعمان إلّا أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنىٰ لها بيتاً ملاصقاً لمسجده ، له باب شارع إلىٰ المسجد كبقية الحجرات التي بناها لزوجاته، وانتقلت السيّدة فاطمة إلىٰ ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله والمجاور لبيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) .

ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله)ليترك هذا الغرس النبويّ دون أن يرعاه ويحتضنه بتوجيهه وعنايته ، فعاش الزوجان في ظلّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) وفي كنفه ومنح النبيّ(صلى الله عليه وآله) فاطمة بعد زواجها ما لم يمنحه لأحدٍ من الحبّ والنصيحة والتوصية، فقد علّمها أبوها (صلى الله عليه وآله) معنى الحياة ، وأوحىٰ لها بأنّ الإنسانية هي جوهر الحياة ، وأنّ السعادة الزوجية القائمة علىٰ الخلق والقيم الإسلامية هي أسمىٰ من المال والقصور والزخارف وقطع الأثاث وتحف الفن المزخرفة .

وتعيش فاطمة الزهراء في كنف زوجها قريرة العين سعيدة النفس، لا تفارقها البساطة ولا تبرح بيتها خشونة الحياة ، فهي الزوجة المثالية ، زوجة عليّ بطل المسلمين ، ووزير الرسول (صلى الله عليه وآله) ومشاوره الأوّل ، وحامل لواء النصر والجهاد ، وعليها أن تكون بمستوىٰ المسؤولية الخطيرة ، وأن تكون لعليّ كما كانت أُمّها خديجه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تشاركه في جهاده وتصبر علىٰ قساوة الحياة ورسالة الدعوة الصعبة .

لقد كانت حقاً بمستوىٰ مهمتها التي اختارها الله تعالىٰ لها ، فكانت القدوة الصالحة للمسلم الرسالي وللمرأة النموذجية المسلمة .

أ ـ إدارة شؤون البيت والحياة الشاقة :

إنّ البيت الوحيد الذي كان يضمّ بين جدرانه زوجين معصومين مطهّرين منزّهين عن ارتكاب الذنوب واكتساب المآثم ، يتصفان بالفضائل الأخلاقية والكمال الإنساني هو بيت عليّ وفاطمة (عليهما السلام) .

فعليّ (عليه السلام) نموذج الرجل الكامل في الإسلام ، وفاطمة نموذج المرأة الكاملة في الإسلام ، ترعرعا في ظلّ النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله) وغذّاهما بالعلم وسائر الفضائل، واستأنست آذانهما الواعية منذ الصغر بالقرآن الكريم وهما يسمعان النبيّ (صلى الله عليه وآله) يرتّله ليلاً ونهاراً وفي كلّ آن، وأطلّا علىٰ الغيب وارتشفا العلوم والمعارف الإسلامية من معينها الأصيل ومنبعها العذب، ورأيا الإسلام يتحرّك في شخص رسول الله(صلى الله عليه وآله) فكيف إذن لا تكون أُسرتهما النموذج الأمثل للأُسرة المسلمة ؟.

كان بيت عليّ وفاطمة (عليهما السلام) أروع نموذج في الصفاء والإخلاص والمودّة والرحمة ، تعاونا فيه بوئام وحنان علىٰ إدارة شؤون البيت وإنجاز أعماله، وقضىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخدمة فاطمة دون الباب وقضىٰ علىٰ عليّ بما خلفه .

قالت فاطمة (عليها السلام) : **« فلا يعلم ما داخلني من السرور إلّا الله ، بكفايتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحمّل رقاب الرجال »**(١).

إنّ الزهراء خرّيجة مدرسة الوحي، وهي تعلم أنّ معقل المرأة من المواقع المهمّة في الإسلام ، وإذا ما تخلّت عنه وسرحت في الميادين الأُخرىٰ

---

(١) قرب الإسناد ٥٢/ ح ١٧٠، بحار الأنوار ٤٣: ٨١ / ح ١.

عجزت عن القيام بوظائف تربية الأبناء كما ينبغي، ومن هنا تهلّل وجهها بالبشر وداخلها السرور بما قضىٰ به الرسول (صلى الله عليه وآله).

لقد كانت بنت النبيّ الأكرم تبذل قصارىٰ جهدها لإسعاد أُسرتها، ولم تستثقل أداء مهام البيت رغم كلّ الصعوبات والمشاق، حتىٰ أنّ عليّاً أمير المؤمنين (عليه السلام) رقّ لحالها وامتدح صنعها، وقال لرجل من بني سعد: **«ألا أُحدّثك عنّي وعن فاطمة؟ إنّها كانت عندي وكانت من أحبّ أهله (صلى الله عليه وآله) إليه، وإنّها استقت بالقربة حتىٰ أثّر في صدرها، وطحنت بالرحىٰ حتىٰ مجلت يداها، وكسحت البيت حتىٰ اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتىٰ دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد فقلت لها: لو أتيت أباكِ فسألتيه خادماً يكفيكِ ضرّ ما أنتِ فيه من هذا العمل، فأتت النبيّ (صلى الله عليه وآله) فوجدت عنده حُدّاثاً**(١) **فاستحت فانصرفت».**

قال عليّ (عليه السلام): **«فَعلم النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّها جاءت لحاجة، قال (عليه السلام): فغدا علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحن في لِفاعنا**(٢)**، فقال (صلى الله عليه وآله): السلام عليكم، فقلت: وعليك السلام يا رسول الله أُدخل، فلم يعد أن يجلس عندنا، فقال (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة، ماكانت حاجتك أمس عند محمّد؟ قال (عليه السلام): فخشيتُ إن لم تجبه أن يقوم، فأخبره عليّ بحاجتها، فقلت: أنا والله أُخبرك يا رسول الله إنّها استقت بالقربة حتىٰ أثّرت في صدرها وجرّت بالرحىٰ حتىٰ مجلت يداها وكسحت البيت حتىٰ اغبرّت ثيابها وأوقدت النار تحت القدر حتىٰ دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيتِ أباكِ فسألتيه خادماً يكفيك ضرّ ما أنت فيه من هذا العمل، فقال (صلى الله عليه وآله): أفلا أُعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبّرا أربعاً وثلاثين»**(٣).

---

(١) أي: جماعة يتحدّثون معه.

(٢) لفاعنا: أي لحافنا، لسان العرب ٨: ٣٢١ مادة (لفع).

(٣) علل الشرائع ٢: ٣٦٦ (باب ٨٨، ح١)، مكارم الأخلاق للطبرسي: ٢٨٠ ـ ٢٨١ الباب ١٠، فصل ٢)، بحار الأنوار ٧٣: ١٩٣ ـ ١٩٤ / ح٦.

وفي رواية : أنّها لمّا ذكرت حالها وسألت جارية بكىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : « **يا فاطمة والذي بعثني بالحقّ ، إنّ في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام وثياب ولو لا خشيتي لأعطيتك ما سألتِ ، يا فاطمة وإنّي لا أُريد أن ينفك عنكِ أجرك إلىٰ الجارية ، وإنّي أخاف أن يخصمك عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يوم القيامة بين يدي الله ـ عزّوجلّ ـ إذا طلب حقّه منكِ، ثم علّمها صلاة التسبيح** » .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « **مَضَيْتِ تريدين من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة** »[1].

وفي ذات يوم دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) علىٰ عليّ (عليه السلام) فوجده هو وفاطمة(عليها السلام) يطحنان في الجاروش، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : «**أيّكما أعيىٰ ؟**» فقال عليّ (عليه السلام) : «**فاطمة يا رسول الله**» فقال (صلى الله عليه وآله) : « **قومي يا بنية** » ، فقامت وجلس النبيّ (صلى الله عليه وآله) موضعها مع عليّ (عليه السلام) فواساه في طحن الحبّ[2].

وروي عن جابر الأنصاري أنّه رأىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) فاطمة وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها ، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال : « **يا بنتاه ، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة** » فقالت : « **يا رسول الله ، الحمد لله علىٰ نعمائه ، والشكر لله علىٰ آلائهِ** » ، فأنزل الله ﴿ **ولسوف يعطيك ربّك فترضىٰ** ﴾[3]»[4].

وعن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال : «**كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة (عليها السلام) تطحن وتعجن وتخبز**»[5].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٢٠ (باب مناقب فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٨٥ / ح٨.
(٢) الفضائل لشاذان: ١١٢ (خبر فضائله عليه السلام يعني عليّ)، بحار الأنوار ٤٣: ٥٠ ـ ٥١ /ح ٤٧.
(٣) الضحى (٩٣): ٥.
(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٢٠ (باب مناقب فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٨٦ / ح٨.
(٥) الكافي ٥: ٨٦ / ح١ (باب عمل الرجل في بيته)، أمالي الطوسي: ٦٦١ / ح١٣٦٩، المناقب لابن شهرآشوب: ٣٧٢ (فصل في المسابقة في التواضع)، بحار الأنوار ٤٣: ١٥١ / ح٧.

وعن أنس : أنّ بلالاً أبطأ عن صلاة الصبح ، فـقال له النـبيّ (صلى الله عليه وآله) : «**ما حبسك ؟** » قال : مررت بفاطمة تطحن والصبي يبكي ، فقلت لهـا : إن شـئت كفيتك الرحىٰ وكفيتني الصبي ، وإن شئت كفيتكِ الصـبي وكـفيتني الرحـىٰ فقالت : « **أنا أرفق بابني منك** » .

فذاك الذي حبسني ، قال (صلى الله عليه وآله) : « **فرحمتها ، رحمك الله** »[١].

وعــن أسـماء بـنت عـميس عـن فـاطمة بـنت رسـول الله (صلى الله عليه وآله) : « **أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله) أتىٰ يوماً فقال : أين ابـناي ؟** ـ يعني حسناً وحسيناً ـ قالت : **أصـبحنا وليس عندنا في بيتنا شيء يذوقه ذائق** . فقال عـليّ (عليه السلام) : **اذهب بـهما إلىٰ فـلان؟**، فتوجّه إليهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر فقال (صلى الله عليه وآله) : **يا عـليّ ، ألا تـقلب ابـنيّ قـبل أن يشـتدّ الحـرّ عـليهما ؟** فـقال عليّ(عليه السلام) : **أصبحنا وليس في بيتنا شيء ، فلو جلست يا رسول الله حتىٰ أجمع لفـاطمة تمرات** »، فلمّا اجتمع له شيء من التمر جعله في حجره ثم عاد إلىٰ البيت[٢].

وعن عمران بن حصين قال :كنت مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) جالساً إذ أقبلت فاطمة فوقفت بين يديه فنظر إليها وقد غلبت الصفرة علىٰ وجهها ، وذهب الدم من شدّة الجوع ، فقال : « **أُدني يا فاطمة** فدنت ثم قال : **أُدني يا فـاطمة** فـدنت حـتىٰ وقفت بين يديه ، فوضع يده علىٰ صـدرها فـي مـوضع القـلادة وفـرّج بـين أصابعه وقال : **اللهمّ مشبع الجاعة ورافع الوضعة لا تجع فاطمة بنت محمّد** »[٣].

---

(١) ذخائر العقبى: ٥١ (ماكانت عليها السلام فيه من ضيق العيش)، مسند أحمد ٣: ١٥٠ ـ ١٥١ (مسند أنس)، مجمع الزوائد ١٠: ٣١٦ (باب في عيش سول الله صلى الله عليه وآله) .

(٢) كشف الغمّة ٢: ٢٧٢ (في مصرع الحسين عليه السلام ومقتله)، ذخائر العقبىٰ: ٤٩ (ماكانت عليها السلام فيه من ضـيق العيش)، المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤٢٢ (ذكر ما أسندت أسماء بنت عميس عن فاطمة عليها السلام).

(٣) الخـرائـج والجـرائـح ١: ٥٢ / ح ٨٠، بـحار الأنـوار ٤٣: ٢٧٠ / ح ٢٩، نـظم درر السـمطين: ١٩١ (ذكـر ←

هذه هي الدنيا في عين فاطمة بنت الرسول مواجهة للمعاناة وتألّم من الجوع وانهيار من التعب ، ولكن كلّ ذلك يبدو ممزوجاً بحلاوة الصبر وندىٰ الإيثار ، لأنّ وراءه نعيماً لا انتهاء له ، حصة يوم يوفّىٰ الصابرون أجرهم فيه بغير حساب .

إنّ إلقاء نظرة فاحصة علىٰ حياة الزهراء (عليها السلام) توضّح لنا أنّ حياتها الشاقة لم تتغيّر حتىٰ بعد أن أصبحت موفورة المال ، في سعة من العيش ـ خصوصاً بعد فتح بني النضير وخيبر وتمليكها فدكاً وغيرها ـ عمّا كانت عليه قبل ذلك رغم غلّتها الوافرة، إذ روي أنّ فدكاً كان دخلها أربعة وعشرين ألف دينار ، وفي روايةٍ سبعين ألف دينار سنوياً[١].

فالزهراء لم تعمر الدور ولم تبن القصور ولم تلبس الحرير والديباج ولم تَقْتَنِ النفائس، بل كانت تنفق كلّ ذلك علىٰ الفقراء والمساكين وفي سبيل الدعوة إلىٰ الله ونشر الإسلام .. وهكذا كان حال زوجها عليّ (عليه السلام) الذي أوْقف علىٰ الحُجاج مائة عين استنبطها في ينبع[٢] وقد بلغت صدقات أمواله في السنة أربعين ألف دينار[٣]، وكانت صدقاته هذه كافية لبني هاشم جميعاً إن لم نقل إنّها تكفي أُمة كبيرة من الناس من غيرهم ، إذا لاحظنا أنّ ثلاثين درهماً كانت كافية لشراء جارية للخدمة، وكان الدرهم يكفي لشراء حاجات كثيرة حينذاك .

← محلّها عليها السلام من أبيها صلى الله عليه وآله)، مجمع الزوائد ٩: ٢٠٣ (مناقب فاطمة عليها السلام)، سبل الهدىٰ والرشاد ١١: ٤٨ (أبواب فضائل الرسول صلى الله عليه وآله)، فصل ٩).

(١) كشف المحجّة لابن طاووس: ١٢٤ (ذكر وهب فدكاً لها عليها السلام)، بحار الأنوار ٢٩: ١٢٣ / ح٢٥.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ١: ٣٨٨ (فصل في المسابقة بصالح الأعمال)، بحار الأنوار ٤١: ٣٢ / ح٣.

(٣) كشف الغمّة لابن طاووس: ١٢٤ (ذكر غلة صدقاته عليه السلام)، بحار الأنوار ٤١: ٤٣ / ذيل ح ٢١، مسند أحمد ١: ١٥٩ (مسند عليّ بن أبي طالب عليه السلام)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٧٥ (ترجمة الإمام عليّ عليه السلام رقم ٤٩٣٣)، البداية والنهاية ٧: ٣٦٨ (ذكر زوجاته عليه السلام وبنيه).

ب ـ طيب معاشرتها للإمام عليّ (عليه السلام) :

عاشت الزهراء (عليها السلام) في بيت أعظم شخصية إسلامية بعد الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) على الإطلاق ، رجلٍ مهمته حمل راية الإسلام والدفاع عنه .

وكانت الظروف السياسية حسّاسة وفي غاية الخطورة يوم كانت جيوش الإسلام في حالة إنذار دائم، إذ كانت تشتبك في حروب ضروس في كلّ عام ، وقد اشترك الإمام عليّ (عليه السلام) في أكثرها .

وكانت الزهراء توفّر الجوّ اللازم والدفء والحنان المطلوب في البيت المشترك، وبهذا كانت تشترك في جهاد عليّ أيضاً فإنّ «**جهاد المرأة حسن التبعّل**» كما ورد في الحديث الشريف[١].

لقد كانت الزهراء (عليها السلام) تشجّع زوجها ، وتمتدح شجاعته وتضحيته، وتشدّ علىٰ يده للمعارك المقبلة، وتسكّن جراحه وتمتص آلامه ، وتسرّي عنه أتعابه ، حتى قال الإمام عليّ (عليه السلام) : « **ولقد كنت أنظر إليها فتنجلي عنّي الغموم والأحزان بنظرتي إليها** »[٢] .

ولقد كانت حريصة كلّ الحرص في القيام بمهام الزوجية، وما خرجت فاطمة (عليها السلام) من بيتها يوماً بدون إذن زوجها ، وما أسخطته يوماً وما كذبت في بيته وما خانته وما عصت له أمراً، وقابلها الإمام عليّ (عليه السلام) بنفس الاحترام والودّ وهو يعلم مقامها ومنزلتها الرفيعة، حتىٰ قال : « **فوالله ما أغضبتها ولا أكربتها من بعد ذلك حتىٰ قبضها الله إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً** »[٣].

---

(١) الكافي ٥: ٩ / ح١ (باب جهاد الرجل والمرأة)، مكارم الأخلاق للطبرسي: ٢٥١ (باب ٨ فصل ٥)، بحار الأنوار ١٨: ١٠٧ / ح٤، مسند الشهاب لابن سلامة ١: ٨٢ / ح٧٩، كنز العمال ١٥: ٩٠٧ / ح٤٣٥٦٦.

(٢) المناقب للخوارزمي : ٣٥٣ ـ ٣٥٤ / ح٣٦٤، كشف الغمّة ١: ٣٧٣ (ذكر تزويجه بفاطمة عليها السلام).

(٣) كشف الغمّة ١: ٣٧٣ (ذكر تزويجه بفاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٣٤ / ح٣٢، المناقب للخوارزمي: ←

وذكر الإمام (عليه السلام) ذلك في لحظات عمر الزهراء (عليها السلام) الأخيرة حين أرادت أن توصيه : « **يا ابن عمّ! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ، ولا خالفتك منذ عاشرتني** »؟ فقال (عليه السلام) : « **معاذ الله ، أنتِ أعلم بالله وأبرّ وأتقىٰ وأكرم وأشدّ خوفاً منه، والله جدّدت عليّ مصيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد عظمت وفاتكِ وفقدك ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون** »[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال : أصبح عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ذات يوم ساغباً فقال : «**يا فاطمة هل عندك شيء تغذينيه ؟** قالت : **لا ، والذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة ما أصبح الغداة عندي شيء وماكان شيء أُطعمناه مذ يومين إلّا شيء كنت أُؤثرك به علىٰ نفسي وعلىٰ ابنيّ هذين (الحسن والحسين)** فقال عليّ (عليه السلام) : **يا فاطمة ألاكنت أعلمتني فأبغيكم شيئاً ؟** فقالت: **يا أبا الحسن إنّي لأستحي من إلهي أن أكلّف نفسك ما لا تقدر عليه**»[2].

هكذا عاش هذان الزوجان النموذجيان في الإسلام، وأدّيا واجباتهما، وضربا المثل الأعلىٰ للأخلاق الإسلامية السامية،كيف لا؟ وقد قال النبيّ(صلى الله عليه وآله) في ليلة الزفاف لعليّ (عليه السلام) : « **يا عليّ ، نِعمَ الزوجة زوجتك** وقال لفاطمة (عليها السلام) : **يا فاطمة نِعم البعل بعلُك** »[3].

وقال (صلى الله عليه وآله) : « **لو لا عليّ لم يكن لفاطمة كفؤ** »[4].

← ٣٥٣ / ح٣٦٤.

(١) روضة الواعظين للنيسابوري: ١٥١ (مجلس في ذكر وفاة فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٩١ / ح١٩.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٨٣ / ٦٠، تأويل الآيات للحسيني ١: ١٠٨ / ح١٥، بحار الأنوار ٣٧: ١٠٣ / ح٧ وج٤٣: ٥٩/ح١ .

(٣) كشف الغمّة ١: ٣٧١ (ذكر تزويجه بفاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٣٣ / ح٣٢، المناقب للخوارزمي: ٣٥٢ / ح٣٦٤.

(٤) كشف الغمّة ٢: ١٠٠ (في فضائل فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٤١ / ح٣٧.

ج ـ فاطمة (عليها السلام) في دور الاُمّ :

إنّ الاُمومة من الوظائف الحسّاسة والمهامّ الثقيلة التي اُلقيت علىٰ عاتق الزهراء (عليها السلام) . وقد أنجبت خمسة أولاد هم : الحسن والحسين وزينب واُمّ كلثوم في حين اسقط جنينها المحسن قبل ولادته[1].

وقد قدّر الله سبحانه وتعالىٰ أن يكون نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذرّيّته من فاطمة (عليها السلام)، كما أخبر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله : « **إنّ الله جعل ذرّيّة كلّ نبيّ في صلبه وجعل ذرّيّتي في صلب عليّ بن أبي طالب** »[2].

إنّ الزهراء (عليها السلام) ـ وهي ربيبة الوحي والنبوّة ـ تَعرِف جيداً مناهج التربية الإسلامية والتي تجلّت في تربيتها لمثل الحسن المجتبىٰ (عليه السلام) الذي غذّته بصبرها وحلمها ليتحمّل مسؤولية قيادة المسلمين ويتجرّع الغصص في أحرج اللحظات من تأريخ الرسالة ، ويصالح معاوية على مضضٍ حفاظاً علىٰ سلامة الدين الإسلامي والفئة المؤمنة ، ويعلن للعالم أنّ الإسلام وهو دين السلام لا يسمح لأعدائه باستغلال مشاكله الداخلية لضربه وإضعافه، فيُسقط ما في يد معاوية ويُفشل خططه ومؤامراته لإحياء الجاهلية ، ويكشف تضليله لعامة الناس ولو بعد برهة ، ويقضي على المخطط الأُموي لإجهاض ما حقّقته الرسالة من انتصارات حقيقيّة .

---

(١) لأنّ المحسن ولد ميتاً من ضربة المهاجمين على دار الزهراء بعد امتناع عليّ(عليه السلام) من البيعة بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله). وقد عدّ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة الإمام الحسن ـ أولاد السيّدة الزهراء ـ وأورد المحسن قائلاً: مات في حياة أبيه. فراجع.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٥٠ / ح٦٠٩، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٥٧ ـ ١٥٨ (باب إمامة السبطين)، ذخائر العقبى: ٦٧ (ذكر إن الله جعل ذريّة بنيه صلى الله عليه وآله)، المعجم الكبير للطبراني ٣: ٤٤ / ح ٢٦٣٠، تاريخ بغداد ١: ٣٣٣ (ترجمة محمّد بن أحمد المؤدب رقم ٢٠٦)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٥٩ (ترجمة عليّ عليه السلام رقم ٤٩٣٣).

والزهراء (عليها السلام) قد ربّت مثل الحسين السبط (عليه السلام) الذي اختار التضحية بنفسه وجميع أهله وأعزّ أصحابه في سبيل الله ومن أجل مقارعة الظلم والظالمين، وليُروّي بدمه شجرة الإسلام الباسقة .

وربَّت الزهراء (عليها السلام) مثل زينب وأُمّ كلثوم ، وعلّمتهنّ دروس التضحية والفداء والصمود أمام الظالمين ، حتىٰ لا يذعنّ ولا يخضعن للظالم وسطوته، ويقلن الحقّ ، أمام جبروت بني أُميّة بكلّ جرأة وصراحة، لتتّضح خطورة المؤامرة علىٰ الدين وعلىٰ أُمّة سيّد المرسلين .

٢ ـ الزهراء (عليها السلام) مع النبيّ (صلى الله عليه وآله) في تثبيت دعائم الدولة :

أ ـ الزهراء (عليها السلام) قبل فتح مكّة :

منذ أن دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة المنورة كان دائباً علىٰ هدم أركان الجاهلية واستئصال جذورها وضرب مواقعها ، فكانت حياته في المدينة المنوّرة كما كانت في مكّة حياة جهاد وبناء، جهاد المشركين والمنافقين واليهود والصليبيين ، وبناء الدولة الإسلامية العظيمة ، ونشر الدعوة وتبليغها في كلّ بقعة يمكن لصوت التوحيد أن يصل إليها، فراح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحارب بالكلمة والعقيدة تارةً ، وبالسيف والقوة تارةً أُخرىٰ ، وبالأُسلوب الذي يمليه الهدىٰ وتفرضه الحكمة .

وهكذا جاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقاتل في مرحلة حرجة صعبة ، لم يكن يملك فيها من المال والجيوش والاستعدادات العسكرية ما يعادل أو يقارب جيوش الأحزاب وقوىٰ البغي والضلال، التي تصدّت لدعوة الحقّ والهدىٰ ، بل كانت كلّ قوّته تتلخّص في إيمانه وثقته بربّه واستظهاره بالفئة المخلصة من أصحابه.

والذي يقرأ تاريخ الدعوة الإسلامية وجهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويلاحظ مواقف صبره وصموده؛ يعرف عظمة هذا الإنسان المبدئي ،ويدرك قوّة عزيمته ومدىٰ صبره ومستوىٰ رعاية الله ونصره له ولأُولئك المجاهدين الذين حملوا راية الجهاد بين يديه، فيكتشف مصدر النصر والقوة لهذا الدين وهذه الرسالة الخاتمة.

ولقد مرّت فاطمة بهذه الفترة الجهادية الصعبة التي كانت تعي كامل ظروفها وأبعادها وهي تعيش في كنف زوجها وأبيها، تعيشها بروحها الصابرة ومشاعرها الرقيقة، وبجهادها في بيتها الجديد، الذي تواسي فيه زوجها وتشارك أباها الشدائد والمحن، فقد شهدت جهاد أبيها وهي تتأسىٰ بصبره واحتماله ، لقد شاهدته وهو يُجرح في (أُحد) وتُكسر رباعيته ، ويخذله المنافقون ، ويستشهد عمّ أبيها حمزة أسد الله وأسد رسوله كما تستشهد النخبة من المؤمنين معه .

لقد روي أنّ فاطمة (عليها السلام) لما انتهت مع صفيّة إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ بعد معركة أُحد ـ ونظرتا إليه قال (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) : « **أمّا عمّتي فاحبسها عنّي وأمّا فاطمة فدعها**» فلمّا دنت فاطمة (عليها السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورأته قد شُجّ وجهه وأُدمي فوه ، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول : «**اشتد غضب الله علىٰ مَنْ أدمىٰ وجه رسول الله(صلى الله عليه وآله)**»، وكان (صلى الله عليه وآله) يتناول بيده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء[1].

وكانت فاطمة (عليها السلام) تحاول تضميد جرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقطع الدم الذي كان ينزف من جسده الشريف ، فكان زوجها يصبّ الماء علىٰ جرح

(١) إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ١٧٩ (ذكر غزوة أُحد)، بحار الأنوار ٢٠: ٩٥ ـ ٩٦ / ح٢٨.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تغسله ، ولمّا يئست من انقطاع الدم أخذت قطعة حصير وأحرقتها حتىٰ صار رماداً فذرّته علىٰ الجرح حتىٰ انقطع دمه(١).

ويحدّثنا التأريخ عن مشاركة فاطمة (عليها السلام) بإخلاص بروحها ومشاعرها لأبيها في كفاحه وصبره وجهاده في أكثر من موقع وحدث.

فقد روي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قدم من غزاة له ، فدخل المسجد فصلّىٰ فيه ركعتين ، ثم بدأ ـ كعادته ـ ببيت فاطمة قبل بيوت نسائه، وقد جاءها ليزورها ويسرّ بلقائها ، فرأت علىٰ وجهه آثار التعب والإجهاد ، فتألّمت لما رأت وبكت فسألها النبيّ (صلى الله عليه وآله) : **« ما يبكيك يا فاطمة؟ فقالت : أراك قد شحب لونك فقال**(صلى الله عليه وآله) **لها : يا فاطمة إنّ الله ـ عزّوجلّ ـ بعث أباكِ بأمر لم يبق علىٰ ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلّا دخله به عزّاً أو ذلاً يبلغ حيث يبلغ الليل»**(٢).

وليست هذه العاطفة وتلك العناية والمشاركة مع الأب القائد والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) من ابنته فاطمة (عليها السلام) هي كلّ ماكانت تقدّمه لأبيها من إيثارها له واهتمامها به ومشاركتها له في شدّته وعسرته ، إنّها جاءت يوم الخندق ورسول الله(صلى الله عليه وآله) منهمك مع أصحابه في حفر الخندق لتحصين المدينة وحماية الإسلام، جاءته وهي تحمل كسرة خبز فرفعتها إليه فقال (صلى الله عليه وآله) : **« ما هذه يا فاطمة ؟ »** قالت : **« من قرص اختبزته لابنيّ ، جئتك منه بهذه الكسرة فقال**(صلى الله عليه وآله):

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢: ٤١٧ (في تفسير سورة آل عمران الآية ١٥٢)، بحار الأنوار ٥٩: ١٩٢ / ح ٤، صحيح مسلم ٥: ١٧٨ (كتاب الجهاد والسيرة، باب غزوة أُحد)، المعجم الكبير للطبراني ٦: ١٧٢ (باب حديث عبدالعزيز بن أبي حازم).

(٢) حلية الأولياء ٢: ٣٠ (ترجمة أبو ثعلبة الخشني)، تاريخ مدينة دمشق ٤٠: ٢٣٠ (ترجمة عروة بن رويم رقم ٤٦٨٦)، كنز العمال ١: ٣٠٤ / ح١٤٤٨. وقد رواه الحاكم في المستدرك ٣: ١٥٥ (باب مناقب أهل البيت عليهم السلام)، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢: ٢٢٥ (في حديث عروة بن رويم عن أبي ثعلبة الخشني)، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨: ٢٦٢ ـ ٢٦٣ (كتاب النبوّة، باب تبليغ بعثته).
قالوا فيه: قال: ما يبكيك؟ فقالت: أراك شعثاً نصباً قد اخلولقت ثيابك... الى آخر الحديث.

يا بنيّة أما إنّها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث »[١].

هذه صورة مشرقة لجهاد المرأة المسلمة تصنعها فاطمة في ظلال رسول الله(صلى الله عليه وآله)، حين تشارك بكلّ ما لديها لتشدّ أزر الإسلام وتكافح جنباً إلىٰ جنب مع أبيها وزوجها وأبنائها وذويها في ساحة واحدة وخندق واحد، لتدوّنَ في صحائف التأريخ درساً عملياً تتلقاه الأجيال من هذه الأُمّة المسلمة ، فتتعلّم حياة الإيمان التي تصنعها عقيدة التوحيد بعيدة عن اللهو والعبث والضياع .

ب ـ الزهراء(عليها السلام) في فتح مكّة :

لقد أحسّت سيّدة النساء بالغبطة والسعادة وقد رأت القسم الأكبر من الجزيرة يخضع لسلطان الإسلام ويدين برسالة أبيها، وها هي قريش مع عتوّها وكبريائها ترسل أحد زعمائها إلىٰ يثرب عاصمة الإسلام لتفاوض النبيّ (صلى الله عليه وآله) علىٰ تمديد أمد الهدنة التي تمّ الاتفاق عليها في الحديبية، حينما ذهب النبيّ معتمراً في العام السادس للهجرة .

لقد أرسلت قريش زعيمها أبا سفيان بعد أن أخلّت بالشروط التي تمّ الاتفاق عليها ليعرض على النبيّ طلب قريش فلم يجد تجاوباً من النبيّ، فاستجار بجماعة من المسلمين فلم يُجِره أحد حتىٰ ابنته رملة زوجة النبيّ(صلى الله عليه وآله)، فدخل علىٰ عليّ والزهراء (عليهما السلام) يطلب منهما الشفاعة له عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأبىٰ كلّ من عليّ والزهراء والحسنين (عليهم السلام) أن يجيروه، ولمّا يئس من أن يجيره مسلم من المسلمين رجع آيساً خائفاً منكسراً يتعثّر

(١) ذخائر العقبىٰ: ٤٧ (ذكر برّها عليها السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله)، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣: ١٥٧ (المقصد الثّالث في فضائل فاطمة عليها السلام).

بالفشل والخذلان(١).

وأيقنت الزهراء من موقف أبيها من أبي سفيان أنّه سيفتتح مكّة، ودنت الأيام فخرج الرسول في عشرة آلاف من المسلمين ولواؤه مع ابن عمّه ووصيّه عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) وخرجت معه الزهراء فيمن خرج معه من النساء، لقد ظلّت الزهراء إلىٰ جانب أبيها مزهوّة بنصر الله وقد رأت الأصنام تحت أقدام أبيها، ورأت قريشاً تلوذ به وتقول: أخ كريم وابن أخ كريم، وأبوها يقول لهم: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(٢).

لقد كانت الأيام التي قضتها الزهراء مع أبيها في مكّة حافلة بالذكريات، حيث تذكّرت فيها أيام أبيها يوم كان المشركون يطاردونه وأصحابه ويحاصرونه في الشعب، كما وتذكّرت أيام اُمها خديجة وعمّ أبيها أبي طالب(عليهما السلام).

لقد رأت في تلك الرحلة المظفرة هوازن وثقيفاً وأحلافهما من العرب الذين ظلّوا حتى ذلك التاريخ على موقفهم المتصلّب من الإسلام، رأتهم ينهارون وتندكّ حصونهم ومعاقلهم وتقع أموالهم وصبيانهم ونساؤهم في معركة حنين غنيمة للمسلمين.

وعادت مع أبيها وزوجها إلىٰ مدينة الأنصار تاركةً مكّة مرتع الصبا وموطن الأهل والأحباب، وامتدّت حياتها عامين بعد هذه الرحلة وكانتا من أسعد أيّام حياتها حيث الإسلام قد انتشر في جميع أنحاء الجزيرة، وأصبح الأوّل من بين الأديان(٣).

---

(١) راجع السيرة الحلبية ٣: ٧ ـ ٨ (ذكر نقض صلح الحديبية).

(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي ٨: ١١٨ (باب فتح مكّة)، إمتاع الأسماع ١: ٣٩١ (ذكر مفتاح الكعبة).

(٣) راجع سيرة الأئمة الاثني عشر: ١ / ١٠٠ ـ ١٠٥ (ذكر فتح مكّة).

٣ ـ حجة الوداع والأيّام الأخيرة :

ومرّت تلك الأيام بعطائها وحلوها ومرّها حتىٰ جاءت السنة العاشرة من الهجرة حيث دعا النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) عامة المسلمين لأداء مناسك الحج ، وحجّ بهم حجّة الوداع ، وعلّمهم أحكام الحج ومناسكه، وعند العودة توقّف الركب عند غدير خم ، وصعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) علىٰ منبرٍ من أحداج الإبل ونادىٰ بصوت عالٍ بعد تمهيدات عديدة : « **من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه**»[1] فنصب عليّاً (عليه السلام) إماماً وراعياً ووصيّاً يخلفه من بعده ، ثم أمر المسلمين فبايعوا عليّاً وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ، ثمّ تفرّقوا في بلدانهم ، وعاد النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ المدينة عاصمة الدولة ومركز الإشعاع الى العالم أجمع.

وبدخول السنة الحادية عشرة من الهجرة، وفي الأيام الأخيرة من شهر صفر اشتكىٰ النبيّ من مرضٍ ألمّ به، وكان قد عزم علىٰ غزو الروم وأعدّ لقيادة جيشه أُسامة بن زيد وهو في مطلع شبابه ، وأمر جميعَ المهاجرين والأنصار أن ينضمّوا إليه ، وجعل يستحثّهم علىٰ الخروج[2].

ونصّ علىٰ بعضهم بالاسم ليخلي الساحة من المخالفين والمتربّصين،

---

(١) بصائر الدرجات : ٩٧ (باب نادر في الولاية)، ح٥، أمالي الصدوق: ١٨٤ / ح١٩٠، مسند أحمد ١: ١١٨ (مسند عليّ عليه السلام)و ج ٤: ٢٨١ (حديث قيس ابن أبي عزرة)، سنن النسائي ٥: ١٣٢/ ح٨٤٧٣، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٠٩ (باب وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله بكتاب الله).

وحديث الغدير حديث متواتر بين كافة الفرق الإسلامية إلّا من شذّ منهم ممّن لا يعتمد عليه. وقد صنفت بهذا الحديث كتب وقصائد حتى من غير أهل الإسلام. ومن أراد المزيد فليراجع كتاب الغدير للأميني (قدس سره) .

(٢) راجع الطبقات الكبرىٰ ٢: ١٨٩ ـ ١٩٠ (ذكر سريّة أُسامة)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٣٤ ـ ٣٣٦ (حوادث سنة ١١ للهجرة)، تاريخ مدينة دمشق ٢: ٤٦ ـ ٦٠ (باب بعث النبيّ صلى الله عليه وآله أُسامة قبل موته).

ويفوّت الفرصة علىٰ المعارضين لخلافة الإمام عليّ (عليه السلام).

وظنّ أكثر المسلمين في بداية الأمر أنّها وعكة صحيّة طارئة لا تلبث أن تزول بسرعة، غير أنّ الزهراء لم تكد تسمع بشكوىٰ أبيها حتىٰ ارتجّ قلبها وانهارت وكأنّها والموت علىٰ ميعاد، فقد بانت أمارات الموت عليه(صلى الله عليه وآله) وضعفت صحّته، فكان يتهيّأ ويوصي بأهل بيته في كلّ مناسبة، ويزور البقيع ويخاطبهم بكلمات تُشعر بدنوّ أجله، لا سيما وقد سمعته قبل ذلك يقول في بعض المناسبات لأصحابه وهو يعظهم: «**يوشك أن أُدعىٰ فأُجيب**»[1]، وسمعته يقول في حجّة الوداع علىٰ جبل عرفات وقد وقف بين المسلمين: «**لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»[2]، وتكرّرت منه هذه المقالة في السنة العاشرة من الهجرة.

ومرّةً رأت فاطمة (عليها السلام) في منامها ـ بعد حجّة الوداع ـ أنّها كانت تقرأ القرآن وفجأةً وقع القرآن من يدها واختفىٰ، فاستيقظت مرعوبةً وقصّت الرؤيا علىٰ أبيها (صلى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**أنا ذلك القرآن ـ يا نور عيني**»[3] وسرعان ما أرحل.

لقد كانت فاطمة (عليها السلام) وأمير المؤمنين أشدّ الناس لصوقاً وأقربهم إلىٰ رسول الله(صلى الله عليه وآله) في فترةِ مرضه وحتىٰ وفاته، فعن عليّ (عليه السلام): أنّ معاذاً سأل عائشة كيف وجدت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند وجعه ووفاته؟ فقالت: يا معاذ ما

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢١٩ (ترجمة الإمام عليّ عليه السلام رقم ٤٩٣٣)، البداية والنهاية ٧: ٣٨٥ (ذكر حديث غدير خم)، السيرة الحلبية ٣: ٣٣٦ (ذكر خبر حجّة الوداع).

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٨: ٣١٠ (ذكر ترجمة سراء بنت بنهان)، تاريخ الطبري ٢: ٤٠٢ (حوادث السنة ١٠)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٠٢ (حوادث السنة ١٠ حجّة الوداع)، البداية والنهاية ٥: ٢٠٣ (فصل حجة الوداع).

(٣) رياحين الشريعة: ١ / ٢٣٩.

شهدته عند وفاته ولكن دونك هذه فاطمة ابنته فاسألها[١].

كما أنّ فاطمة كانت تطوف حين مرض النبيّ (صلى الله عليه وآله) علىٰ أزواجه فتقول : إنّه يشق علىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يطوف عليكنّ ، فقلن هو في حلّ[٢].

واشتد المرض بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) أكثر فأكثر ، فهو مسجّىً علىٰ فراش الموت والزهراء بجانبه يشتدّ وجدها علىٰ أبيها، وتقول: **واكربي لكربك يا أبتاه!**[٣] فتارةً تحدّق في وجهه الشاحب وتذرف الدموع الساخنة، وأُخرىٰ تدعو له بالسلامة .

لقد ثقل المرض علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتىٰ أُغمي عليه ، فلمّا أفاق؛ وجد أبا بكر وعمر وآخرين عنده ، فقال (صلى الله عليه وآله) : « **ألم آمركم بالمسير في جيش أُسامة؟!**» فاعتذروا[٤] إلّا أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يعلم ما تُكِنُّ صدورهم وما يبيّتون من بقائهم في المدينة مركز القيادة الإسلامية، فقال (صلى الله عليه وآله) : « **إئتوني بدواة وبياض ، أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي أبداً** »، فتنازعوا فقالوا : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يهجر وفي نصّ آخر : قال عمر : إنّ النبيّ غلبه الوجع حسبُنا كتاب الله فاختلفوا وكثر اللغط ، حتّى قال (صلى الله عليه وآله) : «**قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع**»[٥] .

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٨: ٢٥٣ (ترجمة عنقودة رقم ١١٥٥٤).

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٨: ١٦٨ (ذكر أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله والقسمة بينهنّ).

(٣) الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٣ (حوادث السنة ١١ للهجرة).

(٤) الإرشاد للمفيد ١: ١٨٤ (فصل في طلب الرسول صلى الله عليه وآله الدواة)، بحار الأنوار ٣٠: ١٣٤، الطبقات الكبرىٰ ٤: ١٦٧ (ذكر ترجمة أُسامة بن زيد)، تاريخ مدينة دمشق ٨: ٦٣ (ترمة أُسامة رقم ٥٩٦).

(٥) مسند أحمد ١: ٢٢٢ و ٣٢٤ ـ ٣٢٥ و ٣٣٦ (مسند عبدالله بن عبّاس)، صحيح البخاري ٤: ٦٦ (باب دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله) وج٥: ١٣٧ ـ ١٣٨ (كتاب المغازي، باب مرض النبيّ صلى الله عليه وآله) وج٧: ٩ (كتاب المرض والطب)، صحيح مسلم ٥: ٧٤ ـ ٧٦ للجوهري: ٣٧ (القسم الأوّل)، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٢٤٢ ـ ٢٤٥ (ذكر الكتاب الذي أراد أن يكتبه النبيّ صلى الله عليه وآله)، سنن النسائي ٤: ٣٦٠ / ح٧٥١٦، تاريخ الطبري ٢: ٤٣٦ (حوادث السنة ١١ للهجرة)، البداية والنهاية ٥: ٢٤٧ ـ ٢٤٨ (فصل في الآيات المنذرة بوفاة النبيّ صلى الله عليه وآله). وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

لقد كانت الزهراء ترىٰ كلّ ذلك بقلب حزينٍ وعين دامعة ، وكأ نّها ترتقب أياماً صعبة الأحداث .

٤ ـ وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله) في ساعة الوداع :

لما ثقل واشتد المرض برسول الله (صلى الله عليه وآله) وحضرته الوفاة؛ أخذ أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) رأسه الشريف فوضعه في حجره ، فأُغمي علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفاطمة (عليها السلام) تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول :

وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه ثمال اليتامىٰ عصمة للأرامل

ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) عينيه وقال بصوت ضعيف : «**بُنيّة قولي: ﴿ وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علىٰ أعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾**»[(١)] .

فبكت طويلاً فأومأ إليها بالدنوّ منه ، فأسرّ إليها شيئاً فتهلّل وجهها له . فقيل لها (عليها السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما الذي أسرّ إليك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسرىٰ عنك به ما كنت عليه من الحزن والقلق بوفاته ؟ قالت : «**إنّه أخبرني أنّني أوّل أهل بيته لحوقاً به ، وأنّه لن تطول المدّة لي بعده حتىٰ أدركه ، فَسُري ذلك عنّي**»[(٢)].

وعن أنس قال : جاءت فاطمة ومعها الحسن والحسين (عليهما السلام) إلىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) في المرض الذي قبض فيه فانكبّت عليه فاطمة وألصقت صدرها بصدره وجعلت تبكي ، فقال لها النبيّ (صلى الله عليه وآله) : «**يا فاطمة لا تبكي عليّ ولا تلطمي ولا تخمشي عليّ خدّاً ولا تجزّي عليّ شعراً ، ولا تدعي بالويل والثبور ، وتعزّي بعزاء الله ،**

---

(١) آل عمران (٣) : ١٤٤ .

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ١٨٦ ـ ١٨٧ (فصل في اشتداد مرض النبيّ صلى الله عليه وآله)، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ ١: ٢٦٧ ـ ٢٦٨ (فصل في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله)، بحار الأنوار ٢٢: ٤٧٠ / ح١٩.

ثم بكىٰ وقال : اللهمّ أنتَ خليفتي فـي أهـل بـيتي ، اللـهمّ هـؤلاء وديـعتي عـندك وعـند المؤمنين »[1].

وروىٰ البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة أنّـها قـالت : أقـبلت فاطمة تمشي كأنّ مشيتها مشي النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : **«مرحـباً بـابنتي»** ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثـم أسـرّ إليـها حـديثاً فـبكت ، فـقلت : استخصّك رسـول الله (صلى الله عليه وآله) حـديثه ثـم تـبكين ؟ ثـم إنّـه أسـرّ لهـا حـديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ! فسألتها عمّا قال : فقالت : **«ما كنت لأفشي سرّ رسول الله** (صلى الله عليه وآله) حتىٰ إذا قُـبض النـبيّ (صلى الله عليه وآله) سألتـها فقالت : **إنّه أسرّ إليّ فقال : إنّ جبرئيل**(عليه السلام) **كان يعارضني بالقرآن في كلّ عام مرّة وإنّه عارضني به هذا العام مرّتين ، ولا أراه إلّا قد حضر أجلي فبكيت ، ثم قال لي : إنّك أوّل أهل بيتي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لكِ ، أمـا تـرضين أن تكـوني سـيّدة نسـاء أهـل الجـنة ؟ فضحكتُ »**[2].

وعن موسىٰ بن جعفر عن أبيه (عليهما السلام) : **« لمّا كانت الليلة التي قُبض النبيّ فـي صـبيحتها ، دعـا عـليّاً وفـاطمة والحسـن والحسـين** (عليهم السلام) **وأغـلق عـليه وعـليهم البـاب وقال** (صلى الله عليه وآله) **: يا فاطمة! وأدناها منه فناجاها من الليل طويلاً فلمّا طال ذلك خرج عليّ ومعه الحسن والحسين وأقاموا بالباب والناس خلف الباب ، ونساء النبيّ ينظرن إلىٰ عليّ** (عليه السلام) **ومعه إبناه »** فقالت عائشة : لأمر ما أخرجك منه رسول الله وخلا بابنته عنك في هذه الساعة ؟ فقال لها عليّ (عليه السلام) : **« قد عرفت الذي خلا بها وأرادها له ، وهو بعض**

---

(١) انظر بشارة المصطفى: ٢٠٣ / ح٢٧، بحار الأنوار ٢٢: ٤٦٠ ـ ٤٦١ / ح٨، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٧٠ / ترجمة الإمام الحسين عليه السلام رقم ١٥٦٦).

(٢) صحيح البخاري ٤: ١٨٣ (كتاب بدء الخلق، باب علامات النبوّة في الإسلام)، صحيح مسلم ٧: ١٤٣ ـ ١٤٤ (كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة عليها السلام).

ماكنتِ فيه وأبوك وصاحباه» فوجمت أن تردّ عليه كلمة.

قال عليّ (عليه السلام) : «فما لبث أن نادتني فاطمة (عليها السلام) فدخلت علىٰ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو يجود بنفسه فقال لي : ما يبكيك يا عليّ ؟ ليس هذا أوان بكاء فقد حان الفراق بيني وبينك ، فأستودعك الله يا أخي ، فقد اختار لي ربّي ما عنده، وإنّما بكائي وغمّي وحزني عليك وعلىٰ هذه أن تضيع بعدي ، فقد أجمع القوم على ظلمكم ، وقد استودعتكم الله وقِبَلَكُم مني وديعةً ، إنّي قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء وأمرتها أن تلقيها إليك فنفّذها فهي الصادقة الصدوقة » .

ثم ضمّها إليه وقبّل رأسها وقال : «فداكِ أبوكِ يا فاطمة فعلا صوتها بالبكاء ثم ضمّها إليه وقال : أما والله لينتقمنّ الله ربّي ، وليغضبنّ لغضبك، فالويل ثم الويل للظالمين ، ثمّ بكىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ».

قال عليّ (عليه السلام) : « فوالله لقد حسبت قطعة منّي ذهبت لبكائه حتىٰ هملت عيناه مثل المطر ، حتىٰ بلت دموعه لحيته وملاءة كانت عليه ، وهو يلتزم فاطمة لا يفارقها ورأسه علىٰ صدري وأنا مسنده، والحسن والحسين يقبلان ويبكيان بأعلىٰ أصواتهما قال عليّ (عليه السلام): فلو قلت إنّ جبرئيل في البيت لصدقت لأنّي كنت أسمع بكاء نغمة لا أعرفها ، وكنت أعلم أنّها أصوات الملائكة لا شك فيها، لأن جبرئيل لم يكن في مثل تلك الليلة يفارق النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، ولقد رأيت بكاءً من فاطمة أحسب أنّ السماوات والأرضين بكت لها » .

ثم قال (صلى الله عليه وآله) لها : « يا بنية ، الله خليفتي عليكم وهو خير خليفة ، والذي بعثني بالحقّ لقد بكىٰ لبكائك عرش الله وما حوله من الملائكة والسماوات والأرضون وما بينهما، يا فاطمة والذي بعثني بالحقّ لقد حرمت الجنة علىٰ الخلائق حتىٰ أدخلها ، وإنّك لأوّل خلق الله يدخلها بعدي ، كاسية حالية ناعمة ، يا فاطمة هنيئاً لكِ ، والذي بعثني بالحقّ إنّ جهنّم لتزفر زفرة لا يبقىٰ ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلّا صعق ، فينادىٰ إليها أن يا جهنّم يقول لك الجبار اسكني بعزّي واستقري حتىٰ تجوز فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله) إلىٰ الجنان لا

يغشاها فقر ولا ذلة، والذي بعثني بالحقّ ليدخلن حسن وحسين ، حسن عن يمينك وحسين عن يسارك ، ولتشرفنّ من أعلىٰ الجنان بين يدي الله في المقام الشريف ، ولواء الحمد مع عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، والذي بعثني بالحقّ لأقومن بخصومة أعدائك ، وليندمنّ قوم أخذوا حقكِ وقطعوا مودّتكِ وكذبوا عليَّ ، وليختلجنّ دوني فأقول : أُمتي أُمتي، فيقال : إنّهم بدّلوا بعدك وصاروا إلىٰ السعير»[1] .

إلى هنا ينتهي الحديث عن ثلاث مراحل من حياة الزهراء (عليها السلام) .

وأمّا المرحلة الرابعة من حياتها فهي تبدأ بعد وفاة أبيها المصطفىٰ (صلى الله عليه وآله) وتنتهي باستشهادها (صلوات الله عليها) .

وحيث إنّ هذه المرحلة ـ بالرغم من قصرها ـ تشكّل مقطعاً متميّزاً في حياتها فسوف نفردها ببابٍ خاصٍ ضمن عدّة فصول .

❀ ❀ ❀

(١) بحار الأنوار ٢: ٤٩٠ ـ ٤٩٢ / ح٣٦ (نقلاً عن الطرف لابن طاووس).



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها

الفصل الثّاني :

مرض الزهراء (عليها السلام) واستشهادها

الفصل الثّالث :

من تراث الزهراء (عليها السلام)

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها والظروف التي مهّدت لانتزاع فدك من الزهراء(عليها السلام) واستشهادها

١ ـ حدث السقيفة :

إنّ أصعب مرحلة في تاريخ الأُمة الإسلامية اشتعلت شرارتها ولم تنتهِ تبعاتُها هي المرحلة التي أعقبت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

لقد كانت تحكم الظروف المعقّدة ـ آنذاك ـ عناصر موضوعية واُخرىٰ ذاتية ، فالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أتمّ تبليغ الرسالة الإسلامية كاملة عن الله عزوجل، وكان وجوده (صلى الله عليه وآله) عنصر الاشعاع الإيماني ومدعاةً للاستقرار والبناء ، ولكن عمق الخلل الكبير في المجتمع الإنساني والذي يمتد إلىٰ بُعد غير منظور ربّما كان متجسّداً في عقول وسلوك أفراد عديدين كانوا قريبين من مصادر قوة وحركة مجتمع الجزيرة ـ الحديث العهد بالإسلام ـ جعل التفاعل بين طرفي الحقّ والباطل يظهر بشدّة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) .

لقد كان عمق الصراع الذي برز علىٰ ساحة المجتمع الإسلامي دليلاً علىٰ عدم استيعاب العدد الأكبر من الناس للعقيدة الإسلامية بكلّ أبعادها وآفاقها ومدياتها، وكان من نتائج هذا الصراع أن بدأت عملية انحراف التجربة الإسلامية بسهولة ويُسر ولم تنتبه الأُمّة إلى عمق ما كان يترتّب عليها من آثار سيئة علىٰ المسلمين وهي تمتد إلىٰ يومنا هذا بل إلى ما بعده من عصور.

إنّ الفترة التي تلت وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) كانت قد ازدحمت بالأحداث المتناقضة والارتجالية التي تفتقد الشرعية الرسالية والمنطق القويم، ولكي ندرس حياة الزهراء (عليها السلام) في هذه الفترة لا بدّ أن نستعرض الوضع العام وما جرىٰ من أحداث، كي يمكن من خلالها أن نتصور حالة المجتمع أنذاك والقوىٰ المؤثّرة والمتفاعلة فيه وماكانت تتركه كلّ منها من آثار علىٰ أهل بيت النبوّة عامة وعلىٰ الزهراء (عليها السلام) خاصة من تعدّي وظلامات. وأوّل ما يصادفنا من هذه الأحداث الجسام هو اجتماع السقيفة ودوره الأساسي لكلّ المواقف الخاطئة التي تلته وتأسّست عليه فيما بعد.

لقد انشغل الإمام عليّ (عليه السلام) وأهل بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) وبنو هاشم والموالون لهم في تجهيز النبيّ (صلى الله عليه وآله) والاستعداد لمراسم دفنه ، واستغلّت هذا الانشغال العناصر التي كانت لها مطامع ورغبات في الوصول إلىٰ الزعامة متقمّصة رداء الحرص على الأُمّة الإسلامية من التشرذم والتفرّق في لحظة غياب الرسول وانشغال الوصي بمراسم ارتحاله غير عابئة بالأوامر والنواهي الإلهية التي وردت علىٰ لسان النبيّ الكريم فيما يخصّ أمر الخلافة والوصيّة.

لقد كان هناك موقفان غريبان **أحدهما**: وقوف عمر بن الخطاب وهو يصرّح وسط جموع المسلمين المحتفين حول بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) والحزن ظاهر عليهم منادياً: أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لَمْ يمت ، ثمّ أخذ يهدّد ويتوعّد من يدّعي موت النبيّ(صلى الله عليه وآله) مصرّاً على موقفه هذا حتىٰ وصول أبي بكر إليه من السنح خارج المدينة إذا لم يكن حاضراً في ساعة رحيل الرسول(صلى الله عليه وآله).

والموقف الآخر: اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة برئاسة سعد بن عبادة الخزرجي .

وقد اتفق المؤرّخون والمحدّثون بأنّ عمر بن الخطاب أقلع عن إصراره

عند حضور أبي بكر وقراءته للآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللّهُ ٱلشَّاكِرِينَ﴾[١] وبعد قراءته للآية على الناس، تهدأ ثورة الفاروق[٢] ويخرجان معاً من بيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) ويتركاه بين أهله المفجوعين بوفاته.

والذي تؤكّده القرائن وسير الأحداث أنّهما انصرفا إلىٰ مكانٍ ما،كانوا قد أعدّوه لاتخاذ التدابير اللازمة، وربّما أنّ أكثر الأنصار بما فيهم سعد بن عبادة لم يضعوا في حسابهم غير عليّ (عليه السلام) للخلافة بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) كما كان الاعتقاد السائد بين عامة المسلمين أنّ الخلافة لن تعدوه، ولكن بعد أن تبيّن للأنصار أنّ شيوخ المهاجرين قد تكتّلوا لصرفها عنه والاستيلاء عليها متجاهلين نصوص الرسول عليه، وكأنّهم في هذا التحالف القرشي الجديد يرجعون إلىٰ إحياء أمر الجاهلية والنزعة القبلية، في حين أنّهم كانوا قد قدّموا للدعوة وصاحبها وبذلوا له من أنفسهم وأموالهم ما لم يقدّمه ويبذله أحد من المهاجرين الذين كانوا يحلمون بالاستيلاء علىٰ السلطة من بعده؛ نعم بعد أن تبيّن لهم ذلك اجتمع فريق منهم بزعامة سعد بن عبادة في سقيفتهم للتداول بشأن الخلافة، وقد هتف هناك جماعة منهم باسم سعد بن عبادة ورشّحوه للخلافة.

ولمّا وصل الخبر إلىٰ المهاجرين عن طريق بعض الأنصار الذين كانوا

---

(١) آل عمران (٣): ١٤٤.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢١٩ ـ ٢٢٠ (حديث عائشة)، صحيح البخاري ٢: ٧٠ ـ ٧١ (أبواب العمل في الصلاة، باب الجنائز)، سنن ابن ماجة ١: ٥٢٠ / ح١٦٢٧، الطبقات الكبرىٰ ٢: ٢٦٨ (ذكر كلام الناس حين شكّو بموت النبيّ صلى الله عليه وآله) والقصة مشهورة عند الجمهور.

يناوئون سعداً ويعملون لغير صالحه، ترك رموز المهاجرين الذين أشرنا إليهم مكانهم وأقبلوا مسرعين إلى سقيفة بني ساعدة، فوقف خطيب الأنصار وأشاد بالأنصار ومواقفهم وتضحياتهم في سبيل الإسلام وتمنّىٰ علىٰ المهاجرين أن لا يتجاهلوا الأنصار ويجعلوا لهم شيئاً من الأمر ، وتحدّث بعده أبو بكر فنوّه بفضل قريش وأمجادها وأعاد إلى الأذهان مواقف العرب قبل الإسلام وتفاخرهم بالأحساب والأنساب .

وجاء في رواية العقد الفريد أنّ أبا بكر قال في هذه اللحظة الحاسمة: نحن المهاجرين، أوّل الناس إسلاماً وأكرمهم أحساباً وأوسطهم داراً وأحسنهم وجوها وأمسّهم برسول الله رحماً ، ومضى يقول : إنّ العرب لا تدين إلّا لهذا الحيّ من قريش فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضّلهم الله به، فقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، وأشار بذلك إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح[١].

وانتهز أبو بكر الفرصة ـ وهو يتحدّث عن قريش وأمجادها وعن المهاجرين بالذات ـ حين سمع صوت بشير بن سعد الخزرجي وكان قد ارتفع في ناحية من نواحي البيت، وكان قد أخذه الحسد لابن عمّه سعد بن عبادة، فقال: أيّها الناس ألا إنّ محمّداً من قريش وإنّ قومه أحقّ به وأولى ، وأيم الله لا يراني الله أُنازعهم في هذا الأمر أبداً .

وأبى عليه الحباب بن المنذر الخزرجي أن يبرز بين الناس بهذا الأُسلوب الذي يتّسم بطابع الدجل والنفاق والحسد لابن عمّه ، فقال: لقد عزّ على بشير بن سعد أن يتولّى ابن عمّه السلطة بعد النبيّ حسداً وبغضاً، فظهر

(١) العقد الفريد ٥: ١٢.

بمظهر من لا يريد أن ينازع أحداً حقّاً هو أولى به ، ثم قال : ما أحوجك إلى ما صنعت يا بشير! لقد نفست الإمارة على ابن عمّك سعد بن عبادة .

ولم ينته الجدل عند هذا الحد، بل قام أُسيد بن حضير ـ أحد زعماء الأوس يثير في النفوس أحقاد الجاهلية ويذكّر بما بين الحيّين ـ الأوس والخزرج ـ من خلافات وأحقاد وعصبيات كانت قد أطفأتها سماحة الإسلام ببركة قيادة الرسول وأخلاقه، ومضى يخاطب الأوس ويقول : يا بني الأوس، والله لأن ولّيتموها سعداً عليكم مرة لا يزال للخزرج بذلك عليكم الفضل ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً.

نعم في هذه الفرصة الذهبية من الخلاف بين الأنصار استغل أبو بكر صوت بشير بن سعد الذي جرّهم إلىٰ هذا الانقسام في الموقف، فأخذ عمر بن الخطاب بيد وأبا عبيدة بالأُخرى ونادىٰ: أيّها الناس ، هذا عمر وهذا أبو عبيدة فبايعوا أيّهما شئتم ، وقام الحباب بن المنذر بعد هذا التدبير المدروس بين الثلاثة[1] وقال : يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، واستولى الغضب على عمر بن الخطاب فانبرى يقول : من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مدلٍ بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة؟!

ولمّا سمع الحباب بن المنذر تحدّي عمر بن الخطاب لهم وأُسلوبه الجارح الذي ينطوي على التهديد توجّه إلى الأنصار وقال : أما إذا أبوا عليكم ما سألتموهم فاجلوهم عن هذه البلاد ـ فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم ـ بأسيافكم دان بهذا الدين من دان ، ثم انتضى سيفه يلوّح به ويقول : أنا

(١) انظر الإمام عليّ بن أبيطالب (أعلام الهداية / ٢): الباب الثّالث، الفصل الأوّل: ملامح التخطيط لإقصاء الإمام عليّ(عليه السلام) عن الخلافة.

جذيلها المحكَّك وعذيقها المرجَّب[(١)]، أما والله إن شئتم لنعيدنّها جذعة ، وهنا عصف الغضب بجوانح عمر بن الخطاب وكاد أن يقع الشرّ بين الطرفين، فوقف أبو عبيدة بن الجراح ليحول دون اشتداد اشتعال نار الفتنة التي زرعوها، فقال بصوت هادئ : يا معشر الأنصار كنتم أوّل من نصر وآزر فلا تكونوا أوّل من غيّر وبدّل[(٢)]، ومضى يتحدّث بلهجة فيها توسّل ورجاء فلم يلبثوا حتى هدأت نفوسهم وانقسم الأنصار على أنفسهم، وأسرع عمر بن الخطاب بعد هذا الحوار إلى أبي بكر وقال : أبسط يدك يا أبا بكر ، ما كان لأحد أن يؤخّرك عن مقامك الذي أقامك الله فيه! وقام بعده أبو عبيدة بن الجراح وقال له : إنّك لأفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار وخليفة رسول الله على الصلاة! فبسط أبو بكر لكليهما كفّه فبايعاه ، وأسرع بعدهما بشير بن سعد وجماعة من الخزرج فبايعوه وتبعهم اُسيد بن حضير بمن معه من الأوس ، وخرجوا من سقيفة بني ساعدة يهتفون لأبي بكر، ولا يمرّون على أحد إلّا وأخذوا بيده وأمرّوها على يد أبي بكر ومن أبى ضربه عمر بن الخطاب بدُرّته وتكاثر عليه أتباعه حتى يرغموه على البيعة، وتمت بيعة أبي بكر بهذا النحو الذي كان مفاجأة لأكثر الناس[(٣)].

ومن مجموع ذلك يتبيّن أنّ التخطيط لإقصاء الإمام عليّ(عليه السلام) عن السلطة والاستيلاء عليها لم يكن وليد ساعته كما تؤكده الشواهد، وأنّ موقف الأنصار

---

(١) الاحتجاج: ٩٢/١، السقيفة وفدك للجوهري: ٦٠ .

(٢) وقد علّق بعض الاُدباء على هذا الحوار وهذا الاحتجاج من هؤلاء المهاجرين على الأنصار حيث اكتسبوا به الشرعية حين أدانوا الأنصار غافلين عن توجّه هذه الحجّة عليهم فقال:

لابن تيم بيعةٌ قد عُقدت أسُّها قد كان من نقض العهود

يشير بذلك الى نقض بيعة الغدير العامّة التي تمّت بها الحجّة على المهاجرين والأنصار جميعاً.

(٣) انظر معالم المدرستين، نصوص الحدث ومصادره ١: ١٤٩ ـ ١٥٨.

بقيادة سعد بن عبادة كان ارتجالياً لم يُحَضّر له من قبل كما يبدو ذلك من اختلافهم وتضارب آرائهم ،كما تبيّن أنّ القادة الثلاثة أبا بكر وعمر بن الخطاب وابن الجراح هم قادة الحزب القرشي الذي كان قد خطّط للاستيلاء على السلطة وإقصاء عليّ بن أبي طالب عنها، وأنّ أقوى ما لديهم من الأدلّة في مقابل الأنصار لا يعدو أمرين :

أوّلهما : أنّ المهاجرين أوّل الناس إسلاماً .

والثّاني: أنّهم أقرب الناس إلى رسول الله وأمّسهم به رحماً.

وقد أدان هؤلاء القادة أنفسهم بهذه الحجّة ، وذلك لأنّ الخلافة إذا كانت بالسبق إلى الإسلام والقرابة القريبة من رسول الله ـ كما يدّعون ـ فهي لعليّ (عليه السلام) وحده ، لأنّه أوّل الناس إسلاماً وإيماناً وتصديقاً برسالة ابن عمّه محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) باتفاق جميع المسلمين ، وهو أخوه في الله بمقتضى المؤاخاة التي عقدها النبيّ معه حين آخى بين المهاجرين والأنصار في مكّة وفي المدينة، وهو ابن عمّه نسباً، وأقرب الناس إلى نفسه وقلبه بلا شك في ذلك عند أحد من الناس .

ولقد ناقض أبو بكر نفسه حينما احتجّ على الأنصار بالقرابة والسبق إلى الإسلام ورشّح لها عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجرّاح لأنّهما أسبق إلى الإسلام من الأنصار وأمسّهم بالنبي رحماً، وقد تجاهل موقع عليّ بن أبي طالب الذي كان قد بايعه مائة ألف مسلمٍ أو يزيدون في يوم غدير خم وقبل فترة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، وقد سبقهم جميعاً إلى الإسلام، وكان ابن عمّ النبيّ نسباً وأخاه وحده في الله بإجماع المؤرّخين والمحدّثين ، وبمواقفه وتضحياته وجهاده كان الإسلام قد استقام وانتصر على الشرك والوثنية وعلى قريش التي كانت مصرّة علىٰ أن تحارب محمّداً وخطّه الذي يمثّله أهل بيته

وعترته بما فيهم عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) .

وماكان هذا الأمر ليخفى على أبي بكر وصاحبيه، وهو يعتقد سلامة هذا الأُسلوب وكفايته حين رشّح للخلافة أحد صاحبيه، ولكنه هو وأنصاره كانوا قد خطّطوا لذلك، ولا يبعد أنّهم كانوا قد اتّفقوا مع بعض الأنصار والمهاجرين على إقصاء عليّ عن الخلافة والاستيلاء عليها بكلّ ما أُوتوا من حولٍ وقوّة[١]

وممّا يدل على ذلك جواب عمر بن الخطاب له حينما أشار على الحضور أن يبايعوا أحد الرجلين عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة ، حيث أجابه على الفور قائلاً: أيكون هذا وأنت حيّ ؟ ماكان لأحد أن يؤخّرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله[٢]!

إنّ هذا الجواب يشير إلى تخطيط واتفاق مسبق بينهما على الأُسلوب الذي تتمّ فيه بيعة أبي بكر ، وفي الوقت ذاته يحاول عمر بن الخطاب إيهام الرأي العام بأنّ رسول الله قد اختاره للخلافة كما يشير إليه قوله : ماكان لأحد أن يؤخّرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله. هذا مع العلم بأنّ المؤرّخين لحياة الرسول (صلى الله عليه وآله) من القدامى والمحدثين والثقات الذين حفظوا حديثه

---

(١) وتستطيع أن تفهم هذه الحقيقة من الكلمة المعروفة للخليفة الثاني عن بيعة الخليفة الأوّل: «كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى الله شرّها، ألا ومن عاد الى مثلها فاقتلوه» انظر البخاري:

(٢) خبر السقيفة وما جرىٰ أورده جلّ محدّثي المسلمين ومؤرخيهم وصنفت في ذلك كتب بلغت حدّ التواتر، وقد تفاوتت واختلفت ألفاظه. وهنا حاولنا جمع الخبر من تلك الكتب على اختلاف ألفاظها.

راجع مسند أحمد ١: ٥٥ ـ ٥٧ (حديث السقيفة)، السقيفة وفدك للجوهري: ٣٧ ـ ٩٧ (القسم الأوّل)، المصنف للصنعاني ٥: ٤٣٩ ـ ٤٤٦ / ح٩٧٥٨ و ٩٧٥٩، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ١٠٧١ ـ ١٠٧٤ (ذكر أمر السقيفة)، الإمامة والسياسة ١: ٢١ ـ ٢٧ (ذكر حديث السقيفة)، تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣ ـ ٤٥٣ و ٤٥٥ ـ ٤٦٠ (حوادث السنة ١١ حديث السقيفة)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٥ ـ ٣٣١ (حوادث السنة ١١ حديث السقيفة)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢١ ـ ٦٠ (حديث السقيفة)، البداية والنهاية ٥: ٢٦٥ ت ٢٦٨ (قصة السقيفة)، السيرة الحلبية ٣: ٤٧٨ ـ ٤٨٤ (ذكر السقيفة وبيعة أبي بكر). الى غير ذلك من المصادر أعرضنا عنها للاختصار.

ورووه للأجيال لم يدّعوا بأنّ النبيّ قد لوّح له ـ ولو من بعيد ـ بذلك المقام الذي يعمل من أجله ابن الخطاب وأنصاره ، بل إنّ مواقف النبيّ معه كانت على العكس من ذلك فلم يعهد إليه بأمر ولا وضعه في مكان يحقّق له امتيازاً عن غيره ، وكان إذا أرسله على رأس سرية من السرايا ـ كما حدث له في غزوة السلاسل ـ أو أعطاه الراية ـ كما صادف ذلك في خيبر ـ يرجع دون فتح، وفي الأيام الأخيرة من حياته بعد أن علم بقرب أجله أراد أن يخرجه من المدينة كجندي من جنود المسلمين هو وعمر بن الخطاب بقيادة أُسامة بن زيد الذي كان شاباً لا يتجاوز العشرين من عمره على أبعد التقادير .

أمّا حديث صلاته بالناس في بعض الأيام خلال مرض النبيّ الذي أشار إليه أبو عبيدة في حديثه مع الأنصار فمع أنّ إمامة المصلّين كانت ولا تزال مألوفة يتعاطاها الكبير والصغير والفاضل والمفضول فهي على تقدير تحقّقها لا توجب له فضلاً على أحد من الناس ، وليست من مختصّات الأنبياء والأولياء والقدّيسين ، ولقد دعته إليها ابنته عائشة حين كان النبيّ في وضع لا يسمح له بترك فراشه ، ولمّا علم النبيّ(صلى الله عليه وآله) بالأمر خرج يتوكّأ على عليّ والعباس حتى نحّاه عن محرابه ، وصلّى بالناس وهو يعاني من وطأة المرض وآلامه خشية أن تُستغل هذه الظاهرة التي أشار إليها الفاروق.

والشيء الغريب الذي لا يقرّه العقل والمنطق أن يعتبرها البعض أنّها فضيلة تؤهّله للخلافة ، في حين أنّهم يعترفون بمواقف النبيّ (صلى الله عليه وآله) من عليّ يوم الدار وفي أُحد والأحزاب والحديبية وخيبر وحنين وتبوك وفي غدير خم، ومؤاخاته له في مكّة والمدينة، ولا يرون في جميع ذلك دليلاً على اختياره لمنصب الخلافة من بعده، بل ولا يجدون فيها تلميحاً على اختياره، بينما يقولون إنّ في صلاة أبي بكر ركعتين بالمسلمين دليلاً واضحاً على

إعداده لقيادة الأُمة من بعده وإعطائه الصلاحيات التي كانت له!!

وممّا يدل على أنّ حركة الأنصار واجتماعهم في السقيفة كانت رداً على التخطيط الذي وضعه المهاجرون للاستيلاء على السلطة، النصّ الذي جاء في رواية الزبير بن بكار حيث قال :

«فلمّا بويع أبوبكر، أقبلت الجماعة التي بايعته تزفّه الى مسجد النبيّ(صلى الله عليه وآله)، فلمّا كان آخر النهار اجتمع قوم من الأنصار وقوم من المهاجرين وتعاقبوا فيما بينهم على الكلام ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا معشر الأنصار إنّكم وإن كنتم أُولي فضل ونصر وسابقة ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا عليّ ولا أبي عبيدة .

فقال زيد بن أرقم : إنّا لا ننكر فضل من ذكرت يا عبد الرحمن ، وإنّ منّا لسيد الأنصار سعد بن عبادة، ومن أمر الله رسوله أن يقرئه السلام وأن يأخذ عنه القرآن أُبي بن كعب ومن يجيء يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل ، ومن أمضى رسول الله شهادته بشهادة رجلين وهو خزيمة بن ثابت ، وإنّا لنعلم أنّ ممّن سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيها أحد: عليّ ابن أبي طالب»[1].

وجاء في تاريخ الطبري أنّ أبا بكر لمّا اقترح أحد الرجلين أبا عبيدة أو عمر بن الخطاب وانسحبا هما لأبي بكر قال الأنصار: لا نبايع إلّا عليّاً[2] .

هاتان الروايتان صريحتان في أنّ الأنصار لم يعترضوا علىٰ عليّ بن أبي طالب لو أنّه كان مرشّح المهاجرين لها، وهذا يعني أنّ موقفهم المعارض لأبي بكر في السقيفة كان ردّاً على التخطيط، الذي وضعته قريش للاستيلاء

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١٩ ـ ٢٠ (أخبار يوم السقيفة).

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣ (حوادث السنة ١١ حديث السقيفة).

على السلطة وانتزاعها من صاحبها الشرعي.

وقال الأُستاذ توفيق أبو علم في كتابه «أهل البيت» : ولا يبعد أن يكون سعد بن عبادة لمّا رأى تصميم المهاجرين على عدم إعطاء الحقّ لأهله طلبه لنفسه.

لقد كانت مواقف النبيّ من عليّ (عليه السلام) وتصريحاته المتتالية فيه في مختلف المناسبات تجعله بحكم المتعيّن لها بنظر الجمهور الأعظم من المسلمين.

حتى أنّ علياً نفسه كان واثقاً بأنّ الأمر لا يعدوه.

وقد جاء في شرح النهج لابن أبي الحديد: «أنّ عليّاً (عليه السلام) كان لا يشك في أنّ الأمر له، وأنّه لا ينازعه فيه أحد من الناس».

حتى حين قال له عمّه العباس : امدد يدك أُبايعك فيقال: عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليك إثنان ، قال عليّ: «**يا عمّ، وهل يطمع فيها طامع غيري؟!، قال : ستعلم ، فقال : إنّي لا أُحبّ هذا الأمر من وراء رتاج**»[1].

وبالطبع لقد دهش هو ومن معه لهذا الحدث العظيم حينما سمع به ورأى الناس يزفّون أبا بكر إلى المسجد والنبيّ (صلى الله عليه وآله) لا يزال مسجىً بين أهله وزوجاته والمسلمون ينتظرون أن يتمّ تجهيزه لمقرّه الأخير.

وحينما بلغه أنّ أبا بكر قد احتجّ على معارضيه من الأنصار بقرابته من رسول الله وسبقه إلى الإسلام كان لزاماً عليه أن يلزمهم بما ألزموا به غيرهم ـ ولو كان لا يؤمن بصحّة هذه الحجّة ولا بجدواها ، وباستطاعته أن يقدّم لهم عشرات الأدلّة التي لا تقبل الجدل والمراجعة لو كانوا يصغون إلى المنطق

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩: ١٩٦ (فصل في ترجمة عائشة).

وتردعهم الحجّة عمّا هم جادّون فيه ـ ومع ذلك فقد احتجّ عليهم بالحجّة التي تغلّبوا بها على الأنصار.

كما احتجّ بأقوال الرسول ونصوصه عليه وجهاده وأُخوّته لرسول الله وتاريخه المشرق لخدمة الرسالة، وظلّ متمسّكاً بحقّه وإلى جانبه زوجته سيّدة النساء تطالب بنحلتها وحقّ زوجها في الخلافة .

وذهب أكثر الرواة إلى أنّ أبا سفيان وقف موقف المتحمّس لعليّ، وأخذ يهدّد ويتوعّد ويقول : والله لأملأنّها عليهم خيلاً ورجالاً.

ولم يكن ليخفى على عليّ (عليه السلام) أنّ ذلك منه كان بقصد الوقيعة بين المسلمين وإشعال الفتنة ليتاح له ولأمثاله ممّن أسرّوا الشرك والنفاق أن يصلوا لأهدافهم المعادية للإسلام وحماته الذين حاربهم أبو سفيان عشرين عاماً ، وبالتالي كان إسلامه عام الفتح وإسلام زوجته هند آكلة الأكباد في أُحد أعسر إسلام عرف بين المسلمين ، لأنّه كان إسلام مغلوب أعيته جميع الوسائل، فاضطرّا أخيراً إلى الدخول مع المسلمين وفي نفسيهما آلام وأحقاد كانت تظهر بين الحين والآخر .

وجاء في رواية ابن الأثير في الكامل أنّ أمير المؤمنين زجر أبا سفيان بن حرب وقال له : «**والله ما أردت إلّا الفتنة ، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شراً لا حاجة لنا في نصرتك**»(١).

٢ ـ نتائج وافرازات السقيفة :

أبرزت أحداث السقيفة ثلاثة أطراف معارضة :

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٩ (حوادث السنة ١١ حديث السقيفة)، الكامل في التاريخ ٢: ٣٢٦ (حوادث السنة ١١ حديث السقيفة)، والذي في الطبري فيه تفاوت يسير باللفظ.

١ ـ الأنصار الذين نازعوا الخليفة وصاحبيه في سقيفة بني ساعدة، وانتهت بفوز قريش التي ركّزت على مبدأ الوراثة الدينية المعهودة في الذهنية العربية، وعمّقت انشقاق الأنصار علىٰ أنفسهم واستغلّت هذا الانشقاق في وقتٍ سيطرة النزعة القبلية على نفوسهم(١).

فقد ركّز أبو بكر وصاحباه في هذا النزاع دفاعهم عمّا زعموا من حقوق علىٰ نقطة كانت ذات وجاهة في نظر الكثيرين، فإنّ قريشاً ما دامت عشيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخاصته فهي أولىٰ من سائر المسلمين وأحقّ بخلافته وسلطانه، وقد انتفع أبو بكر ومؤيّدوه باجتماع الأنصار في السقيفة إذ خدمته الظروف فأقامت منه المدافع الوحيد عن حقوق المهاجرين في مجتمع الأنصار ولم يكن ليتهيّأ له ظرف أوفق بمصالحه من ظرف السقيفة ، إذ خلا الموقف من أقطاب المهاجرين الذين لم تكن المسألة لتنتهي في محضرهم إلىٰ نتيجتها التي سجّلتها السقيفة في ذلك اليوم.

وخرج أبو بكر من السقيفة وقد بايعه عدد من المسلمين الذين أخذوا بوجهة نظره في مسألة الخلافة أو عزّ عليهم أن يتولّاها سعد بن عبادة .

٢ ـ الأُمويون الذين كانوا يريدون أن يأخذوا من الحكم بنصيب ويسترجعوا شيئاً من مجدهم السياسي في الجاهلية وعلىٰ رأسهم أبو سفيان، ولم يعبأ (أبو بكر وجماعته) بمعارضة الأُمويين وتهديد أبي سفيان وما أعلنه من كلمات الثورة بعد رجوعه من سفره الذي بعثه فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لجباية الأموال ، لعلمهم بطبيعة النفس الأُموية وشهواتها السياسية والمادية، فكان من السهل كسب الأُمويين إلىٰ جانب الحكم القائم كما صنع أبو بكر،

(١) راجع تاريخ الطبري : ٤ / ٢٥ (طبع دار الفكر ـ بيروت) .

فأباح لنفسه أن يدفع لأبي سفيان جميع ما في يده من أموال المسلمين وزكواتهم ثم جعل للأُمويين بعد ذلك حظاً من العمل الحكومي في عدّة من المرافق الهامة .

٣ ـ الهاشميّون وأخصّاؤهم كعمار وسلمان وأبي ذر والمقداد (رضوان الله عليهم) وجماعات من الناس كانوا يرون أنّ البيت الهاشمي هو الوارث الطبيعي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بحكم الفطرة ومناهج السياسة التي كانوا يألفونها[1].

ونلاحظ أنّ الفئة الحاكمة نجحت في التعامل مع الأنصار والأُمويين وكسب الموقف منهم، ولكنّ هذا النجاح جرّها إلىٰ تناقض سياسي واضح، لأنّ ظروف السقيفة كانت تدعو الحاكمين إلىٰ أن يجعلوا للقرابة من رسول الله(صلى الله عليه وآله) حساباً في مسألة الخلافة ويقرّوا مبدأ الوراثة للزعامة الدينية ، غير أنّ الحال تبدّلت بعد موقف السقيفة، واتّخذت المعارضة لوناً جديداً وواضحاً كلّ الوضوح كان يتلخّص في أنّ قريشاً إذا كانت أولىٰ برسول الله(صلى الله عليه وآله) من سائر العرب لأنّه منها، فبنو هاشم أحقّ بالأمر من بقية قريش .

وهذا ما أعلنه الإمام عليّ (عليه السلام) حين قال : إذا احتجّ عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت الحجّة لنا علىٰ المهاجرين بذلك قائمة، فإن فلجت حجّتهم كانت لنا دونهم وإلّا فالأنصار علىٰ دعوتهم. وأوضحه العباس ابن عبدالمطلب لأبي بكر في حديث له معه إذ قال له : وأمّا قولك: «نحن شجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنّكم جيرانها ونحن أغصانها»[2].

---

(١) هذا التفصيل جاء في (فدك في التأريخ) للشهيد السيد محمّد باقر الصدر : ٨٤ ـ ٨٨ (تحليل الموقف في قصة الشورىٰ).

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن ابي الحديد : ٦ / ٥ (أخبار يوم السقيفة).

وقد كان الإمام عليّ (عليه السلام) الذي تزعم معارضة الهاشميّين مصدر رعب شديد في نفوس الحاكمين؛ لأنّ ظروفه الخاصة كانت تمدّه بقوة علىٰ لونين من العمل الإيجابي ضد الحكومة القائمة:

أحدهما : ضمّ الأحزاب المعادية إلىٰ جانبه كالأُمويين والمغيرة بن شعبة وأمثالهم ممن كانوا قد بدأوا يعرضون أصواتهم للبيع ويفاوضون الجهات المختلفة في اشترائها بأضخم الأثمان ،كما نعرف ذلك من كلمات أبي سفيان التي واجه بها خلافة السقيفة يوم وصوله إلىٰ المدينة ، وحديثه مع الإمام عليّ(عليه السلام) وتحريضه له علىٰ الثورة ، وميله إلىٰ جانب الخليفة ، وسكوته عن المعارضة حينما تنازل له الخليفة عن أموال المسلمين التي كان قد جباها في سفره، وإذن فقد كان الهوىٰ المادي مستولياً علىٰ جماعة من الناس يومئذٍ .

ومن الواضح أنّ الإمام عليّاً(عليه السلام) كان يتمكّن من إشباع رغبتهم بما خلّفه رسول الله(صلى الله عليه وآله) من الخمس وغلّات أراضيه في المدينة وفدك التي كانت ذات نتاج عظيم .

ثانيهما : الطور الآخر من المقاومة التي كان الإمام عليّ (عليه السلام) مُزوّداً بإمكانياتها في ما لمّح إليه بقوله : « **احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة**»[١] وهذا يعني أنّ الفكرة العامة يومئذٍ ـ التي أجمعت علىٰ تقديس أهل البيت والاعتراف لهم بالامتياز العظيم بقربهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ كانت سنداً قوياً للمعارضة[٢] .

(١) نهج البلاغة ١: ١١٦ / خ٦٧، بحار الأنوار ٢٩: ٦١١ / ح٢٦.

(٢) انظر فدك في التاريخ: ٨٨ (تحليل الموقف في قصة الشورىٰ).

٣ ـ خيارات الحاكمين الجدد بعد مسك السلطة

الخيار الأوّل : انتزاع القوّة المالية للإمام عليّ (عليه السلام)

لقد وجد الحزب الحاكم نفسه في موقف حرج جداً، لأنّ أطراف الدولة الإسلامية التي تُجبىٰ منها الأموال لا تخضع للحكم الجديد إلّا إذا استقرت دعائمه في العاصمة (مدينة الرّسول (صلى الله عليه وآله)) والمدينة بعدُ لم تخضع له خضوعاً إجماعياً ، فمثلاً إن كان أبو سفيان أو غيره قد باع صوته للحكومة فمن الممكن أن يفسخ المعاملة إذا عرض عليه شخص آخر ثمناً أكثر منها ربحاً ، وهذا ماكان يستطيع الإمام عليّ (عليه السلام) أن يقوم به في كلّ حين، فيجب والحالة هذه أن تنتزع من الإمام عليّ (عليه السلام) ـ الذي لم يكن مستعدّاً للمقابلة في تلك الساعة ـ الأموال التي صارت مصدراً من مصادر الخطر علىٰ مصالح الفئة الحاكمة لتضمن بقاء الأنصار علىٰ نصرتهم ، وعدم قدرة المعارضين علىٰ إنشاء حزب من أصحاب المطامع والأهواء يومذاك .

ولا يجوز أن نستبعد هذا التقدير لسياسة الفئة المسيطرة ما دام منطبقاً علىٰ طبيعة السياسة التي لا بدّ من انتهاجها، وما دمنا نعلم انّ الصدّيق اشترىٰ صوت الحزب الاُموي بالمال وبالجاه أيضاً، إذ ولّىٰ ابن أبي سفيان ، فقد جاء أنّ أبا بكر لمّا استُخلف قال أبو سفيان : ما لنا، ولأبي فصيل! إنّما هي بنو عبد مناف. فقيل له : إنّه قد ولّىٰ ابنك، قال : وصلته رحم[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٩ (حوادث السنة ١١ حديث السقيفة).

الخيار الثّاني : مواجهة معارضة الإمام (عليه السلام)

تردّد الحزب الحاكم في معالجة العنصر الثّاني في قوة المعارضة بين أمرين :

١ ـ أن لا يقرّ للقرابة بشأن في الموضوع ، ومعنىٰ هذا أنّه ينزع عن خلافة أبي بكر ثوبها الشرعي الذي ألبسها إيّاه يوم السقيفة .

٢ ـ أن يناقض نفسه فيظلّ ثابتاً علىٰ مبادئه التي أعلنها في السقيفة ولا يرىٰ حقاً للهاشميّين ولا امتياز لهم في مقاييس الرجال، أو يراه لهم ولكن في غير ذلك الظرف الذي يكون معنىٰ المعارضة فيه مقابلة حكمٍ قائمٍ ووضعٍ تعاقد عليه الناس، وعندها فلا أحد ينصرهم .

واختارت الفئة المسيطرة أن تثبت علىٰ آرائها التي روّجتها في مؤتمر الأنصار، وتعترض علىٰ المعارضين بأنّ مخالفتهم بعد بيعة الناس للخليفة ليست إلّا إحداثاً للفتنة المحرّمة في الإسلام[1].

٤ ـ الخطوات العملية الأُخرىٰ لمواجهة زعماء المعارضة آل محمّد (صلى الله عليه وآله)

حين نتأمّل في سياسة الفئة الحاكمة نجد إضافة إلىٰ التخطيط لإضعاف آل محمّد(صلى الله عليه وآله) اقتصادياً أنّهم انتهجوا منذ اللحظة الأُولىٰ سياسة معينة تجاههم للقضاء علىٰ الفكرة التي أمدَّت الهاشميّين بقوة علىٰ المعارضة كما خنقوا المعارضة نفسها وهي كونهم أقرب الناس لرسول الله (صلى الله عليه وآله) .

ونستطيع أن نصف هذه السياسة بأنّها تهدف إلىٰ إلغاء الامتيازات الإلهيّة التي أولاها الله للبيت الهاشمي وإبعاد أنصاره المخلصين له عن المرافق

---

(١) راجع فدك في التأريخ ، الشهيد السيد محمّد باقر الصدر : ٩١ (ذكر تحليل الموقف في قصة السقيفة).

الهامة في جهاز الحكومة الإسلامية يومئذٍ، وتجريد هـذا البـيت مـمّا له مـن الشأن والمقام الرفيع في الذهنية الإسلامية .

ويمكن اسناد هذا الرأي إلىٰ عدّة ظواهر تاريخية :

١ ـ سيرة الخليفة وأصحابه مع الإمام عليّ (عليه السلام) التي بلغت من الشدّة أنّ عمر هدّد بحرق بيته وإن كانت فاطمة فيه[١].

ومعنىٰ هذا الإعلان أنّ فاطمة وغـير فـاطمة مـن الهـاشميّين ليس لهـم حرمة تمنعهم عن أن يتّخذ معهم نفس الطريقة التي سار عليها مع سـعد بـن عبادة حين أمر الناس بـقتله فـي يـوم السـقيفة[٢]، ومـن صـور ذلك العـنف وصف الخليفة لعليّ (عليه السلام) بأنّه مربّ لكل فتنة، وتشبيهه له بأُم طـحال أحب إلىٰ أهلها البغي[٣] .

وقد قال عمر للإمام عليّ(عليه السلام) بكل صـراحـة: إنّ رسـول الله (صلى الله عليه وآله) مـنّا ومنكم[٤].

٢ ـ إنّ الخليفة الأوّل لم يُشرك شخصاً من الهاشميّين في شأن من شؤون الحكـم المـهمة ، ولا جـعل مـنهم والياً عـلىٰ شـبر مـن المـملكة الإسـلامية المترامية الأطراف مع أنّ نصيب الأُمويين في ذلك كان عظيماً.

ونستطيع أن نفهم بوضوح أنّ هذا الأمر وليد سياسة متعمدة ، من خلال المحاورة التي جرت بين الخليفة الثّاني وابن عباس حين أظهر فيها تـخوّفه

(١) المسترشد: ٢٢٤ (ذكر إنّ عثمان ينفي أبا ذر)، بحار الأنوار ٢٨: ٣٥٦، الإمامة والسياسة ١: ٣٠(ذكر كيف كانت بيعة عليّ عليه السلام)، العقد الفريد ٤: ٢٥٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٨: ٣٣٦، تاريخ الطبري ٢: ٤٥٩ (حوادث السنّة ١١ خبر ما جرىٰ بين المهاجرين والأنصار يوم السقيفة).

(٣) السقيفة وفدك للجوهري: ١٠٤ و١٠٥ (القسم الثّاني)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٥.

(٤) بحار الأنوار ٢٨: ٢٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٢٠ (ذكر اختلاف الرأي في الخلافة).

من تولية ابن عباس «حمص»، لأنّه يخشىٰ إذا صار الهاشميّون ولاةً علىٰ أقطار المملكة الإسلامية أن يموت وهم كذلك فيحدث في أمر الخلافة ما لا يريد(١).

٣ ـ عزل الخليفة لخالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجّهه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه لا لشيء إلّا لأنّ عمر نبّهه إلىٰ نزعة خالد الهاشميّة وميله إلىٰ آل محمّد (عليهم السلام) وذكّره بموقفه تجاههم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)(٢).

إذن فقد كانت الفئة الحاكمة تحاول أن تساوي بين بني هاشم وسائر الناس، وترتفع برسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الاختصاص بهم، لتنتزع بذلك الفكرة التي كانت تزوّد الهاشميّين بطاقة هائلة علىٰ المعارضة.

ولئن اطمأنّ الحاكمون إلىٰ أنّ عليّاً لا يثور عليهم في تلك الساعة الحرجة علىٰ الإسلام فهم لا يأمنون من انتفاضته بعد ذلك في كلّ حين ، ومن الطبيعي حينئذٍ أن يسارعوا إلىٰ الإجهاز علىٰ كلتا قوّتيه المادية ـ وهي «فدك» ـ والمعنوية ـ وهي الانتساب لرسول الله(صلى الله عليه وآله) ـ ما دامت الهدنة قائمة قبل أن يسبقهم إلى حرب أكول .

٤ ـ ومن المعقول بعد هذا أن يقف الخليفة موقفه التأريخي المعروف من الزهراء (عليها السلام) في قضية فدك ، فهو موقف تلاقىٰ فيه الغرضان وتركّز علىٰ الخطّين الأساسيّين لسياسته، لأنّ الدواعي التي بعثته لانتزاع فدك كانت تدعوه إلىٰ الاستمرار علىٰ تلك الخطّة ليسلب بذلك من خصمه الثروة التي كانت سلاحاً قوياً في عرف الحاكمين يومذاك ويعزّز سلطانه، وإلّا فما الذي

(١) الاستيعاب ٣: ٩٧٥ / ترجمة رقم ١٦٣٤، الوافي بالوفيات ١٧: ١٦٧.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٢١ ـ ٣٢٢ (ذكر خلافة عمر ولمع من نسبه وأخباره).

كان يمنعه عن تسليم فدك للزهراء بعد أن أعطته الوعد القاطع بأن تصرف منتوجاتها في سبيل الخير ووجوه المصلحة العامة ؟ إلّا أنّه خاف منها أن تفسّر وعدها بما يتّفق مع صرفها لغلّات فدك في المجالات السياسية. وما الذي صدّه عن إرضاء فاطمة بالتنازل لها عن حصّة ونصيب الصحابة ـ إذا صحّ أنّ فدك للمسلمين ـ سوىٰ أنّه أراد أن يقوّي بها خلافته ؟.

وأيضاً فإنّنا إذا عرفنا أنّ الزهراء كانت سنداً قوياً لقرينها في دعوته إلىٰ نفسه ودليلاً يحتجّ به أنصار الإمام علىٰ أحقيّته بالأمر، نستوضح أنّ الخليفة كان موفّقاً كلّ التوفيق في موقفه تجاه دعوىٰ الزهراء للنحلة وجارياً علىٰ المنهج السياسي الذي كان يفرضه عليه الظرف الدقيق، إذ اغتنم الفرصة المناسبة لإفهام المسلمين بصورة لبقة وعلىٰ أُسلوب غير مباشر بأنّ فاطمة امرأة من النساء ولا يصحّ أن تؤخذ آراؤها ودعاويها دليلاً في مسألة بسيطة كفدك فضلاً عن موضوع كالخلافة[1].

٥ ـ فدك بين النبيّ (صلى الله عليه وآله) والزهراء (عليها السلام):

قال الله تعالىٰ لرسوله: ﴿**فَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾[2]. نلاحظ أنّ هذه الآية خطاب من الله عزّوجلّ إلىٰ نبيّه محمّد (صلى الله عليه وآله) يأمره أن يؤتي ذا القربىٰ حقّه، فمن هم ذوو القربىٰ ؟ وما هو حقّهم ؟ وقد اتّفق المفسّرون أن ذوي القربىٰ هم أقرباء الرسول وهم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فيكون المعنى: أعطِ ذوي قرباك حقّهم.

(١) للمزيد من التفصيل راجع فدك في التأريخ: ٩٢ ـ ٩٥ (ذكر تحليل الموقف في قصة السقيفة).
(٢) الروم (٣٠): ٣٨.

وجاء في الدرّ المنثور للسيوطي عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: لمّا نزلت الآية ﴿ فآت ذا القربىٰ حقّه ... ﴾؛ دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة الزهراء وأعطاها فدكاً(١).

وذكر ابن جرير الطبري في تفسيره والذهبي في تنقيح التحقيق أنّ عمر قال: إنّي أُحدّثكم عن هذا الأمر، إنّ الله خصّ نبيّه في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره فقال: ﴿ وَمَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢) فكانت هذه (يعني: فدكاً) خالصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)(٣).

ويستفاد من الروايات التأريخية أنّ فدكاً كانت بيد الزهراء وأنّها كانت تتصرف فيها، ويستدل علىٰ أنّ فدكاً كانت بيد آل الرسول من تصريح الإمام عليّ (عليه السلام) في كتابه الذي أرسله إلىٰ عثمان بن حنيف عامله علىٰ البصرة، **« بلىٰ كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين، ونِعْم الحَكمُ الله ... »**(٤).

وعبّرت بعض الروايات أنّه: عندما استقرّ الأمر لأبي بكر انتزع فدكاً من فاطمة (عليها السلام)(٥)، ومعنىٰ هذا الكلام أنّ فدكاً كانت في يد فاطمة وتحت تصرّفها من عهد أبيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فانتزعها أبو بكر منها.

---

(١) الدر المنثور ٤: ١٧٧ (في تفسير سورة الإسراء)، وقد روى مثله بطرق متعددة السيّد ابن طاووس في الطرائف في معرفه مذاهب الطوائف: ٢٤٨ (فيما ذكر أو جرىٰ على فاطمة عليها السلام) ومثله في تفسير الصافي ٤: ١٣٣ (تفسير الآية ٣٨ من سورة الروم)، وبحار الأنوار ٢٩: ٢٠٥.

(٢) الحشر (٥٩): ٦.

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان) ٢٨: ٥٠ / ح ٢٦٢٣٤، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ٢: ٢٧٨ / مسألة ما فضل من مال الفيء / رقم ٧٣٠.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٧١ /كتاب قم ٤٥.

(٥) الصواعق المحرقة: ٣٧ ـ ٣٨ (الفصل الرّابع في خلافة أبي بكر).

ونقرأ في رواية قطب الدين الراوندي: فلمّا دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة ـ بعد استيلائه علىٰ فدك ـ دخل علىٰ فاطمة (عليها السلام) فقال : « **يا بنية إنّ الله قد أفاء علىٰ أبيكِ بفدك واختصّه بها ، فهي له خاصة دون المسلمين ، أفعل بها ما أشاء وإنّه قد كان لأُمّكِ خديجة علىٰ أبيكِ مهر، وإنّ أباكِ قد جعلها لك بذلك ، وأنحلها لك ولولدكِ بعدكِ** » قال : فدعا بأديم ودعا بعليّ بن أبي طالب وقال له: « **أُكتب لفاطمة بفدك نحلة من رسول الله** »، وشهد علىٰ ذلك عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) ومولىً لرسول الله وأُمّ أيمن(١) .

٦ ـ الاستيلاء على فدك وإخراج وكيل الزهراء منها

لمّا توفّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمسك أبو بكر بزمام الحكم ـ كما عرفنا ـ ومضت عشرة أيام؛ بعث إلىٰ فدك من يخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) منها.

وروي أنّ الزهراء أرسلت إلىٰ أبي بكر : أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم أهله ؟ قال : بل أهله ، قالت : فما بال سهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال : إنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : « **إنّ الله أطعم نبيّه طعمة** » ثم قبضه وجعله للذي يقوم بعده فولّيت أنا بعده أن أردّه إلىٰ المسلمين(٢).

وروي عن عائشة أنّ فاطمة (عليها السلام) أرسلت إلىٰ أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمدينة وفدك

(١) الخرائج والجرائح ١: ١١٣ / ح١٨٧ وعنه في بحار الأنوار ٢٩: ١١٥ ـ ١١٦ / ح ١٠.

(٢) مسند أحمد ١: ٤ (ما أسند عن أبي بكر)، السقيفة وفدك للجوهري: ١٠٩ (القسم الثّاني)، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٦: ٣٠٣ (باب سهم الصفي)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٩ (ذكر ما ورد في أمر فدك)، كنز العمال ٥: ٦٠٥ / ح ١٤٠٧١.

وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : لا نورّث، ما تركناه صدقة ، إنما يأكل آل محمّد من هذا المال. وإني ـ والله ـ لا أغيّر شيئاً من صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولأعملن فيها بما عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

فأبىٰ أبو بكر أن يدفع إلىٰ فاطمة منها شيئاً[١].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال عليٌّ لفاطمة (عليها السلام) : «**إنطلقي فاطلبي ميراثك من أبيك رسول الله** (صلى الله عليه وآله)»[٢] .

وفي رواية أُخرىٰ عن أبي عبدالله(عليه السلام): «**جاءت فاطمة إلىٰ أبي بكر وقالت : لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **؟ وأخرجتَ وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله**(صلى الله عليه وآله) **بأمر الله تعالىٰ ؟** » فقال : إن شاء الله إنّك لا تقولين إلّا حقاً ولكن هاتي علىٰ ذلك شهوداً، فجاءت أُم أيمن وقالت له : لا أشهد ـ يا أبا بكر ـ حتىٰ أحتجّ عليك بما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أُنشدك بالله ألست تعلم أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال : « **أُم أيمن امرأة من أهل الجنة**» ؟ فقال : بلىٰ ، قالت : فأشهد أنّ الله ـ عزوجل ـ أوصىٰ إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿**فَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ**﴾[٣] فجعل فدكاً لها طعمة بأمر الله، وجاء عليّ (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك ، فكتب أبو بكر لها كتاباً ودفعه إليها، فدخل عمر فقال : ما هذا الكتاب ؟ فقال أبو بكر : إنّ فاطمة

---

(١) العمدة لابن بطريق: ٣٩٠ / ح٧٧٦، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ / ح٣٥٦، بحار الأنوار ٢٩: ١١١ / ح٥، مسند أحمد ١: ٩ (ما أسند عن أبي بكر)، صحيح البخاري ٤: ٢٠٩ ـ ٢١٠ (باب مناقب المهاجرين وفضلهم) وج٥: ٨٢ (كتاب المغازي باب غزوة خيبر)، صحيح مسلم ٥: ٥٣ (كتاب الجهاد والسير، باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله لا نورّث)، سنن أبي داود ٢: ٢٣ / ح٢٩٦٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٧ (ذكر ما ورد في أمر فدك)،كنز العمال ٥: ٦٠٤ / ح١٤٠٦٩.

(٢) كشف الغمّة ٢: ١٠٦ ـ ١٠٧ (فصل في فضائل فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٢٩: ٢٠٧.

(٣) الروم (٣٠): ٣٨.

ادّعت فدكاً وشهدت لها أُم أيمن وعليّ فكتبته لها ، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فتفل فيه ومزّقه ، فخرجت فاطمة تبكي .

وروي أنّ الإمام علياً (عليه السلام) جاء إلىٰ أبي بكر وهو في المسجد فقال : « **يا أبا بكر لِمَ منعت فاطمة ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد ملكته في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟**» فقال أبو بكر : هذا فيء المسلمين ، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) جعله لها ، وإلّا فلا حقّ لها فيه، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « **يا أبا بكر أتحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين ؟** » قال : لا ، قال (عليه السلام) : « **فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ، ثم ادّعيت أنا فيه، من تسأل البينة ؟** » قال : إيّاك أسأل البيّنة، قال (عليه السلام) : « **فما بال فاطمة سألتها البيّنة علىٰ ما في يدها وقد ملكته في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبعده ، ولم تسأل المسلمين بيّنة علىٰ ما ادّعوا شهوداً كما سألتني علىٰ ما ادّعيت عليهم ؟** » ... فسكت أبو بكر .

فقال عمر : يا عليّ ، دعنا من كلامك ، فإنّا لا نقوىٰ علىٰ حجّتك ، فإن أتيت بشهود عدول ، وإلّا فهو فيء للمسلمين لا حقّ لك ولا لفاطمة فيه .

فقال الإمام عليّ (عليه السلام) : « **يا أبا بكر تقرأ كتاب الله ؟** » قال : نعم، قال (عليه السلام) : «**أخبرني عن قوله عزوجل : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[1] **فيمن نزلت ؟ فينا أو في غيرنا ؟**» قال : بل فيكم ، قال (عليه السلام) : « **فلو أنّ شهوداً شهدوا علىٰ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بفاحشة ما كنت تصنع بها ؟** »، قال : كنت أُقيم عليها الحدّ كما أُقيم علىٰ نساء العالمين !، قال عليّ (عليه السلام) : «**كنتَ إذن عند الله من الكافرين** »، قال : ولِمَ ؟ قال (عليه السلام) : « **لأنّك رددت شهادة الله بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها ، كما رددت حكم الله وحكم رسوله أن جعل لها فدكاً وزعمت أنّها فيء**

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

للمسلمين، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): البيّنة علىٰ من ادّعىٰ واليمين علىٰ من أنكر» فدمدم الناس، وأنكر بعضهم بعضاً، وقالوا: صدق والله عليّ[١].

٧ ـ خطبة الزهراء (عليها السلام) في مسجد النبيّ (صلى الله عليه وآله) وادانة المستولين على فدك:

حينما قرّرت السلطة أن تمنع فاطمة (عليها السلام) فدكاً وبلغها ذلك قرّرت الإعلان عن مظلوميتها بالذهاب إلىٰ المسجد وإلقاء خطاب مهم في الناس، وسرىٰ الخبر في المدينة أنّ بضعة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وريحانته تريد أن تخطب في الناس في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله) وهزّ الخبر أرجاء المدينة واحتشد الناس في المسجد ليسمعوا هذا الخطاب المهم.

وروىٰ لنا عبدالله بن الحسن عن آبائه (عليهم السلام) صورةً من هذا الخطاب قائلاً: إنّه لمّا أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً وبلغها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسها، واشتملت بِجلبابها، وأقبلتْ في لمّةٍ من حَفَدَتِها ونساء قومها، تَطَأُ ذُيولَها، ما تَخْرِمُ مشيَتُها مشْيَةَ رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢] حتى دخلت علىٰ أبي بكر وهو في حَشْدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فَنيطَتْ دونها مُلاءة[٣]، فجلستْ ثمّ أَنَّتْ أَنَّةً أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجَّ المجلِسُ، ثمّ أمْهَلَتْ هُنَيْئَةً حتّى إذا سكن نَشيج القوم وَهَدَأَتْ فَوْرَتُهُم؛ افتتحت الكلام بحمد الله والثّناء عليه والصلاة على رسوله (صلى الله عليه وآله) فعاد القوم في بكائهم، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت (عليها السلام):

(١) تفسير القمي ٢: ١٥٥ ـ ١٥٧ (في تفسير الآية ٣٨ من سورة الروم)، الاحتجاج للطبرسي ١: ١١٩ ـ ١٢٣ (ذكر احتجاج فاطمة عليها السلام علىٰ أبي‌بكر)، بحار الأنوار ٢٩: ١٢٧ ـ ١٣٠ / ح٢٧.
(٢) أي: ما تنقُصُ مِشْيَتُها مِشيَةَ أبيها، كأنّه هُو.
(٣) أي: ضُرب ببينها وبين القومِ سترٌ وحجابٌ.

«الحمد لله على ما أنعم ، وله الشُّكر على ما ألهم ، والثناء بما قدّم مِن عموم نِعَمٍ ابتدأها، وسُبوغِ آلاءٍ أسْداها ، وتَمامِ مِنَنٍ أوْلاها ، جَمَّ عن الاِحصاء عددُها ، ونأىٰ عن الجزاءِ أمَدُها ، وتفاوَتَ عَنِ الاِدْراك أَبَدُها ، وَنَدَبَهُمْ لاستزادَتِها بالشُكرِ لاتّصالها، وَاسْتحْمَدَ إلى الخلائِقِ بإجزالها ، وثنى بالندب إلى أمثالها ، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، كلمةً جَعَلَ الاِخلاصَ تأويلَها ، وَضَمَّنَ القلوبَ مَوْصولَها ، وأنارَ في التفكُّرِ معقولَها .

الممتنعُ من الأبصار رؤيَتُه ، ومن الألسُنِ صفَتُه ، ومن الأوْهامِ كيفيّتُهُ ، ابتدع الأشياء لا من شيءٍ كان قَبْلها ، وأنشأها بلا احتذاءِ أمْثِلَةٍ امتَثَلها ، كَوَّنها بقدرته ، وذَرَأَها بمشِيَّتِهِ ، من غير حاجةٍ منه إلى تكوينها ، ولا فائدةٍ له في تصويرِها ، إلّا تثبيتاً لحكمته ، وتنبيهاً على طاعته ، وإظهاراً لقدرته وتعبُّداً لبريّته وإعزازاً لدعوته ، ثمّ جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ، ذِيادةً[1] لعباده عن نقمته، وحياشةً[2] لهم إلى جنّته .

وأشهد أنّ أبي محمّداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله ، وسمّاه قبل أن اجتباه ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، إذ الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علماً من الله تعالى بمآيل الأُمور ، وإحاطةً بحوادث الدهور ، ومعرفةً بمواقع الأُمور ، ابتعثه الله إتماماً لأمره ، وعزيمةً على إمضاء حكمه ، وإنفاذاً لمقادير حتمه ، فرأى الأُمم فِرَقاً في أديانها ، عُكَّفاً على نيرانها ، عابدةً لأوثانها ، منكرةً لله مع عِرفانِها .

فأَنارَ اللهُ بأبي محمّد (صلى الله عليه وآله) ظُلَمَها ، وكَشَفَ عن القلوب بُهَمَها[3] ، وجَلىٰ عن الأبصارِ غُمَمَها ، وقام في النّاس بالهداية ، فأنقذهم من الغواية ، وبَصّرَهُم من العَماية ، وهَداهُم إلى الدين القويم ، ودعاهم إلى الطريق المستقيم .

ثمّ قبضه الله إليه قبض رأفةٍ واختيار ، ورغبة وإيثار ، فمحمّد (صلى الله عليه وآله) من تعب هذه الدار

(١) ذيادةً: دفعاً .

(٢) حياشةً : جمعاً وسوقاً .

(٣) البُهم : معضلات الأُمور ومشكلاتها .

في راحة، قد حُفَّ بالملائكة الأبرار، ورضوانِ الربّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبّار، صلّى الله على أبي نبيّه، وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيّه، والسّلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثمّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أنتم عِبادَ الله نصب أمرِه ونهيِه، وحَمَلَة دينهِ وَوَحْيِهِ، وأُمناء الله على أنفسكم، وبُلَغاؤه إلى الأُمم، زعيمُ حقٍ له فيكم، وعهدٌ قدّمه إليكم، وبقيّةٌ استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنةً بصائره، منكشفةً سرائره، منجلية ظواهره، مغتَبِطَةً به أشياعُه، قائداً إلى الرضوان اتّباعه، مؤدٍّ إلى النّجاة استماعُه، بِه تُنال حججُ اللهِ المُنَوَّرَة، وعزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، ومحارِمُه المحذّرة، وبيّناتُه الجالية، وبراهينُه الكافية، وفضائله المندوبة، ورُخَصُه الموهوبة، وشرائعهُ المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاةَ تزكيةً للنفس، ونماءً في الرزق، والصيّامَ تَثبيتاً للإخلاص، والحجَّ تشييداً للدين، والعدْلَ تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً للفرْقة، والجهادَ عِزّاً للإسلام، والصبّر معونةً على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام مَنْسَأة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبيّة.

فاتّقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ﴾(١).

ثمّ قالت: أيّها الناس! اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد، أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما

---

(١) فاطر: ٢٨.

أقول غلطاً ، ولا أفعل ما أفعل شططاً ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[١] فإن تَعْزوهُ وتعرفوه تَجِدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابنِ عَمّي دون رجالِكم ، وَلَنِعْمَ المعزّي[٢] إليه ، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة[٣] مائلاً عن مَدْرَجَةِ المشركين ، ضارباً ثَبَجَهُم[٤] آخِذاً بأكظامِهِم[٥] داعياً إلى سبيلِ ربّهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة ، يَجِفُ الأصنامَ وَ ينكُثُ الهام ، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدبر ، حتّى تَفَرّىٰ اللّيلُ عن صُبْحِه ، وأسْفَرَ الحَقُّ عن مَحْضِه ، ونَطَقَ زعيمُ الدّين، وخَرَسَت شَقاشِقُ الشَياطين ، وطاح وشيظُ[٦] النِفاقِ ، وانْحَلَّتْ عُقَدُ الكفرِ والشِقاق ، وفُهْتُم[٧] بكلمة الإخلاص في نَفَرٍ من البيض الخِماصِ[٨] وكنتم على شَفا حُفرةٍ من النار ، مِذقَةَ[٩] الشارِب ونهزَة[١٠] الطامع ، وقَبْسَةَ العَجْلان ، ومَوْطِئَ الأقدام تشَرْبَونَ الطَرَق[١١] ، وتَقْتاتونَ القِدّ[١٢] أذِلّة خاسئين ، تخافون أن يتخطّفكم النّاسُ مِن حَوْلِكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمّد (صلى الله عليه وآله) ، بعد اللتيا والّتي ، وبعد أن مُنِي بِبُهْمِ[١٣] الرجال وذؤبانِ العَرَب ، ومَرَدَةِ أهلِ الكتاب ،كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، أو نَجَمَ قَرْنُ الشيطان[١٤] ، أو فَغَرَتْ

(١) التوبة (٩) : ١٢٨ .
(٢) المعزّي : المُنتَسَبُ .
(٣) صادعاً : مبيّناً، والنذارة : الانذار .
(٤) الثبج : وسط الشيء ومعظمه .
(٥) الكظم : مخرج النفس من الحلق .
(٦) الوشيظ : الخسيس من الناس .
(٧) فهتم : تلفّظتم .
(٨) الخماص : الجياع ، وهنا اختياراً .
(٩) المذقة : اللبن الممزوج بالماء كناية عن سهولة شربه .
(١٠) النهزة : الفرصة .
(١١) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل وبركت فيه .
(١٢) القدّ : قطعة جلد غير مدبوغ .
(١٣) البهم : الشجعان الأقوياء .
(١٤) نجم قرن الشيطان : طلع أتباعه .

فاغِرةٌ[١] من المشركين قَذَفَ أخاهُ في لَهواتِها، فلا يَنكَفِئ حَتّىٰ يَطأَ جَناحَها بأَخْمصِه[٢] ، ويُخْمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِه ، مَكدوداً في ذاتِ الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريباً من رسول الله ، سيّداً في أولياء الله ، مشمّراً ناصحاً ، مُجِدّاً كادِحاً ، لا تأخُذهُ في الله لومةُ لائمٍ ، وأنتم في رفاهيّة من العيش، وادِعون فاكِهون آمِنون ، تَتَربَّصوَن بِنا الدوائرَ[٣] وتَتَوكَّفونَ الأخبْارَ[٤] وتَنْكِصونَ عِنْدَ النِزالِ ، وتَفِرّونَ مِنَ القِتال .

فلمّا اختار الله لنبيّه (صلى الله عليه وآله) دار أنبيائه ومأوى أصفيائه ظهر فيكم حَسَكَةُ[٥] النِفاق، وسمُلَ جِلبابُ الدين ، ونَطَقَ كاظِمُ[٦] الغاوين ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلّينَ ، وهَدَرَ فَنيقُ[٧] المُبطِلين ، فَخَطَرَ في عَرَصاتِكم ، وَأطْلَعَ الشَيْطانُ رأسَه مِن مَغرِزِه[٨] هاتِفاً بِكُم فَأَلْفاكُم لِدَعْوَتهِ مُستَجيبين ، ولِلغِرَّةِ فيه ملاحِظينَ ، ثمّ اسْتَنْهَضَكُم فَوَجَدَكُم خِفافاً ، وأحْشَمَكُم[٩] فَألفاكم غِضاباً ، فَوَسَمْتُم غَيْرَ إبِلِكُم ، وَوَرَدْتُم غَيْرَ مَشْرَبِكُم ، هذا والعهدُ قَريبٌ ، والكَلْمُ رَحيبٌ، والجُرْحُ لمّا يَنْدَمِلْ ، والرّسولُ لَمّا يُقْبَرْ ، إبتداراً[١٠] زَعَمْتُم خَوْفَ الفِتْنَةِ ﴿ ألا في الفِتْنَةِ سَقَطوا وإنّ جَهَنّم لَمُحيطَةٌ بالكافرين ﴾[١١] .

فهيهاتَ منكُم! وَكَيْفَ بِكُمْ ، وأنّىٰ تُؤفَكونَ ، وكِتابُ اللهِ بَيْنَ أظْهُرِكُم؟! أُمورُه ظاهرة،

---

(١) الفاغرة : الطائفة .

(٢) الأخمص : باطن القدم .

(٣) الدوائر : العواقب السيئة .

(٤) تتوكفون الأخبار : تنتظرون أخبار السوء بنا .

(٥) الحسكة : العداوة والحقد .

(٦) كاظم : ساكت .

(٧) الهدير : ترديد البعير صوته في حنجرته . والفنيق : الفحل المكرّم من الأبل الذي لا يهان ولا يركب لكرامته على أهله .

(٨) مغرزه : مخبئه .

(٩) أحشمكم : أغضبكم .

(١٠) ابتدر القوم : تسابقوا في الأمر .

(١١) التوبة (٩) : ٤٩ .

وأحكامُه زاهرة ، وأعلامُه باهرة ، وزواجرُه لايحة، وأوامِرُهُ واضِحَةٌ ، وَقَدْ خلّفتموه وَراءَ ظُهورِكُم ، أَرَغْبَةً عنه تريدون ؟ أم بِغَيْرِه تَحْكُمون ؟ ، ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾(١) ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾(٢) .

ثمّ لم تَلْبَثوا إلّا رَيْثَ أن تَسْكُنَ نِفْرَتها(٣) ، ويَسلُس(٤) قِيادُها ، ثمّ أخذتُم تُورونَ وَقْدَتَها ، وتُهَيّجونَ جَمْرَتَها ، وتَستَجيبونَ لِهتافِ الشيطانِ الغَويّ ، وإطفاءِ أنوارِ الدّينِ الجَليّ، وإهمالِ سُنَنِ النَبيّ الصَفِيّ (صلى الله عليه وآله) ، تَشْرَبونَ حَسْواً في ارتِغاء(٥) وَتَمْشُون لأهلِهِ وَوُلْدِهِ في الخَمَرَةِ والضَرّاء(٦) ونصبر منكم على مِثْلِ حَزِّ المُدىٰ وَوَخْزِ السِنان في الحَشا ، وأنتم الآنَ تَزْعَمون : أن لا إرْثَ لَنا ، أفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ تَبْغونَ ؟ ومَن أحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكماً لِقَوْمٍ يوقِنون ! أفلا تعلمون ؟ ! بلى قَد تَجلّى لكم كالشمسِ الضاحِيَةِ : أنّي ابنَتُهُ ، أيُّها المسلمون أأُغْلَبُ على إرْثي ؟.

يا بْنَ أبي قُحافَةَ أفي كتابِ اللهِ تَرِثُ أباكَ ولا أَرِثُ أبي ؟ لَقد جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً ! أفَعَلىٰ عَمْدٍ تَرَكْتُم كِتابَ اللهِ وَنَبَذْتُموهُ وَراءَ ظُهورِكُم ؟ إذ يقول : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾(٧) ، وقال فيما اقتَصَّ مِن خَبَرِ يَحيى بنِ زَكَرِيّا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(٨) وقال : ﴿وَأُولُوا ٱلأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ...﴾(٩)

---

(١) الكهف (١٨) : ٥٠ .

(٢) آل عمران (٣) : ٨٥ .

(٣) نفرتها : جزعها .

(٤) يسلس : يسهل .

(٥) الحسو : الشرب شيئاً بعد شيء . والارتغاء : شرب الرغوة ، وهي اللبن الممزوج بالماء ، وجملة «حسواً في ارتغاء» مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره .

(٦) الخمر : ما واراك من شجر وغيره . والضراء : الشجر الملتفّ في الوادي .

(٧) النمل (٢٧) : ١٦ .

(٨) مريم (١٩) : ٥ ـ ٦ .

(٩) الأنفال (٨) : ٧٥ .

وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلأُنثَيَيْنِ﴾[١] وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وَزَعَمْتُم أن لا حُظْوَةَ لي ولا إرْثَ مِن أبي ولا رَحِمَ بَيْنَنا، أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أخْرَجَ أبي مِنها؟ أم هَلْ تَقولونَ: إنّ أهلَ مِلَّتَين لا يتوارَثان؟ أوَ لَسْتُ أنا وَأبي مِن أهلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟ أمْ أنْتُم أَعْلَمُ بِخصوصِ القُرآنِ وَعُمومِهِ مِن أبي وابنِ عمّي؟.

فَدونَكَها مخْطومَةً مرحولةً[٣] تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْم الحَكَمُ اللهُ، والزَعيمُ مُحَمَّدٌ(صلى الله عليه وآله)، والمَوْعِدُ القِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعةِ يَخْسَرُ المُبْطِلونَ، ولا ينفَعُكُم إذ تَنْدمونَ، ولِكُلِّ نَبأ مُسْتَقرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمونَ مَن يَأتيهِ عذابٌ يُخزيه وَيَحِلُّ عليه عَذابٌ مُقيمٌ».

ثمّ رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: «يا مَعْشَرَ النَقيبَة[٤] وأعْضادَ المِلَّةِ وحَضَنَةَ الإسلام، ما هٰذِهِ الغَميزَةُ[٥] في حَقّي والسِنَةُ عَن ظُلامَتي؟ أما كانَ رَسولُ اللهِ(صلى الله عليه وآله) أبي يقول: «المرءُ يُحْفَظُ في وُلْدِهِ»؟ سَرْعانَ مَا أحْدَثْتُم، وَعَجْلانَ ذا إهالَةٍ[٦] ولَكُم طَاقَةٌ بما أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ على ما أطْلُبُ وأُزاوِلُ، أتقولونَ ماتَ محمّد (صلى الله عليه وآله)؟ فَخَطْبٌ جَليلٌ اسْتَوسَعَ وَهْنُه وَاسْتَنْهَرَ[٧] فَتْقُهُ وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ[٨]، وَاظْلَمَّتِ الأرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وكُسِفَتِ الشَمسُ وَالقَمَرُ، وانْتَثَرَتِ النجومُ لِمُصيبَتِهِ، وأَكْدَتِ الآمالُ، وَخَشَعَتِ الجِبالُ، وأُضيعَ الحَريمُ، وأُزيلَتِ الحُرْمَةُ عِنْدَ ممَاتِهِ، فَتِلكَ وَاللهِ النازِلةُ الكُبْرىٰ، والمُصيبَةُ العُظمىٰ، لامِثْلُها

---

(١) النساء (٤): ١١.

(٢) البقرة (٢): ١٨٠.

(٣) دونكها: أي خذها. والخطام: الزمام. والرحل للناقة كالسرج للفرس. والمقصود: خذ فدكاً جاهزة مهيّئة.

(٤) النقيبة: الفتية.

(٥) الغميزة: نقص في العقل أو العمل. وَالسِنَه: النُعاسُ من غيرِ نَوْمٍ.

(٦) الإهالة: الودك وهو دسم اللحم، وجملة: «سرعان ذا إهالة» مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.

(٧) استنهر: اتّسع.

(٨)انفتق رتقه: أي انشق المكان الملتئم منه.

نازِلَةٌ، ولا بائِقَةٌ[١] عاجِلَة، أعْلَنَ بهاكتابُ اللهِ جَلَّ ثَناؤُه في أفْنِيَتِكُمْ، وَلِقَبْلِهِ ما حَلَّ بِأنبياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ حُكْمٌ فَصْلٌ، وقَضاءٌ حَتْمٌ: ﴿وما مُحمَّدٌ إلّا رَسولٌ قد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرُسُلُ أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقَلَبْتُم على أعْقابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فلَنَ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيْجزي اللهُ الشاكرينَ﴾[٢].

إيهاً بَني قِيلةَ[٣] أأُهْضَمُ تُراث أبي؟ وأنتم بِمرَأىً منّي ومَسْمَع، ومُنْتَدىً[٤] ومَجْمَع، تُلْبِسُكُمُ الدَعْوَةُ، وتشملكم الحيَرَةُ، وأنتم ذوو العدد والعُدّة، والأداة والقوّة، وعندكم السلاح والجُنَّة، توافيكم الدَعْوَةُ فلا تجيبون، وتأتيكُمُ الصَرْخَةُ فلا تغيثونَ، وأنتم مَوْصوفونَ بالْكِفاح، مَعروفونَ بِالخَيْرِ والصّلاح، والنُخْبَةُ الّتي انْتُخِبَتْ، والخيرةُ التي اختيرت لنا أهْلَ البَيْتِ، قاتَلْتُمُ العَرَبَ، وتَحَمَّلْتُم الكَدَّ وَالتَعَبَ، وناطَحْتُم الأُممَ وكافَحْتُم البُهَمَ، لا نَبْرَحُ أو تَبْرَحون، نأمُرُكُم فَتَأْتَمِرونَ حتّى إذا دارَتْ بِنا رَحىٰ الإسلام، ودَرَّ حَلَبُ الأَيامِ، وَخَضَعَتْ نَعْرَةُ الشِرك، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإفك، وَخَمَدَتْ نيرانُ الكُفْرِ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الهَرَجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدّين، فأنّىٰ حزتم بعد البيان؟[٥] وأسررْتم بعد الإعْلانِ؟ ونَكَصْتُم بَعْدَ الْإقدام؟ وأشْرَكتم بعد الإيمانِ؟.

بُؤساً لقومٍ نَكَثوا أيْمانَهُم مِن بَعْدِ عَهْدِهِم، وَهَمّوا بِإخْراجِ الرَّسول، وَهُمْ بَدَأوكُم أَوَّلَ مرَّةٍ، أَتَخْشَوْنَهُم فاللهُ أَحَقُّ أنْ تَخْشَوْهُ إن كنتم مؤمنين، ألا وقد أرىٰ أنْ قد أخلَدتُم إلى الخَفْض[٦] وأبعَدْتُم مَن هو أحقُّ بالبَسطِ والقَبض، وخَلَوْتُم بالدَعَة[٧] ونَجَوْتُم بالضّيق من

---

(١)البائقة : الداهية .

(٢) آل عمران (٣) : ١٤٤ .

(٣) بنو قيلة : هم الأنصار من الأوس والخزرج .

(٤)المنتدى : النادي بمعنى المجلس .

(٥)استوسق : اجتمع وانتظم . وفي الاحتجاج : «**فأنّىٰ حِرتم بعد البيان**» .

(٦)الخفض: السعة في العيش .

(٧)الدعة : الراحة والسكون .

السعة، فَمَجَجْتُم[١] ما وَعَيْتُم، ودَسَعْتُم[٢] الذي تَسَوَّغْتُم[٣] فإن تكفروا أنتم ومَن في الأرض جَميعاً فإنّ الله لغنيٌ حَميدٌ[٤].

ألا وقد قلتُ ما قلتُ هذا على معرفةٍ منّي بالجَذْلَةِ[٥] الّتي خامَرَتْكُم[٦] والغَدْرَةِ التي استشْعَرَتْها قلوبُكُم، ولكنّها فَيْضَةُ النَفْسِ[٧] ونَفْثَةُ الغَيْظ، وخَوَرُ القَناة[٨] وَبثَّةُ الصَدْر[٩] وتَقْدِمَةُ الحُجَّةِ، فَدونكموها فاحتَقِبوها[١٠] دَبَرَةَ[١١] الظَهر، نَقِبَةَ الخُفِّ[١٢] باقيةَ العارِ، موسومَةً بِغَضَبِ الجَبّار وشنارِ الأَبَدِ، موصولةً بنارِ الله الموقَدة، الّتي تطّلع على الأفئدة، فبعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[١٣]، وأنا ابنةُ نَذيرٍ لكم بَين يَدَي عذابٍ شديد فاعملوا إنّا عامِلونَ، وانتظِروا إنّا منتَظِرونَ».

٨ ـ محاولة أبي بكر لتلطيف الجوّ الساخن:

وبعد هذا لجأ أبوبكر الى أُسلوب الاستعطاف في محاولة منه لتدارك الموقف فقال: يا بنت رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً

---

(١) مججتم : رميتم .
(٢) دسعتم : قيّأتم .
(٣) تسوّغتم : شربتم بسهولة .
(٤) إقتباس من سورة إبراهيم : ٨ .
(٥) جذل : فرح .
(٦) خامرتكم : خالطتكم .
(٧) فيضة النفس : إظهار المضمر في النفس لاستيلاء الهمّ وغلبة الحزن .
(٨) كناية عن ضعف النفس .
(٩) بثّة الصدر : إظهار ما فيه من الحزن .
(١٠) احتقبوها : إحملوها على ظهوركم .
(١١) الدبرة : قرحة الدابّة تحدث من الرحل ونحوه .
(١٢) نقبة الخف : رقّته .
(١٣) الشعراء (٢٦) : ٢٢٧ .

رؤوفاً رحيماً، على الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً، إن عزوناه[١] وجدناه أباك دون النّساء، وأخا إلفِك دون الأخلّاء[٢] آثره على كلّ حميم، وساعده في كلّ أمر جسيم، لا يُحبّكُم إلّا سعيد، ولا يُبغضكم إلّا شقيّ بعيد، فأنتم عترة رسول الله الطيّبون، الخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنّة مسالكنا.

وأنت يا خِيَرَةَ النساء وابنة خير الأنبياء صادقةٌ في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّك، ولا مصدودة عن صِدْقِكِ، والله ما عَدَوْتُ رأْيَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا عملتُ إلّا بإذنِهِ، والرائدُ لا يكذب أهلَه، وإنّي أُشهد الله وكفى به شهيداً أنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث ذهباً ولا فضّةً ولا داراً ولا عقاراً وإنّما نورّث الكتاب والحكمة والعلم والنبوّة، وما كان لنا من طعمةٍ فلوليّ الأمر بَعْدَنا أن يحكم فيه بحكمه» وقد جعلنا ما حاولتِهِ في الكراع[٣] والسِلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفّار، ويجالدون[٤] المَرَدَة الفُجّار، وذلك بإجماع من المسلمين[٥]، لم أنفرد به وحدي، ولم أستبد بما كان الرأي عندي وهذه حالي ومالي، وهي لك وبين يديك، لا تُزوىٰ[٦] عنك، ولا تُدَّخَرُ دونَكِ وإنّك وأنتِ سيّدة أُمّة أبيك، والشجرة الطيّبة لبنيك، لا ندفعُ ما لَكِ من فضلك، ولا يوضع في فرعك

---

(١)عزوناه : نسبناه .

(٢)الأخلّاء : مفرده الخليل وهو الصديق .

(٣)الكراع : ـ بضمّ الكاف ـ: جماعة الخيل .

(٤)يجالدون: يضاربون.

(٥) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : ١٦ / ٢٢١ : أنّه لم يرو حديث إنتفاء الإرث إلّا أبوبكر وحده . وله كلام في ذلك ايضاً في ص٢٢٧ و٢٢٨ فراجع ، وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء : ٧٣ وأخرج أبو القاسم البغوي، وأبوبكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة قالت: اختلفوا في ميراثه (صلى الله عليه وآله) فما وجدوا عند أحد من ذلك علماً ، فقال أبوبكر :سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول : إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة.

(٦)لا تزوى : لا تمنع .

وأصلِك، حكمُكِ نافذٌ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن أُخالفَ في ذلك أباك (صلى الله عليه وآله)؟

٩ ـ ردّ الزهراء على أبي بكر:

فقالت (عليها السلام): «**سبحان الله ماكان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادِفاً**[١] **ولا لأحكامه مخالِفاً! بل كان يتّبع أثره، ويقفو سُوَرَه، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزُور، وهذا بَعدَ وَفاته شبيه بما بُغي له من الغوائل**[٢] **في حَياتِهِ، هذا كتاب الله حَكَماً عَدْلاً، وناطِقاً فَصْلاً يقول: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾**[٣] **ويقول: ﴿وورثَ سُلَيْمانُ داود﴾**[٤] **وبيّن عزّ وجلّ فيما وزّع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذُكران والإناث ما أزاح به علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين، كلّا بل سوّلتْ لكم أنْفُسُكُم أمراً فصَبْرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون**».

١٠ ـ محاولة أبي بكر لإخماد عواطف المسلمين تجاه نصرة الزهراء:

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجّة، لا أُبعِدُ صَوابَكِ، ولا أُنكِرُ خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلّدوني ما تقلّدت، وباتّفاقٍ منهم أخذت ما أخذت غيرَ مكابِرٍ ولا مستبدٍّ، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

وهذه أُولىٰ محاولة لأبي بكر استطاع فيها إخماد عواطف المسلمين

---

(١) صادفاً: معرضاً.

(٢) الغوائل: المهالك.

(٣) مريم (١٩): ٦.

(٤) النمل (٢٧): ١٦.

وحرف رأيهم عن مناصرة الزهراء (عليها السلام) من خلال التظاهر باتّباع سنّة النبيّ (صلى الله عليه وآله).

١١ ـ الزهراء تكشف النقاب عن خذلانها

ثُمَّ التفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت : «**معاشِرَ المسلمين المسرِعَةَ إلى قيلِ الباطلِ، المُغْضِيَةَ[١] على الفعلِ القبيحِ الخاسِرِ، أفلا تتدبّرونَ القُرْآن أم على قلوب أقفالها؟ كلّا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم. فأُخذ بسَمْعِكُم وأبصارِكُم ولبئس ما تَأَوَّلْتُم، وساء ما به أَشَرْتُم، وشرّ ما منهُ اغتَصَبْتُم، لَتَجِدُنَّ واللهِ مَحْمِلَه ثَقيلاً، وَغِبَّهُ[٢] وَبيلاً، إذا كُشِفَ لكُمُ الغِطاءُ وبانَ ما وراءَه[٣] الضَرّاءُ، وبَدا لَكُم مِن ربّكم ما لم تكونوا تحتَسِبون ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[٤].**

١٢ ـ الزهراء تشكو حال المسلمين الى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

ثم عطفت على قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله) وقالت:

قد كانَ بعدَك أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ[٥] لو كنت شاهِدَها لم تكثُرِ الخُطَبُ

إنّا فقدناك فَقْدَ الأرض وابلَها واختلَّ قَومَكَ فاشهَدْهُم ولا تَغِبُ

وكلُّ أهلٍ له قُربىً ومنزِلَةٌ عِندَ الإله على الأدنين مُقترِبُ

أبدَتْ رِجالٌ لنا نَجوى صدورِهِمُ لمّا مَضَيْتَ وحالَتْ دونك التُرُبُ

---

(١) المغضية : غضّ طرفه أي أطبقه ، والمغضية أي المطبقة.

(٢) غبّه : عاقبته .

(٣) أي : ظهر لكم الشيء الذي وراءه الشدّة.

(٤) غافر (٤٠) : ٧٨ .

(٥) الهنبثة : الأمر الشديد .

تَـــجَهَّمَتْنا رجـــالٌ واســـتُخِفّ بـــنا لمّـــا فُـــقِدْتَ وَكُـــلُّ الأرْضِ مُـــغْتَصَبُ
وكـــنتَ بَـــدْراً ونُـــوراً يُستَضاء بِـــهِ عَـــلَيْكَ يُـــنزل مِـــن ذي العِـــزّةِ الكُـــتُبُ
وكـــان جـــبريلُ بـــالآياتِ يُـــؤْنِسُنا فَـــقَدْ فُـــقِدْتَ وَكُـــلُّ الخَـــيْرِ مُـــحْتَجبُ
فَـــلَيْتَ قَـــبْلَكَ كـــانَ المَـــوْتُ صـــادَفَنا لمّـــا مَـــضَيْتَ وَحـــالَتْ دونَك الكُتُبُ[١]

أنهت الزهراء خطابها وقد أوضحت فيه الحقّ بأجلىٰ صورة، واستجوبت الخليفة وفضحت ماكان يضمره الحاكم بالأدلّة والبراهين الساطعة المحكمة، وذكرت فضائل الخليفة الحقيقي في الإسلام وكمالاته المطلوبة ، فتوتّر الجوّ وانساق الرأي العام لصالح الزهراء (عليها السلام) وجعلت أبا بكر في زاوية حرجة وأمام طريق مسدود .

قال ابن أبي الحديد : سألت ابن الفارقي مدرّس المدرسة الغربية ببغداد ، وقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال : نعم، قلت : فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدكاً وهي عنده صادقة ؟ فتبسّم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً : لو أعطاها اليوم فدكاً لمجرد دعواها؛ لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يمكن الاعتذار والموافقة ، لأنّه يكون قد سجّل علىٰ نفسه أنها صادقة فيما تدّعي كائناً ماكان من غير حاجة إلىٰ بيّنة وشهود[٢].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ١: ١٣١ ـ ١٤٥ (ذكر احتجاج فاطمة على أبيبكر والخطبة)، بحار الأنوار ٢٩: ٢٢٠ ـ ٢٣٣ / ح٨. ورواها الطبري في دلائل الإمامة: ١١١ ـ ١٢٥ (قصّة فدك)، والجوهري في السقيفة وفدك: ١٠٠ ـ ١٠٥ (القسم الثّاني) وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١١ ـ ٢١٥ (ذكر ما ورد من أمر فدك في السير)، بطرق عديدة مع اختلاف واختصار باللفظ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد : ١٦ / ٢٨٤ (الفصل الثّالث في أنّ فدك هل صح كونها نحلة رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة أم لا).

١٣ ـ ردّ فعل الخليفة علىٰ خطاب الزهراء (عليها السلام) :

اضطرب المجلس وتفرّق الناس وارتفعت الضجّة وأصبحت خطبة الزهراء (عليها السلام) حديث الناس فلجأ أبو بكر إلىٰ التهديد والوعيد .

وروي أنّ أبا بكر لمّا شاهد أثر خطاب الزهراء علىٰ الناس قال لعمر : تربت يداك ماكان عليك لو تركتني ، فربّما مات الخرق ورتقت الفتق ، ألم يكن ذلك بنا أحقّ ؟ فقال الرجل : قدكان في ذلك تضعيف سلطانك وتوهين كفتك وما أشفقت إلّا عليك. قال : ويلك! فكيف بابنة محمّد ، وقد علم الناس ما تدعو إليه وما نحن من الغدر عليه؟ فقال: هل هي إلّا غمرة[1] انجلت وساعة انقضت؟ وكأنَّ ما قدكان لم يكن. فضرب بيده علىٰ كتف عمر وقال : ربّ كربة فرَّجتها يا عمر ، ثم نادىٰ الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر وقال :

أيّها الناس ، ما هذه الرعة إلىٰ كلّ قالة ؟ أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله ؟ ألا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلّم، إنّما هو ثعالة شهيده ذَنَبه، مربٍّ لكل فتنة هو الذي يقول :كرّوها جذعة بعد ما هرمت يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء ،كأُم طحال أحبّ أهلها إليها البغي، ألا إنّي لو أشاء لقلت ، ولو قلت لبُحت ، وإنّي ساكت ما تُركت .

ثم التفت إلىٰ الأنصار فقال : يا معشر الأنصار قد بلغني مقالة سفهائكم وأحقّ من لزم عهد رسول الله أنتم ، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم ، ألا إنّي لست باسطاً يداً ولساناً علىٰ من لم يستحقّ منّا ذلك ، ثم نزل[2].

(١) الغمرة: الشدّة، المعجم الوسيط: ٦٦١/٢ مادة (غمر).

(٢) دلائل الإمامة: ١٢٢ ـ ١٢٤ (ذكر قصّة فدك).

قال ابن أبي الحديد : قرأت هذا الكلام علىٰ النقيب أبي يحيىٰ جعفر بن أبي يحيىٰ بن أبي زيد البصري وقلت له : بمن يعرّض؟ فقال : بل يصرّح، قلت : لو صرّح لم أسألك، فضحك وقال : لعليّ بن أبي طالب، قلت : فما مقالة الأنصار ؟ قال : هتفوا بذكر عليّ ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم[1] .

١٤ ـ دفاع اُم سلمة عن حقّ الزهراء (عليها السلام) :

بعد خطبة الزهراء (عليها السلام) في المسجد وكلام أبي بكر قالت اُمّ سلمة (رضي الله عنها) حين ما سمعت ما جرىٰ لفاطمة (عليها السلام) : أَلِمثلِ فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقال هذا القول ؟ هي والله الحوراء بين الإنس ، والنَفس للنفس ، رُبّيت في حجور الأتقياء ، وتناولتها أيدي الملائكة ، ونمت في حجور الطاهرات ، ونشأت خيرة نشأة ، وربيت خير مربىٰ ، أتزعمون أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرّم عليها ميراثه ولم يُعلمها ؟ وقد قال الله تعالىٰ : ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ**﴾[2] أفأنذرها وخالفت مطلبه ؟ وهي خيرة النسوان واُمّ سادة الشبّان ، وعديلة مريم ، تمّت بأبيها رسالات ربّه ، فوالله لقدكان يشفق عليها من الحرّ والقرّ ، ويوسدها يمينه ويلحفها بشماله ، رويداً ورسول الله (صلى الله عليه وآله) بمرآىٰ منكم ، وعلىٰ الله تردون واهاً لكم ، فسوف تعلمون.

قال: فحرمت من عطاءها تلك السنة[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٦ / ٢١٥ (ذكر ما ورد من السير في أمر فدك).

(٢) الشعراء (٢٦): ٢١٤.

(٣) دلائل الإمامة: ١٢٤ (حديث فدك)، الدرّ النظيم: ٤٨٠ (فصل في ذكر كلام فاطمة عليها السلام من أجل فدك).

١٥ ـ شكوى الزهراء إلىٰ الإمام عليّ (عليه السلام) :

بعد ما أنهت الزهراء كلامها مع القوم بكت عند قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتىٰ ابتلّ بدموعها، ثم انكفأت(عليها السلام) راجعة إلىٰ الدار وأمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقّع رجوعها إليه ويتطلّع طلوعها عليه، فلمّا استقرّت بها الدار قالت لأمير المؤمنين (عليه السلام) : «**يابن أبي طالب اشتملت شملة الجنين ، وقَعدَت حُجرةَ الظنين ، نقضتَ قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحلة أبي ، وبُلغة ابنيَّ ، لقد أجهر في خصامي، وألفيته الألدَّ في كلامي حتىٰ حبستني قيلةُ نصرها ، والمهاجرة وصلها ، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع، خرجتُ كاظمة وعدتُ راغمة، أضرعتَ خدَّك يوم أَضعت حدَّك ، إفترست الذئاب ، وافترشت التراب، ما كففت قائلاً، ولا أغنيت باطلاً ، ولا خيار لي ليتني متُّ قبل هِينَتي ودون ذلّتي، عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً، ويلاي في كلّ شارق مات العمد ووهن العَضد شكواي إلىٰ أبي وعدواي إلىٰ ربّي ، اللهمّ أنت أشدّ قوةً وحولاً ، وأَحَدُّ بأساً وتنكيلاً .**

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « **لا ويل عليكِ، الويل لشانئكِ، نهنهي عن وَجْدِك يا بنت الصفوة وبقية النبوة، فما ونَيتُ عن ديني ، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنتِ تريدين البُلغة فرزقكِ مضمون ، وكفيلكِ مأمون، وما أُعدَّ لكِ خير ممّا قطع عنكِ، فاحتسبي الله** »، فقالت (عليها السلام) : « **حسبي الله** » وسكتت[١].

١٦ ـ الزهراء(عليها السلام) تعلن مقاطعتها للحاكمين

لم تتوقّف الزهراء عند خطبتها، فقد استمرت في جهادها واختارت

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٤٥ ـ ١٤٦ (احتجاج فاطمة على أبيبكر)، المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٥٠ ـ ٥١ (فصل في ظلامة أهل البيت عليهم السلام)، بحار الأنوار ٢٩: ٢٣٤ ـ ٢٣٥ / ح٨.

الاعتصام عن الكلام مع أبي بكر هذه المرّة ، فأعلنت رسميّاً أمام الملأ : «**والله لا أُكلّمك بكلمة ما حييت**»[١].

ولم تكن فاطمة (عليها السلام) من سواد الناس ، بحيث لو قاطعت الخليفة لم تؤثّر عليه ، ولم يكن الأمر غير ذي بال ، ففاطمة عزيزة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحبيبته ، ولم يخف على الناس اهتمامه (صلى الله عليه وآله) بها وحبّه لها، وهي التي قال النبيّ الأعظم(صلى الله عليه وآله) فيها: «**فاطمة بضعة منّي ، من آذاها فقد آذاني**»[٢].

وانتشر الخبر رويداً رويداً : إنّ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساخطة علىٰ أبي بكر ولم تكلّمه ، وسمع بذلك القاصي والداني من داخل المدينة وخارجها فتساءل الناس ، وازدادوا نفوراً من الخليفة يوماً بعد يوم، ورغم محاولات الخليفة إعادة المياه إلىٰ مجاريها والمصالحة مع الزهراء إلّا أنّها (عليها السلام) استمرت في جهادها وبقيت علىٰ صمودها حتىٰ مضت إلىٰ ربّها شهيدة مظلومة .

١٧ ـ المعنىٰ الرمزي والسياسي لفدك :

إنّ الحركة التصحيحية التي قام بها الإمام عليّ مع الزهراء (عليهما السلام) لإعادة الخلافة الإسلامية إلى مجراها اكتسبت ألواناً وصيغاً متعدّدة، وتزعّمت

---

(١) كشف الغمّة ٢: ١٠٦ (فصل في فضائل فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٢٩: ٢٠٦.

(٢) وحديث «**فاطمة بضعة مني**» حديث مشهور متواتر عند العام والخاص وفي تتماته ألفاظ متعددة ومتفاوتة وطرقه كثيرة حتى بلغ حدّ التواتر. ونحن نذكر بعضاً منها هنا للإختصار :
أمالي الصدوق: ١٦٥ / ح١٦٣، شرح الأخبار ٣: ٣٠ / ح ٩٧٠، العمدة لابن البطريق: ٣٨٤ / ح٧٥٨، بحار الأنوار ٤٣: ١٧١ / ح ١١، مسند أحمد ٤: ٥ (حديث عبدالله بن الزبير)، صحيح مسلم ٧: ١٤١ (كتاب المناقب، باب فضائل فاطمة عليها السلام)، سنن الترمذي ٥: ٣٦٠ / ح ٣٩٦١، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٥٩ (ذكر مجيء النبيّ صلى الله عليه وآله الى بيت فاطمة صباح زفافها)، كنز العمال ١٢: ١٠٧ / ح٣٤٢١٥. ونكتفي بهذه المصادر التي تعدّ من أهم المصادر في الحديث عند الفريقين.

الزهراء(عليها السلام) الجبهة السياسية العلنيّة، وتنوّعت أساليب المطالبة بحقّ خلافة الإمام عليّ (عليه السلام)، ومنها المطالبة بفدك، وحتىٰ هذه المطالبة تلوّنت بعدة ألوان .

والباحث الموضوعي في دراسة خطوات الصراع وتطوّراته والأشكال التي اتّخذها لا يرىٰ أنّ المسألة مسألة مطالبة بأرض ، بل يتجلّىٰ له منها مفهوم أوسع من ذلك ينطوي علىٰ غرض وطموح أبعد من الأرض، ويهدف إلىٰ استرداد حقّ إلهيّ مغتصب ومجد رساليّ عظيم ، وتصحيح مسيرة اُمّة انقلبت علىٰ أعقابها من حيث تشعر أو لا تشعر، وقد أحسّ الحزب الحاكم بذلك، فتراه يبذل قصارى جهده في التحدّي والثبات على موقفه .

ولو فحصنا أيّ نصّ من النصوص التأريخية المتعلّقة بفدك فلا نجد فيها نزاعاً مادياً أو اختلافاً حول فدك بمعناها الضيّق وواقعها المحدود ، بل هي الثورة علىٰ أساس الحكم المنحرف والصرخة التي أرادت لها الزهراء (عليها السلام) أن تصل إلىٰ كلّ الآفاق، لتقتلع بها الحجر الأساسي الذي بُني يوم السقيفة .

ويكفينا لإثبات ذلك أن نلقي نظرةً فاحصةً علىٰ خطبة الزهراء في المسجد أمام الخليفة وبين حشود المهاجرين والأنصار ، فإنّها تناولت في أغلب جوانبها امتداح الإمام عليّ (عليه السلام) والثناء علىٰ مواقفه الجهادية الخالصة لخدمة الإسلام، وتسجيل الحقّ الشرعي لأهل البيت (عليهم السلام) الذين وصفتهم بأنّهم الوسيلة إلىٰ الله في خلقه وهم خاصّته واُمناء وحيه وحجّته، وورثة أنبيائه في الخلافة والحكم .

وحاولت الزهراء (عليها السلام) أن تنبّه المسلمين إلىٰ غفلتهم وسوء اختيارهم المرتجل والمتسرّع وانقلابهم علىٰ أعقابهم بعد هداهم ، وورودهم غير شربهم الصافي الذي كان يروي ظمأهم ، وإسنادهم أمرهم إلىٰ غير أهله،

والفتنة التي سقطوا فيها ، والدوافع التي دفعتهم إلىٰ ترك كتاب الله ومخالفته فيما يحكم به في مسألة الخلافة والإمامة .

فالمسألة إذن ليست مسألة تقسيم ميراث أو قبض نحلة، وليست مطالبة بعقار أو دار، بل هي في نظر الزهراء(سلام الله عليها) قضية إسلام وكفر ، وقضية إيمان ونفاق ، ومسألة نصّ وشورىٰ .

كذلك نجد هذا النفس السياسي الرفيع والواضح في حديثها مع نساء المهاجرين والأنصار حين زيارتهن لها، فقد أوضحت لهنّ أنّ أمر الخلافة انحرف عن مساره الشرعي بإقرار الحزب الحاكم على مسند الحكم، ولم تكن ردّة فعل عاطفية وأحقاد مكنونة وجدت لها متنفّساً، ولو أنهّم وضعوا الأمر حيث أمر الله ورسوله وأعطوا زمام القيادة للإمام المنصوص عليه(عليه السلام)؛ لبلغوا رضا الله وسعادة الدنيا والآخرة .

وأكبر الظنّ أنّ الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) كانت تجد في شيعة الإمام(عليه السلام) وصفوة أصحابه الذين لم يكونوا يشكّون في صدقها أبداً من يؤيّد بشهادته علىٰ شهادة الإمام عليّ (عليه السلام) وتكتمل البيّنة التي طالب بها الخليفة لإثبات أنّ فدكاً للزهراء (عليها السلام).

إنّ هذا خير دليل علىٰ أنّ الهدف الأعلىٰ للزهراء الذي كانوا يعرفونه جيداً ليس هو إثبات النحلة أو الميراث فحسب، بل هو إدانة نتائج مؤتمر السقيفة ومحاولة القضاء عليها، وهذا لا يحصل بإقامة البيّنة في موضوع فدك، لأنّ الأمر سينحصر عند ذاك بقضية محدودة، بل يحصل بإقامة البيّنة لدىٰ الناس جميعاً علىٰ أنّهم ضلّوا وانحرفوا عن سواء السبيل، عسىٰ أن يرتدّ إليهم رشدهم ويحسن اختيارهم ويصحّحوا مسيرتهم .

ونعلم أيضاً مقدار تخوّف السلطة الحاكمة وإصرارها علىٰ موقفها

ومحاولتها الاستمرار في تضليل الجماهير كما يشهد لذلك ردّ الخليفة بعد أن انتهت الزهراء (عليها السلام) من خطبتها وخرجت من المسجد ، وهذا يلقي الضوء علىٰ أساس منازعة الزهراء له ، فإنّه فهم أنّ احتجاج الزهراء لم يكن حول الميراث أو النحلة ، وإنّما كان حرباً سياسية وتظلّماً لحقّ الإمام علي (عليه السلام) وإظهاراً لدوره العظيم في وجوده في الأُمة، والذي شاء الخليفة وأصحابه أن يبعدوه عن المقام الطبيعي له في دنيا الإسلام.

فنجد أنّ الخليفة يهاجم الإمام عليّاً(عليه السلام) فيصفه بأنّه ثعالة وأنّه مربّ لكلّ فتنة وأنّ فاطمة ذنبه التابع له، ولم يتطرّق في ردّه علىٰ موضوع الميراث أو النحلة قليلاً أو كثيراً .

وإذا عرفنا أنّ الزهراء نازعت الخليفة في أمر الميراث بعد تأميمه لفدك، لأنّ الناس لم يعتادوا أن يستأذنوا الخليفة في قبض مواريثهم أو في تسليم المواريث إلىٰ أهلها، فكانت تجري معاملاتهم بينهم بيسر دون تكلّف ، فلم تكن فاطمة (عليها السلام) في حاجة إلىٰ مراجعة الخليفة، ولم تكن لتأخذ رأيه وهو الظالم المنتزي علىٰ الحكم في رأيها، فالمطالبة بالميراث لابدّ أنّها كانت ذات صدىً لما قام به الخليفة من تعدّي علىٰ حقّ الزهراء في التركة والاستيلاء عليها.

وإذا عرفنا أيضاً أنّ الزهراء لم تطالب بحقوقها قبل أن تغتصب منها تجلّىٰ بوضوح لدينا أنّ ظروف المطالبة كانت مشجّعة كلّ التشجيع للمعارضين علىٰ أن يغتنموا مسألة الميراث مادةً خصبةً للانطلاق منها لمقاومة الخليفة غير الشرعي بأُسلوب سلمي كانت تفرضه المصالح العليا للإسلام يومئذٍ، ومن الممكن إتّهامه بالغصب والتلاعب بقواعد الشريعة والاستخفاف بكرامة القانون .

١٨ ـ خيارات الإمام عليّ (عليه السلام) تجاه الوضع الجديد :

إنّ الأحداث المتسارعة والمواقف المنحرفة وظهور أطراف عديدة تعدّ للإسلام المكائد وتطرق أبواب الفتن وغياب الوعي الرسالي والحرص علىٰ سلامة العقيدة أملت علىٰ الإمام عليّ (عليه السلام) أن يقف عند مفترق طرق ثلاثة ، كلّ منها حرجٌ :

الأولّ : أن يبايع أبا بكر دون ممانعة، ويكون حاله مثل بقية المسلمين، بل يحظىٰ بمكانة مرموقة لدىٰ السلطة الجديدة ويحافظ علىٰ وجوده وكيانه ومنافعه من دون إهتمام بمسيرة الدعوة الإسلامية ، وهذا غير ممكن ، لأنّه يعني إمضاءه لبيعةٍ مخالفةٍ لأوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

الثّاني : أن يسكت وفي العين قذىٰ وفي الحلق شجىٰ، ويحاول أن يجد مسلكاً معتدلاً وسط التناقضات التي ستحصل من جراء حكومة غير مؤهلة، ليحافظ علىٰ كيان الإسلام ويصون العقيدة الإسلامية من الانهيار التام .

الثّالث : أن يعبّئ الجماهير ويعدّهم لإعلان الثورة المسلحة علىٰ خلافة أبي بكر .

١٩ ـ قرار المواجهة السلمية ودور الزهراء (عليها السلام) :

انتهى الإمام إلىٰ قرار حاسم وهو ترك الثورة وعدم التسلّح بالنصوص في وجه الحاكمين جهاراً وعلانية إلّا إذا اطمأن إلىٰ قدرته علىٰ تجنيد الرأي العام ضدّ أبي بكر وصاحبيه، وهذا ما أخذ يحاوله عليّ في محنته آنذاك، فبدأ

يطوف سرّاً على زعماء المسلمين ورجالات المدينة[١]، يعظهم ويذكّرهم ببراهين الحقّ وآياته ، وإلىٰ جانبه قرينته تعزّز موقفه وتشاركه في جهاده السرّي، ولم يكن يقصد بذلك التطواف إنشاء حزب يتهيّأ له القتال به، لأنّنا نعرف أنّ عليّاً كان له حزب من الأنصار هتف باسمه ، وحاول الإلتفاف حوله، وإنّما أراد أن يمهّد بتلك المقابلات لإجماع الناس عليه.

وهنا تجيء مسألة فدك لتحتلّ الصدارة في السياسة العلوية الجديدة، فإنّ الدور الفاطمي الذي رسم هارون النبوّة خطوطه بإتقان كان متّفقاً مع ذلك التطواف الليلي في فلسفته وجديراً بأن يقلب الموقف على الخليفة وينهي خلافة الصدِّيق كما تنُهىٰ القصة التمثيلية ، لا كما يقوّضُ حكمٌ مركّزٌ على القوّة والعدّة.

وكان الدور الفاطمي يتلخّص في أن تطالب الصدِّيقة الزهراء (عليها السلام) أبا بكر بما انتزعه منها من أموال، وتجعل هذه المطالبة وسيلةً للمناقشة في المسألة الأساسية وهي مسألة الخلافة، وإفهام الناس بأنّ اللحظة التي عدلوا فيها عن عليّ (عليه السلام) إلىٰ أبي بكر كانت لحظة هوس وشذوذ[٢]، وأنّهم بذلك أخطأوا وخالفوا كتاب ربّهم ووردوا غير شربهم[٣].

(١) راجع شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٦ / ١٣ (ذكر أخبار يوم السقيفة)، رواه عن أبي جعفر محمّد بن عليّ (عليهما السلام): أنّ علياً حَملَ فاطمة علىٰ حمار وسارَ بها ليلاً إلىٰ بيوت الأنصار، يسألهم النصرة ، وتسألهم فاطمة الانتصار له .

(٢) راجع بلاغات النساء : ١٣ (كلام فاطمة عليها السلام وخطبها)، قالت في هذا المعنىٰ من خطبة لها (عليها السلام) : **«وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، فوجدكم لدعائه مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحظين ، فاستنهضكم فوجدكم خفافاً... فوسمتم غير إبلكم»**.

(٣) جاء في شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ٦ / ١٢ (ذكر أخبار يوم السقيفة): قال عليّ (عليه السلام) في محاورة مع القوم: **«يا معشر المهاجرين الله الله، لاتخرجوا سلطان محمّد عن داره وبيته إلىٰ بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم..»**.

ولمّا اختمرت الفكرة في ذهن فاطمة، اندفعت لتصحّح أوضاع الساعة، وتمسح عن جبين الحكم الإسلامي ـ الذي وُضِعت قاعدته الأُولىٰ في السقيفة ـ الوحل الذي تلطّخ به، عن طريق اتّهام الخليفة الحاكم بالخيانة السافرة والعبث بكرامة القانون، واتّهام نتائج المعركة الانتخابية التي خرج منها أبو بكر خليفةً بمخالفة الكتاب والصواب[1].

وقد توفّرت في المقابلة الفاطمية ناحيتان لا تتهيّئان للإمام فيما لو وقف موقف قرينته:

إحداهما : إنّ الزهراء أقدر منه بسبب ظروف فجيعتها الخاصّة ومكانتها من أبيها ـ علىٰ استثارة العواطف ، وإيصال المسلمين بسلك من كهرباء الروح بأبيها العظيم صلوات الله عليه وأيّامه الغرّاء، وتجنيد مشاعرهم لقضايا أهل البيت(عليهم السلام).

والأُخرىٰ : إنّها مهما تتّخذ لمنازعتها من أشكال فلن تكتسب لون الحرب المسلّحة التي تتطلّب زعيماً يهيمن عليها ما دامت امرأة، وما دام هارون النبوّة في بيته محتفظاً بالهدنة التي أعلنها حتّىٰ تجتمع الناس عليه، ومراقباً للموقف ليتدخّل فيه متىٰ شاء ، متزعّماً للثورة إذا بلغت حدّها الأعلىٰ، أو مهدّئاً للفتنة إذا لم يتهيّأ له الظرف الذي يريده ، فالحوراء فاطمة(عليها السلام) بمقاومتها إمّا أن تحقّق انتقاضاً إجماعياً على الخليفة، وإمّا أن لا تخرج عن دائرة الجدال والنزاع ولا تجرّ إلىٰ فتنة وانشقاق .

---

(١) راجع الصواعق المحرقة : ٣٦ (ذكر خلافة أبي‌بكر)، قال الخليفة الثّاني : «كانت بيعة أبي بكر فلتةً وقى الله شرّها فمن عادَ لمثلها فاقتلوه...». وأخرج الحديث اليعقوبي في تاريخه ٢: ١٥٨ (أيام عمر) والباقلاني في تمهيد الأوائل: ٤٩٥ (باب الكلام في إمامة أبي‌بكر) وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢: ٢٦ (حديث السقيفة).

إذن فقد أراد الإمام ـ صلوات الله عليه ـ أن يُسْمِع الناس يومئذٍ صوته من فم الزهراء، ويبقىٰ هو بعيداً عن ميدان المعركة ينتظر اللحظة المناسبة للاستفادة منها، والفرصة التي تجعل منه رجل الموقف، وأراد أيضاً أن يقدّم لأُمّة القرآن كلّها في المقابلة الفاطمية برهاناً علىٰ بطلان الخلافة القائمة، وقد تمّ للإمام ما أراد حيث عبّرت الزهراء ـ صلوات الله عليها ـ عن الحقّ العلويّ تعبيراً واضحاً فيه ألوان من الجمال والنضال.

وتتلخّص المعارضة الفاطمية في عدّة مظاهر:

الأوّل: إرسالها مَن ينازع أبا بكر في مسائل الميراث ويطالب بحقوقها[1] وهذه هي الخطوة الأُولى التي انتهجتها الزهراء صلوات الله عليها تمهيداً لمباشرتها للعمل بنفسها.

الثّاني: مواجهتها بنفسها له في اجتماع خاصّ[2] وقد أرادت بتلك المقابلة أن تشتدّ في طلب حقوقها من الخمس وفدك وغيرهما، لتعرف مدىٰ استعداد الخليفة للمقاومة.

الثّالث: خطبتها في المسجد بعد عشرة أيام من وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) كما في شرح النهج[3].

الرّابع: حديثها مع أبي بكر وعمر حينما زاراها بقصد الاعتذار منها،

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٦ / ٢١٨ ـ ٢١٩ (ماورد من السير في أمر فدك) عن أبي الطفيل قال: «أرسلت فاطمة إلىٰ أبي بكر: **أنت ورثت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم أهله؟** قال: بل أهله ...».

(٢) المصدر نفسه: ١٦ / ٢٣٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٦ / ٢١١ أخرج عن جماعةٍ قال: « قالوا: لمّا بلغ فاطمة (عليها السلام) إجماع أبي بكر علىٰ منعها فدك لاثت خِمارها وأقبلت في لُمةٍ من حفدتِها ونساء قومِها ... حتّىٰ دخلت علىٰ أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار ... ».

وإعلانها غضبها عليهما، وأنّهما أغضبا الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) بذلك[١].

الخامس : خطابها الذي ألقته علىٰ نساء المهاجرين والأنصار حين اجتماعهنّ عندها[٢] .

السادس : وصيّتها بأن لا يحضر تجهيزها ودفنها أحد من خصومها[٣] وكانت هذه الوصية الإعلان الأخير من الزهراء عن نقمتها على الخلافة القائمة.

٢٠ ـ تقييم الحركة الفاطمية:

وقد انحسرت الحركة الفاطمية بمعنىً ونجحت بمعنىً آخر .

انحسرت لأنّها لم تُطِح بحكومة الخليفة في زحفها الأخير الخطير الذي قامت به في اليوم العاشر من وفاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) .

ولا نستطيع أن نتبيّن الأُمور التي جعلت الزهراء تخسر المعركة ، غير أنّ الأمر الذي لا ريب فيه أنّ شخصيّة الخليفة من أهمّ الأسباب التي أدّت إلىٰ فشلها، لأنّه من أصحاب المواهب السياسية ، وقد عالج الموقف بلباقة ملحوظة لا نجد لها مثالاً، فيما أجاب به الزهراء من كلام وجّهه إلى الأنصار في خطاب بعد انتهائها من خطبتها في المسجد .

---

(١) راجع : المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥٢٦ (ما ذكر في فضل فاطمة عليها السلام)، وصحيح البخاري ٤: ٢١٠ (باب مناقب المهاجرين)، الآحاد والمثاني ٥: ٣٦١ / ح٢٩٥٤، تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٥٦ (باب صفه خلقه صلى الله عليه وآله)، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد :١٦ / ٢٨١، ٢٦٤ . وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « **فاطمة بضعة منّي من أغضبها أغضبني** »،كنز العمّال ١٢: ١٠٨ / ح ٣٤٢٢٢. وقد مرّ الكلام عن هذا الحديث في إعلان المقاطعة ص١٦٤.

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١٦ / ٢٣٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٦ / ٢٨١ .

فبينما هو يذوب رقّة في جوابه للزهراء وإذا به يطوي نفسه علىٰ نار متأجّجة تندلع بعد خروج فاطمة من المسجد، في أكبر الظنّ، فيقول : ما هذه الرِّعة إلىٰ كلّ قالة؟! إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه[١] ـ وقد نقلنا الخطاب كاملاً فيما سبق ـ فإنّ هذا الانقلاب من اللين والهدوء إلى الغضب الفائر يدلّنا علىٰ مقدار ما أُوتي من سيطرة علىٰ مشاعره وقدرته علىٰ مسايرة الظرف وتمثيل الدور المناسب في كلّ حين.

ونجحت معارضة الزهراء لأنّها جهّزت الحقّ بقوّة قاهرة، وأضافت إلىٰ طاقته على الخلود في ميدان النضال المذهبي طاقة جديدة ، وقد سجّلت هذا النجاح في حركتها كلّها وفي محاورتها مع الصدِّيق والفاروق عند زيارتهما لها بصورة خاصّة، إذ قالت لهما : أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعرفانه وتفعلان به ؟ فقالا : نعم ، فقالت : «**نشدتكما الله، ألم تسمعا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبّ فاطمة فقد أحبّني، ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني**[٢] قالا : نعم سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قالت : **فإنّي أُشْهِدُ الله وملائكته أنّكما**

---

(١) راجع الخطبة في شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٢) صحّت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عبائر متعدّدة بهذا المعنىٰ فقد جاء عنه في الصحيح أنّه قال لفاطمة (رضي الله عنها) : «**إنّ الله يغضبُ لغضبك ، ويرضىٰ لرضاك ..** » وقال : « **فاطمة بضعةٌ منّي يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها** ». وقد سبق وذكرنا مصادرها.
راجع : صحيح مسلم : ٤ / ١٩٠٢ حديث رقم : ٩٣ / ٢٤٤٩ طبعة دار إحياء التراث ، مستدرك الحاكم : ٣ / ١٥٨ ، ذخائر العقبىٰ : ٤٧ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٤ / ٣٢٣ و ٣٣٢، جامع الترمذي : ٥ / ٦٩٩ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الصواعق المحرقة / ابن حجر : ١٩٠ ـ طبعة القاهرة ،كفاية الطالب : ٣٦٥ ، دار احياء تراث أهل البيت ـ طهران .

أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبيّ(صلى الله عليه وآله) لأشكونّكما عنده»[١]*.

ويصوّر لنا هذا الحديث مدىٰ اهتمامها بتركيز الاعتراض علىٰ خصمَيْها ومجاهرتهما بغضبها ونقمتها، لتخرج من المنازعة بنتيجة هي الفوز المؤكّد في حساب العقيدة والدين، وأعني بها أنّ الصدّيق قد استحقّ غضب الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) بإغضابها ، وآذاهما بأذاها لأنّهما يغضبان لغضبها ويسخطان لسخطها بنصّ الحديث النبويّ الصحيح، فلا يجوز أن يكون خليفة لله ورسوله[٢]، وقد قال الله تبارك وتعالىٰ :

﴿... وَمَاكَانَ لَكُمْ أَن تُؤذُواْ رَسُولَ اللهِ وَلَا أن تَنكِحُواْ أَزْواجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللهِ عَظِيماً ﴾[٣] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ﴾[٤].

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥] .

﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَوَلَّواْ قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾[٦] .

﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هوىٰ ﴾[٧] .

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٣١ (ذكر بيعة عليّ عليه السلام لأبي بكر).

(*) تجد غضب فاطمة (عليها السلام) علىٰ أبي بكر في صحيح البخاري : ٥ / ٥ وصحيح مسلم : ٢ / ٧٢ ومسند الإمام أحمد : ١ / ٦ ، تاريخ الطبري : ٤ / ٢٧ ،كفاية الطالب : ٢٦٦ ، سنن البيهقي : ٦ / ٣٠٠.

(٢) راجع فدك في التاريخ : ١١٢ ـ ١١٩ (ذكر المواجهة السلمية).

(٣) الأحزاب (٣٣) : ٥٣ .

(٤) الأحزاب (٣٣) : ٥٧ .

(٥) التوبة (٩) : ٦١ .

(٦) الممتحنة (٦٠) : ١٣ .

(٧) طه (٢٠) : ٨١ .

٢١ ـ الهجوم علىٰ دار الزهراء (عليها السلام) :

رفض الإمام عليّ (عليه السلام) البيعة لأبي بكر ، وأعلن سخطه علىٰ النظام الحاكم، ليتّضح للعالم أنّ هذه الحكومة التي أعرض عنها الرجل الأوّل في الإسلام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تمثّل الخلافة الواقعية لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكذلك فعلت الزهراء فاطمة (عليها السلام) ليعلم الناس أنّ ابنة نبيّهم ساخطة عليهم وهي تدينها فلا شرعية لهذا الحكم .

وبدأ الإمام عليّ (عليه السلام) من جانب آخر جهاداً سلبياً ضد من سلبه الحقّ الشرعي ، ووقف مع الإمام عليّ (عليه السلام) عدد من أجلّاء الصحابة من المهاجرين والأنصار وخيارهم وممن أشاد النبيّ (صلى الله عليه وآله) بفضلهم مع إدراكهم لحقائق الأُمور مثل : العباس بن عبد المطلب ، وعمار بن ياسر ، وأبي ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، والمقداد بن الأسود ، وخزيمة ذي الشهادتين ، وعبادة بن الصامت ، وحذيفة بن اليمان ، وسهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبي أيوب الأنصاري وغيرهم، من الذين لم تستطع أن تسيطر عليهم الغوغائية، ولم ترهبهم تهديدات الجماعة التي مسكت بزمام الخلافة.

وقد قام عدد من الصحابة المعارضين لبيعة أبي بكر بالاحتجاج عليه، وجرت عدّة محاورات عليه في مسجد النبيّ (صلى الله عليه وآله) وفي أماكن عديدة، ولم يهابوا من إرهاب السلطة مما ألهب مشاعر الكثيرين الذين انجرفوا مع التيار، فعاد إلىٰ بعضهم رشده وندموا علىٰ ما ظهر منهم من تسرّعهم واندفاعهم لعقد البيعة بصورة ارتجالية لأبي بكر ، بالإضافة إلىٰ ما ظهر منهم من العداء السافر تجاه أهل بيت النبوّة .

وكانت هناك بعض العشائر المؤمنة المحيطة بالمدينة مثل: أسد ، وفزارة،

وبني حنيفة وغيرهم، ممن شاهد بيعة يوم الغدير « غدير خم » التي عقدها النبيّ (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) بإمرة المؤمنين من بعده ، ولم يطل بهم المقام حتىٰ سمعوا بالتحاق النبيّ (صلى الله عليه وآله) إلىٰ الرفيق الأعلىٰ والبيعة لأبي بكر وتربّعه علىٰ منصّة الخلافة، فاندهشوا لهذا الحادث ورفضوا البيعة لأبي بكر[1] جملةً وتفصيلاً، وامتنعوا عن أداء الزكاة للحكومة الجديدة باعتبارها غير شرعية ، حتى ينجلي ضباب الموقف ، وكانوا علىٰ إسلامهم يقيمون الصلاة ويؤدّون جميع الشعائر .

ولكنّ السلطة الحاكمة رأت أنّ من مصلحتها أن تجعل حدّاً لمثل هؤلاء الذين يشكّلون خطراً للحكم القائم، ما دامت معارضة الإمام عليّ (عليه السلام) وصحابته تمثّل خطراً داخلياً للدولة الإسلامية، عند ذلك أحسّ أبو بكر وأنصاره بالخطر المحيط بهم وبحكمهم من خلال تصاعد المعارضة إن لم يبادروا فوراً إلىٰ ايقاف هذا التيار المعارض ، وذلك بإجبار رأس المعارضة ـ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ـ علىٰ بيعة أبي بكر .

وذكر بعض المؤرّخين[2]: أنّ عمر بن الخطّاب أتىٰ أبا بكر فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة ؟ يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك عليّ ! فابعث إليه حتىٰ يبايعك ، فبعث أبو بكر قنفذاً ، فقال قنفذ لأمير المؤمنين (عليه السلام) : أجب خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) . قال عليّ (عليه السلام) : «**لَسريع ما كذّبتم علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله)**» فرجع فأبلغ الرسالة فبكىٰ أبو بكر طويلاً ، فقال عمر ثانيةً: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عُد إليه

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٢: ٤٤٥ (حديث السقيفة حوادث سنة ١١)، و٤٨٣ ـ ٥٢٣ (حوادث سنة ١١ حروب الرّدة)، والكامل في التاريخ ٢: ٣٢٥ (حديث السقيفة) و٣٤٢ (أخبار الردّة حوادث سنة ١١).

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٣٠ (كيف كانت بيعة عليّ عليه السلام لأبي بكر).

فقل له : خليفة رسول الله(صلى الله عليه وآله) يدعوك لتبايع، فجاءهُ قنفذ ، فأدّىٰ ما أمر بـه ، فرفع عليّ(عليه السلام) صوته وقال : «**سبحان الله ! لقد ادّعىٰ ما ليس له**» فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة، فبكىٰ أبو بكر طويلاً، فقال عمر: قم إلىٰ الرجل ، فقام أبو بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وأبو عـبيدة بـن الجـراح وسـالم مولىٰ أبي حذيفة .

وظنّت فاطمة (عليها السلام) أنّه لا يدخل بيتها أحـدٌ إلّا بـإذنها، فـلمّا أتـوا بـاب فاطمة (عليها السلام) ودقّوا الباب وسمعت أصواتهم نادت بأعلىٰ صوتها: «**يا أبتِ يـا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تـركتم رسـول الله (صلى الله عليه وآله) جـنازة بأيـدينا وقـطعتم أمـركم بـينكم ، لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقاً** ».

فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تتصدّع وأكبادهم تنفطر وبقي عمر ومعه قوم ، ودعا عمر بالحطب ونـادىٰ بأعـلىٰ صوته : والذي نفس عمر بيده لتخرجنَّ أو لأحرقنّها علىٰ من فيها، فقيل له : يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة ، فقال : وإن[1] .

فوقفت فاطمة (عليها السلام) خلف الباب وخاطبت القوم : «**ويحك يا عمر ما هـذه الجرأة علىٰ الله وعلىٰ رسوله ؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفئ نور الله؟ والله متّم نوره**». فركل عمر الباب برجله فـاختبأت فـاطمة (عليها السلام) بـين البـاب والحـائط رعاية للحجاب، فدخل القوم إلىٰ داخل الدار مما سبّب عـصرها سلام الله عـليها، وكان ذلك سبباً في إسقاط جنينها .

وتواثبوا علىٰ أمير المؤمنين وهو جالس علىٰ فـراشـه، واجـتمعوا عـليه

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ١: ٣٠ (كيف كانت بيعة عليّ عليه السلام لأبي بكر).

حتىٰ أخرجوه ملبّباً بثوبه يجرّونه إلىٰ السقيفة ، فحالت فاطمة (عليها السلام) بينهم وبين بعلها وقالت : «**والله لا أدعكم تجرّون ابن عمّي ظلماً، ويلكم ما أسرع ما خُنتم الله ورسوله فينا أهل البيت، وقد أوصاكم رسول الله(صلى الله عليه وآله) باتّباعنا ومودّتنا والتمسّك بنا**»، فأمر عمر قنفذاً بضربها فضربها قنفذ بالسوط فصار بعضدها مثل الدملج[1].

فأخرجوا الإمام (عليه السلام) يسحبونه إلىٰ السقيفة حيث مجلس أبي بكر ، وهو ينظر يميناً وشمالاً وينادي « **واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم، واجعفراه ولا جعفر لي اليوم**»!! وقد مرّوا به علىٰ قبر أخيه وابن عمّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنادىٰ يا ﴿**ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي**﴾[2]»[3].

وروي عن عدي بن حاتم أنّه قال : والله ما رحمت أحداً قطّ رحمتي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) حين أُتي به ملبّباً بثوبه ، يقودونه إلىٰ أبي بكر وقالوا له : بايع ! قال : «**فإن لم أفعل فَمَه ؟**» قال له عمر : إذن والله أضرب عنقك، قال عليّ : «**إذن والله تقتلون عبدالله وأخا رسوله**» فقال عمر : أمّا عبدالله فنعم، وأمّا أخو رسول الله فلا، فقال : «**أتجحدون أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) آخىٰ بيني وبينه ؟!**» وجرىٰ حوار شديد بين الإمام (عليه السلام) وبين الحزب الحاكم .

وعند ذلك وصلت السيّدة فاطمة (عليها السلام) وقد أخذت بيد ولديها الحسن والحسين (عليهما السلام) وما بقيت هاشمية إلّا وخرجت معها ، يصحن ويوَلوِلن فقالت فاطمة (عليها السلام) : «**خلّوا عن ابن عمّي !! خلّوا عن بعلي !! والله لأكشفن رأسي ولأضعنّ قميص أبي علىٰ رأسي ولأدعوَنَّ عليكم ، فما ناقة صالح بأكرم علىٰ الله منّي ، ولا**

(١) مرآة العقول : ٥ / ٣٢٠ وانظر الهداية الكبرىٰ للخصيبي: ٤٠٦ ـ ٤٠٨ وانظر بحار الأنوار ٥٣: ١٨ ـ ١٩.
(٢) الأعراف (٧): ١٥٠.
(٣) بحار الأنوار ٢٩: ٦٢٤.

فصيلها بأكرم علىٰ الله من ولدي »[١].

وجاء في رواية العياشي أنّها قالت : **يا أبا بكر، أتريد أن ترمّلني عن زوجي وتُيتّم أولادي ؟ والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعري ولأشقّنّ جيبي ولآتينَّ قبر أبي ولأصرخنَّ إلىٰ ربّي »** فأخذت بيد الحسن والحسين تريد قبر أبيها[٢] .

عند ذلك تصايح الناس من هنا وهناك بأبي بكر: ما تريد إلىٰ هذا؟ أتريد أن تنزل العذاب علىٰ هذه الأُمة؟

وراحت الزهراء وهي تستقبل المثوىٰ الطاهر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تستنجد بهذا الغائب الحاضر : «**يا أبتِ يا رسول الله! (صلى الله عليه وآله) ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟** فما تركت كلمتها إلّا قلوباً صدّعها الحزن وعيوناً جرت دمعاً»[٣].

٢٢ ـ المواجهة مع الزهراء (عليها السلام) :

ماكانت السيّدة فاطمة الزهراء تتوقّع أن ترىٰ في حياتها يوماً مثل ذلك اليوم ومأساةً كتلك المأساة وإن كان النبيّ(صلى الله عليه وآله) قد أخبرها بذلك ، ولكن ليس الخبر كالمعاينة. وإنّ كانت (عليها السلام) قد سمعت من أبيها أنّ رموز قريش سوف تنقلب على أهل بيت الرسالة وأنّ أحقاد قريش سوف تظهر بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) فإنّها قد شاهدت تلك الأحداث وعاشتها بكل وجودها، حتّى هجم القوم علىٰ عرينها ليخرجوا زوجها وسيّد حماتها من بيت الوحي ومهبط الملائكة الذي ماكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدخله إلّا بعد الاستئذان من فاطمة (عليها السلام) .

كانت الزهراء تتذكّر موقف الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) حين خرجت زينب

(١) الاحتجاج ١: ١٠٩ ـ ١١٠ (ذكر الذين أنكروا البيعة).

(٢) تفسير العياشي ٢: ٦٧ / ح٧٦.

(٣) الغدير : ٣ / ١٠٤، الإمامة والسياسة : ١ / ٢٠ (كيف كانت بيعة عليّ عليه السلام).

من مكّة وتجهّزت للّحوق برسول الله(صلى الله عليه وآله)، علىٰ بعير لها، فخرج في طلبها هبّار بن الأسود فروّعها بالرمح ـ وهي في الهودج ـ وكانت حاملاً ، فلمّا رجعت طرحت ما في بطنها ، فأباح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكّة دم هبّار بن الأسود لذلك.

ترىٰ ماذا سيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين يرىٰ القوم لا يرعون حرمة ولا كرامة لحبيبته الزهراء ؟ بل ماذا سيقول لو رآهم يضربونها ويروّعونها ترويعاً يُسقِط جنينها ويودي بحياتها؟

وبالرغم من أنّ المواجهة التي حصلت في دار الزهراء (عليها السلام) كانت لفترة قصيرة ووقعت في مكان محدود غير أنّ صداها قد بقي يدوّي للأجيال حتّى يومنا هذا دويّاً يوجع القلوب التي تشعر بمرارة التعدّي والظلم الذي لحق بآل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد رحيله بأيّام قلائل.

من هذه المواجهة نستطيع أن نستنتج ما يلي:

١ ـ أنّ الزهراء (عليها السلام) هبّت للدفاع عن الوصيّ، ووقفت خلف الباب بصلابة متناهية، وخاطبت القوم بالحجّة البالغة عسىٰ أن يرتدع الحاكمون، ولم تلتزم الصمت لأنّها صاحبة حقّ والمهاجمون غاصبون.

٢ ـ حينما أخرجوا عليّاً (عليه السلام) راحت الزهراء (عليها السلام) تدافع في موقع آخر، فلحقت به لعلّها تمنعهم عنه رغم كلّ الآلام التي تعرّضت لها عند هجومهم علىٰ الدار ، لأنّه أصبح لديها حقّان: حقّ الدفاع عن الوصي والمطالبة بالخلافة، وحقّ الظلامة التي جرت عليها من تعدّي القوم علىٰ حرمتها وهي ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1] .

---

(١) فاطمة الزهراء ، ابراهيم الأميني : ١٢٣ .

وحين أعيتها الحِيَل والسبل؛ انصرفت للدعاء عليهم صارخة مستغيثة بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله) علىٰ رؤوس الأشهاد.

إنّ موقف الزهراء (عليها السلام) سجّل اعتراضاً صارخاً وواضحاً لكلّ متتبّع لحقائق التاريخ ممّا يجعله يدرك بأنّ الخلافة قد انحرفت عن مسارها الصحيح وعن أصحابها الشرعيين، وقد أدّت دورها العظيم في محاولة إعادة الحقّ في أمر الخلافة إلىٰ صاحبها الشرعي وهو الإمام عليّ (عليه السلام) .

وعلىٰ أقل تقدير إنّها قد أعادت أُصول التجربة الإسلامية إلىٰ مجراها الحقيقي عبر استنهاض الأُمة وبثّ الوعي فيها وفضح المتقمّصين للخلافة، مع التأكيد علىٰ عدم كفاءتهم لتحمّل أعباء مسؤولية زعامة المسلمين العامّة ولم تزل الرسالة حديثة عهد بهم.

٢٣ ـ كلام الزهراء في حقّ الإمامة وظلامة أهل البيت (عليهم السلام) :

عن محمود بن لبيد قال : لمّا قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت فاطمة (عليها السلام) تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك، فلمّا كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدتها (عليها السلام) تبكي هناك ، فأمهلتها حتى سكنت ، فأتيتها وسلّمت عليها وقلت : يا سيّدة النسوان قد والله قطّعتِ أنياط قلبي من بكائك، فقالت : «**يا أبا عمر! لَحقٌّ لي البكاء، فلقد أُصبت بخير الآباء رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **واشوقاه إلىٰ رسول الله** (صلى الله عليه وآله)»! ثم أنشأت تقول :

«**إذا مات يوماً ميّت قلّ ذكره وذكر أبي مذ مات والله أكثر**»

قلت : يا سيّدتي إنّي سائلك عن مسألةٍ تتلجلج في صدري ، قالت : «**سل**».
قلت: هل نصّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل وفاته علىٰ عليّ (عليه السلام) بالإمامة ؟ قالت : «**واعجباه! أنسيتم يوم غدير خم ؟**» قلت : قد كان ذلك ولكن أخبريني بما أسرّ إليك، قالت : «**أُشهد الله تعالىٰ لقد سمعته يقول : عليٌّ خير من أُخلّفه فيكم ، وهو الإمام**

والخليفة بعدي وسبطاي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار ، لئن اتّبعتموهم وجدتموهم هادين مهديّين، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلىٰ يوم القيامة » .

قلت : يا سيّدتي فما باله قعد عن حقّه ؟ قالت : «يا أبا عمر، لقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : مَثَلُ الإمام مَثَلُ الكعبة إذ تؤتىٰ ولا تأتي ـ أو قالت مَثَلُ عليّ ـ ثم قالت : أما والله لو تركوا الحقّ علىٰ أهله واتّبعوا عترة نبيّه لما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلف عن سلف وخلف عن خلف حتىٰ يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين ، ولكن قدّموا من أخّره الله وأخّروا من قدّمه الله ، حتىٰ إذا ألحدوا المبعوث وأودعوه الجدث المجدوث اختاروا بشهوتهم ، وعملوا بآرائهم ، تبّاً لهم ، أوَ لم يسمعوا الله يقول : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[1] بل سمعوا ولكنهّم كما قال الله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَىٰ ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَي ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُور ﴾[2] هيهات بسطوا في الدنيا آمالهم ، ونسوا آجالهم ، فتعساً لهم وأضلَّ أعمالهم ، أعوذ بك يا ربّ من الحور بعد الكور»[3].

وقالت (عليها السلام) في جواب عائشة بنت طلحة :

«أتسأليني عن هنةٍ حلَّق بها الطائر ، وحفي بها السائر ، رفعت إلىٰ السماء أثراً ، ورزئت في الأرض خبراً؟ إنّ قُحيف تَيم ، وأُحيول عدي جاريا أبا الحسن في السباق، حتىٰ إذا تفرّيا في الخناق فأسرّا له الشنآن ، وطوياه الإعلان، فلمّا خبأ نور الدين وقبض النبيّ الأمين نطقا بفورهما ، نفثا بسورهما ، وأدالا فدكاً ، فيالها كم من ملك ملك، إنّها عطية الربّ الأعلىٰ للنجيّ الأَوفى ، ولقد نَحلينها للصبية السواغب من نجله ونسلي ، وإنّها لَبِعِلْمِ الله وشهادة أمينه ، فإن انتزعا مني البلغة ومنعاني اللمظة فأحتسبها يوم الحشر، وليجدنّ آكلها ساعرة حميم في لظىٰ جحيم»[4].

---

(١) القصص (٢٨): ٦٨ .

(٢) الحجّ (٢٢): ٤٦.

(٣) كفاية الأثر للقمّي: ١٩٨ ـ ٢٠٠ (باب ما جاء عن فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٣٦: ٣٥٢ ـ ٣٥٤ / ح ٢٢٤.

(٤) أمالي الطوسي: ٢٠٤ / ح ٣٥٠، بحار الأنوار ٢٩: ١٨٢ ـ ١٨٣ / ح٣٨.

٢٤ ـ السيّدة فاطمة (عليها السلام) في أيّامها الأخيرة

لم تبق الزهراء (عليها السلام) بعد أبيها سوىٰ شهورٍ معدودةٍ قضتها بالبكاء والنحيب والأنين حتىٰ عُدّت من البكّائين، ولم تر ضاحكةً قطّ[١].

وكان لبكائها أسباب ودوافع كثيرة، أهمّها انحراف المسلمين عن الطريق المستقيم وإنزلاقهم في مهاوٍ تؤدي إلىٰ الاختلاف والفرقة وانهيار الأُمّة الإسلامية بالتدريج.

والزهراء (عليها السلام) التي عاشت بزوغ نور الرسالة وانتشار الدعوة الإسلامية أيّام أبيها (صلى الله عليه وآله) وضحّت من أجلها بكل نفيس كانت تتوقّع انتصار الإسلام وتشييد صرح العدل في ربوع الدنيا كلّها، هي اليوم تعيش مرارة انحراف المسيرة والتجربة متمثلة في تقمّص الخلافة. والأحداث التي تلتها قد ساعدت على هدم صرح آمالها وأدخلت الحزن علىٰ قلبها وروحها الطاهرة، حتّىٰ تحمّلت همّاً ثقيلاً فوق همّها وحزنها علىٰ أبيها النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله).

وذات يومٍ دخلت أُمّ سلمة علىٰ فاطمة (عليها السلام) فقالت لها: كيف أصبحتِ عن ليلتكِ يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قالت (عليها السلام): «**أصبحت بين كَمَدٍ وكَرْب، فَقْدِ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وظُلْمِ الوصيّ (عليه السلام)، هتك والله حجاب من أصبحت إمامته مقبضة علىٰ غير ما شرع الله في التنزيل أو سنّها النبيّ (صلى الله عليه وآله) في التأويل، ولكنّها أحقاد بدرية وترات أُحدية**»[٢].

وعن عليّ (عليه السلام) قال: «**غسلتُ النبيّ (صلى الله عليه وآله) في قميصه، فكانت فاطمة تقول: أرني**

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٣١٢ (ذكر من بكىٰ الرسول صلى الله عليه وآله وندبه)، حلية الأولياء ٢: ٤٣ / ١٣٣.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٤٩ (فصل في ظلامة أهل البيت (عليهم السلام))، بحار الأنوار ٤٣: ١٥٦ / ح٥.

القميص ، فإذا شمّته غشي عليها ، فلمّا رأيت ذلك غيّبته »(١).

وروي أنّه لمّا قبض النبيّ (صلى الله عليه وآله) امتنع بلال من الأذان قال : لا أُؤذّن لأحدٍ بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنّ فاطمة (عليها السلام) قالت ذات يوم : «**إنّي أشتهي أن أسمع صوت مؤذّن أبي** (صلى الله عليه وآله) **بلال** » فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان، فلمّا قال: الله أكبر الله أكبر ، ذكرت أباها وأيامه فلم تتمالك من البكاء، فلمّا بلغ إلىٰ قوله : أشهد أنّ محمّداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهقت فاطمة (عليها السلام) وسقطت لوجهها وغشي عليها، فقال الناس لبلال : امسك يا بلال ، فقد فارقت ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الدنيا، وظنّوا أنّها قد ماتت ، فقطع أذانه ولم يُتمّه، فأفاقت فاطمة (عليها السلام) وسألته أن يتمّ الأذان فلم يفعل، وقال لها : يا سيّدة النسوان ، إنّي أخشىٰ عليكِ ممّا تنزلينه بنفسكِ إذا سمعت صوتي بالأذان ، فأعفته عن ذلك(٢).

وأخذت فاطمة (عليها السلام) بالبكاء والعويل ليلها ونهارها ، ولم ترقأ لها دمعة حتىٰ جزع لذلك جيرانها ، فاجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام) وقالوا : يا أبا الحسن! إنّ فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد منّا يتهنّأ بالنوم في الليل علىٰ فراشنا ولا بالنهار لنا قرار علىٰ أشغالنا وطلب معايشنا ، وإنّانخبرك أن تسألها إمّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً .

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتّىٰ دخل علىٰ فاطمة (عليها السلام) فقال لها : « **يا بنت رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **إنّ شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إمّا أن تبكي أباكِ ليلاً أو نهاراً** »، فقالت : « **يا أبا الحسن ، ما أقلّ مكثي بينهم ، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم** » ، فاضطرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بناء بيت خلف البقيع خارج المدينة وسمّاه

---

(١) مناقب عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) وما نزل من القرآن لابن مردويه الإصفهاني: ١٩٦ / ح ٢٧١، بحار الأنوار ٤٣: ١٥٧ / ح٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٧ ـ ٢٩٨ / ح٩٠٧، بحار الأنوار ٤٣: ١٥٧ / ح٧.

«بيت الأحزان » وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين (عليهما السلام) أمامها وخرجت إليه وهي تمرّ علىٰ البقيع باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها ورافقها إلىٰ منزلها[1].

وعن أنس ، قال : لمّا فرغنا من دفن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أتيت إلىٰ فاطمة (عليها السلام) فقالت : «**كيف طاوعتكم أنفسكم علىٰ أن تهيلوا التراب علىٰ وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟** » ثم بكت[2].

ويرىٰ الإمام الصادق (عليه السلام) : **إنّ فاطمة حزنت حزناً شديداً أثّر علىٰ صحتها ، والمرّة الوحيدة التي ابتسمت فيها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله) كانت عندما نظرت إلىٰ أسماء بنت عميس ـ وهي علىٰ فراش الموت ـ وبعد أن لبست ملابس الموت، فابتسمت ونظرت إلىٰ نعشها الذي عُمل لها قبل وفاتها وقالت : سترتموني ستركم الله»**[3] .

❁ ❁ ❁

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٧٧ ـ ١٧٨ / ح١٥ نقلاً عن بعض الكتب.
(٢) الطبقات الكبرىٰ ٢: ٣١١ (ذكر مَن بكىٰ الرسول صلى الله عليه وآله وندبه).
(٣) أهل البيت لتوفيق أبو علم : ١٦٥ .

الفَصلُ الثّاني

مرض الزهراء (عليها السلام) واستشهادها

١ ـ فاطمة (عليها السلام) علىٰ فراش المرض :

إنتشر خبر مرض السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في المدينة ، وسمع الناس به، ولم تكن تشكو السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من داء عضال غير ماحدث لها بين الحائط والباب من عصرها وكسر ضلعها وسقوط جنينها.

كلّ هذه الاُمور ساهمت في انحراف صحتها وقعودها عن ممارسة أعمالها اليوميّة، وكان زوجها العطوف عليها وعلى أبنائها هو الذي يتولّىٰ تمريضها ، وتعينه علىٰ ذلك أسماء بنت عميس[١] .

جاءت نسوة من أهل المدينة لعيادتها ، فخطبت فيهنّ تلك الخطبة ـ التي ستمرّ عليك ـ وأعادت النسوة كلامها علىٰ رجالهنّ، فجاء الرجال يعتذرون ، فما قبلت اعتذارهم حتّى قالت (عليها السلام) : « **إليكم عنّي لا عذر بعد تعذير ولا أمر بعد تقصير** ».

لقد انتشر خبر استياء السيّدة فاطمة (عليها السلام) من السلطة ونقمتها علىٰ الذين آزروا الحزب الحاكم بسكوتهم وصمتهم، وتناسوا كلّ النصوص التي نزلت في آل الرسول، وأعرضوا عن كلّ حديث سمعوه من شفتي الرسول (صلى الله عليه وآله) في

---

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٨٥ .

حقّ الزهراء (عليها السلام) وزوجها وولديها، وأخيراً تولّد شيء من الوعي عند الناس، وعرفوا أنّهم مخطئون في دعم السلطة الحاكمة التي تنكّرت لِشرعية الزعامة لآل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لم تُعِر للحقّ اهتماماً ولم تعرف منطقاً سوىٰ القوّة وحدّ السيف.

٢ ـ عيادة النساء للسيّدة فاطمة (عليها السلام):

لا نعلم بالضبط السبب الحقيقي والدافع الأصلي الذي دعا نساء المهاجرين والأنصار لعيادة السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فهل كان ذلك بإيعاز من رجالهن ؟ وما الذي دعا أُولئك الرجال لإرسال نسائهم إلىٰ دار السيّدة فاطمة (عليها السلام) ؟ وهل حصل الوعي عند النساء وشعرن بالتقصير بل الخذلان لبنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فانتشر هذا الشعور بين النساء فحضرنَ للعيادة والمجاملة أو إرضاء لضمائرهن المتألّمة ممّا حدث من خذلان لآل البيت النبوي؟ أوكانت هناك أسباب سياسية فرضت عليهنّ ذلك، فحضرن لتلطيف الجوّ وتخفيف التوتّر للعلاقات بين بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين السلطة الحاكمة في ذلك اليوم؟ خاصة وإنّ الموقف الاعتزالي الذي اختارته السيّدة فاطمة (عليها السلام) لنفسها وانسحابها عن ذلك المجتمع لم يكن خالياً عن التأثير السلبي على السلطة، بل كان عاملاً مساعداً لتأجيج ضمائر الناس، وبالأخص حين حمل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) السيّدة فاطمة (عليها السلام) وأخذ يطوف بها علىٰ بيوت الأنصار تستنجد بهم وتستنهضهم فلم تجد منهم الهمّة والحميّة للحقّ المغتَصب[1].

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٩ (كيف كانت بيعة أبي بكر).

وعلىٰ كلّ تقدير فلا يعلم أيضاً عدد النساء اللّاتي حضرن عند الزهراء(عليها السلام) وهي طريحة الفراش، ولكن يبدو أنّ العدد لم يكن قليلاً بل كان مما يُعبأ به.

٣ ـ خطبة الزهراء في نساء المهاجرين والأنصار

قال سُوَيْدُ بن غفلة: لمّا مرضت سيّدتنا فاطمة (عليها السلام) المَرْضة التي توفّيت فيها؛ اجتمعت إليها نساء المهاجرين والأنصار ليَعِدْنَها، فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علّتك؟ فحمدت الله وصلّت على أبيها (صلى الله عليه وآله) ثم قالت:

«أصبَحتُ واللهِ عائِفَةً[١] لدنياكم، قالية[٢] لرجالكم، لَفَظْتُهُم[٣] بَعدَ أنْ عَجَمْتهُمْ[٤] وَشَنَأْتُهُمْ[٥] بَعْدَ أن سَبَرْتُهُمْ[٦]، فَقُبحاً[٧] لفُلولِ الحدِّ[٨] [واللَّعبِ بَعدَ الجِدِّ[٩]، وقَرْعِ الصَّفاةِ[١٠]][١١]، وخَوْرِ

---

(١) عائفة: أي كارهة.
(٢) القالية: المبغضة.
(٣) لفظت الشيء من فمي: أي رميته وطرحته.
(٤) عجمتهم: جرّبتم.
(٥) شنأتهم: أبغضتهم.
(٦) سبرتُهُم: اختبرتُهُم، المعنى: طرحتهم وأبغضتهم بعد امتحانهم ومشاهدة سيرتهم وأطوارهم.
(٧) قبحاً ـ بالضمّ ـ: مصدر حذف فعله، إمّا من قولهم: قبّحه الله قبحاً، أو من قبح بالضمّ قباحة، فحرف الجرّ على الأوّل داخل على المفعول، وعلى الثّاني على الفاعل، والفلول بالضمّ: جمع فلّ بالفتح، وهو الثّلمة والكسر في حدّ السيف، وحكى الخليل في العين أنّه يكون مصدراً، ولعلّه أنسب بالمقام.
(٨) وفي الأمالي: «فقبحاً لأفون الرأي». قال الجزريّ: في حديث عليّ (عليه السلام): إيّاك ومشاورة النساء فإنّ رأيهنّ إلى أفن، الأفن: النقص، ورجل أفن ومأفون أي ناقص العقل [النهاية: ٥١ / ٥٧].
(٩) اللّعب بعد الجدّ: أي أخذتم دينكم باللّعب والباطل بعد أن كنتم مجدّين فيه آخذين بالحجّة.
(١٠) وقرع الصّفاة، الصّفاة: الحجر الأملس أي جعلتم أنفسكم مقرعاً لخصامكم حتّى قرعوا صفاتكم أيضاً.
(١١) من الاحتجاج.

القَناةِ[(١)] ، وخَطَلِ الرّأيِ[(٢)] [وزَلَلِ الأهواءِ][(٣)] .

وَبِئسَ ما قَدَّمَتْ لهم أنفُسُهم أنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيهِمْ وفي العذابِ هُم خالدون .

لا جَرَمَ[(٤)] [واللهِ][(٥)] لَقَدْ قَلَّدَتْهُم رِبقَتها[(٦)] [وَحَمَّلَتْهُم أَوْقَتَها][(٧)] وَشَنَنَتْ عَلَيْهِم غارتها[(٨)] ، فجَدعاً[(٩)] وعَقراً[(١٠)] وسُحْقاً[(١١)] للقوم الظالمين .

وَيْحَهُم[(١٢)] أنّىٰ زَحْزَحوها[(١٣)] عن رَواسي[(١٤)] الرِّسالةِ ، وقواعِدِ[(١٥)] النبوّةِ والدّلالَةِ ومَهبِطِ الوحيِ الأمين، والطّبين[(١٦)] بأمرِ الدُّنيا والدّين،ألا ذلك

---

(١) الخور ـ بالفتح وبالتحريك ـ: الضعف « وفي الاحتجاج : صدع : أي شقّ » والقناة : الرّمح .

(٢) والخطل ـ بالتحريك ـ: المنطق الفاسد المضطرب ، وخطل الرأي : فساده واضطرابه . وفي الأمالي : « القول » وفي الاحتجاج : «الآراء» .

(٣) من الاحتجاج .

(٤) لا جرم :كلمة تورد لتحقيق الشيء . يعني: حقّاً .

(٥) من الأمالي .

(٦) ربقتها : الرّبقة في الأصل : عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها ، ويقال للحبل الذي تكون فيه الربَقة ، ربق ، وتجمع على ربق ورباق وأرباق، والضمير في ربقتها راجع إلى الخلافة المدلول عليها بالمقام ، أو إلى فدك ، أو حقوق أهل البيت (عليهم السلام) أي جعلت إثمها لازمة لرقابهم كالقلائد .

(٧) من الاحتجاج، حمّلتهم أوقتها : قال الجوهري : الأوق : الثّقل ، يقال : ألقى عليه أوقه ، وقد أوّقته تأويقاً أي حمّلته المشقّة والمكروه .

(٨) الشنّ : رشّ الماء رشّاً متفرّقاً ، والسنّ ـ بالمهملة ـ: الصبّ المتّصل ، ومنه قولهم : شنّت عليهم الغارة إذا فرّقت عليهم من كلّ وجه .

(٩) الجدع : قطع الأنف أو الأذُن أو الشّفة ، وهو بالأنف أخصّ ، ويكون بمعنى الحبس .

(١٠) والعقر بالفتح : الجرح ، ويقال في الدّعاء على الإنسان : عقراً له وحلقاً . أي عقر الله جسده وأصابه بوجع في حلقه ، وأصل العقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسّيف ، ثمّ اتّسع فيه فاستعمل في القتل والهلاك .

(١١) وفي الاحتجاج : بُعداً .

(١٢) ويح :كلمة تستعمل في الترحّم والتوجّع والتعجّب .

(١٣) الزّحزحة : التّنحية والتّبعيد . وفي الاحتجاج : زعزعوها . والزّعزعة : التحريك .

(١٤) الرواسي من الجبال : الثّوابت الرّواسخ .

(١٥) قواعد البيت : أساسه .

(١٦) الطّبين: الفطن الحاذق .

هو الخسران المبين ، وما نَقَموا[١] مـن أبـي الحسـن ؟ ! نَقَموا واللهِ مِـن نَكيرِ[٢] سيفِهِ، [وَقِلَّةِ مُبالاتِه بِحَتْفِهِ] وشِدَّةِ وَطأتِهِ[٣] ونَكالِ[٤] وَقْعته[٥] وتَنَمُّرِهِ[٦] في ذاتِ اللهِ عـزّوَجَلَّ . واللهِ لـو تَـكـافُّـوا[٧] عَـن زَمـانٍ[٨] نَـبَـذَهُ[٩] رسـولُ الله (صلى الله عليه وآله) لأعْتَلَقَهُ[١٠] ولَسار بِهِم سَيْراً سُجُحاً[١١][١٢]، لا يُكْلَمُ[١٣] خِشاشُه[١٤] [ولا يكلّ سائره] ولا يُتَعْتَعُ[١٥] راكبُهُ ، ولأوردهم مَنْهَلاً نَميراً[١٦] فَضْفاضاً[١٧] تَطْفَحُ ضِفّتاه[١٨] [ولا يَتَرَنَّقُ

---

(١) يقال : نَقَمْتُ على الرّجل : أي عتبت عليه وكرهت شيئاً منه .

(٢) والنكير : إنكار سيفه فإنّه (عليه السلام) كان لا يسلّ سيفه إلّا لتغيير المنكرات .

(٣) الوطأة : الأخذة الشديدة والضغطة .

(٤) النكال : العقوبة التي تنكل الناس .

(٥) الوقعة : صدمة الحرب .

(٦) تنمّر فلان : أي تغيّر وتنكّر وأوعد ، لأنّ النمر لا تلقاه أبداً إلّا متنكّراً غضبان .

(٧) التكافّ : تفاعل من الكفّ : وهو الدّفع والصرف .

(٨) في الأمالي : زمام . والزّمام ككتاب الخيط الّذي يشدّ في البُرة والخشاش ثمّ يشدّ في طرفه المقوَد ، وقد يسمّى المقود زماماً .

(٩) نبذه : أي طرحه .

(١٠) اعتلقه : أحبّه .

(١١) السّجح ـ بضمّتين ـ : اللّين السّهل .

(١٢) وفي الاحتجاج بدل « **والله لو تكافّوا ـ** إلى قولها **ـ لاعتلقه** » : وتالله لو مالوا عن المحجّة اللائحة ، وزالوا عن قبول الحجّة الواضحة لردّهم ، وحملهم عليها .

(١٣) الكلم : الجرح .

(١٤) الخِشاش: ما يجعل في أنف البعير من خشب ويشدّ به الزّمام ليكون أسرع لانقياده.

(١٥) وتعتعت الرّجل : أي أقلقته وأزعجته .

(١٦) المنهل : المورد ، وهو عين ماء ترده الإبل في المراعي، قاله الجوهريّ ، وقال : ماء نمير : أي ناجع ، عذباً كان أو غيره، وقال الصّدوق نقلاً عن الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري : النمير: الماء النامي في الجسد، وذكر في الأمالي بدل كلمة نميراً: رويّاً، والرويّ: سحابة عظيمة القطر، شديدة الوقع .

(١٧) الفضفاض : الواسع ، يقال : ثوب فضفاض ، وعيش فضفاض، ودرع فضفاضة .

(١٨) ضفّتا النهر ـ بالكسر وقيل وبالفتح أيضاً ـ: جانباه، وتطفح : أي تمتلئ حتّى تفيض .

جانِباهُ][١] ولاصَدَرَهُم بِطاناً[٢] [ونصح لهم سرّاً وإعلاناً]قد تحيّر بهم الرّيّ[٣] غير متحلٍّ منه بطائل[٤] . [ولا يحظى من الدنيا بنائل][٥] إلاّ بِغَمْرِ[٦] الماءِ وَرَدْعِهِ[٧] شَرَرَ الساغِب[٨] [وَلَبانَ لَهُمُ الزّاهِدُ من الرّاغِب والصّادقُ مِنَ الكاذِبِ][٩] ولَفُتِحَتْ عليهِم بَرَكاتٌ مِنَ السماءِ والأرضِ، وسَيَأْخُذُهُمُ اللهُ بماكانوا يكْسِبونَ[١٠].

---

(١) ترنّق :كدر ، وصار الماء رونقة : غلب الطين على الماء والترنوق : الطين الّذي فـي الأنـهار والمسـيل ، والمراد أنّه لا ينقص الماء حتّى يظهر الطين والحمأ من جانبي النهر ويتكدّر الماء بذلك .

(٢) بطن كعلم : عظم بطنه من الشّبع ، ومنه الحديث : «تغدو خماصاً وتروح بطاناً» ، والمراد عظم بطنهم من الشّرب .

(٣) تحيّر الماء : أي اجتمع ودار كـالمتحيّر، يـرجـع أقـصاه إلى أدنـاه ، ويـقال : تـحيّرت الأرض بـالماء إذا امتلأت ، ولعلّ الباء بمعنى «في» أي تحيّر فيهم الريّ ، أو للتعدية : أي صاروا حيارى لكثرة الريّ ، والريّ ـ بالكسر والفتح ـ ضدّ العطش . وفي رواية الشيخ بدل قولها «قد تحيّر» قد خثر بالخاء المـعجمة والثّـاء المثلّثة ، أي أثقلهم من قولك : أصبح فلان خاثر النفس ، أي ثقيل النّفس غير طيّب ولا نشيط ، وحلي منه بخير كرضي : أي أصاب خيراً .

(٤) غير متحلّ منه بطائل : قال الجوهريّ : قولهم : لم يحلّ منها بطائل أي لم يستفد منها كثير فائدة .

والتحلّي : التزيّن ، والطائل : الغنىٰ والمزيّة والسّعة والفضل .

(٥) النائل : العطية .

(٦) التغمّر : هو الشّرب دون الرّيّ ، مأخوذ من الغمر ـ بضمّ الغين المعجمة وفتح الميم ـ : وهو القدح الصغير ، وفي الاحتجاج : غير ريّ الناهل . والنّاهل : العطشان .

(٧) الرّدع : الكفّ والدّفع ، والرّدعة : الدّفعة.

(٨) وفي الأمالي : سورة سغب وسورة الشيء ـ بالفتح ـ: حدّته وشدّته ، والسّغب : الجوع . وفي الاحتجاج بدل قولها «**وردعه شرر الساغب**» «**وشعبة الكافل**» قال الفيروز آباديّ : الكافل : العائل ، والذي لا يأكل أو يصل الصّيام ، والضامن ، انتهى . أقول : يمكن أن يكون هنا بكلّ من المعنيين الأوّلين ، ويـحتمل أن يكـون بمعنى كافل اليتيم، فإنّه لا يحلّ له الأكل إلاّ بقدر البلغة ، وحاصل المعنى : أنّه لو منع كلّ منهم الآخرين عن الزّمام الّذي نبذه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو تولّي أمر الأمة ، لتعلّق به أمير المؤمنين(عليه السلام) أو أخذ محبّاً له ويسلك بهم طريق الحقّ من غير أن يترك شيئاً من أوامر الله أو يتعدّى حدّاً من حدوده ، ومن غير أن يشقّ على الأُمّة، ويكلّفهم فوق طاقتهم ووسعهم، ولفازوا بالعيش الرّغيد في الدنيا والآخرة ، ولم يكن ينتفع من دنياهم وما يتولى من أمرهم إلّا بقدر البلغة وسدّ الخلّة .

(٩) من الاحتجاج .

(١٠) وفي الاحتجاج أضاف قوله تـعالى : ﴿**وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلاءِ سَيُصيبُهُمْ سَيِّئاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُـم بِمُعْجِزِينَ**﴾ الزمر (٣٩) : ٥١ .

أَلاٰ هَلُمَّ فَاسْمَعْ(١)، وَما عِشْتَ أراكَ الدَّهْرُ العَجَبَ، وإنْ تَعْجَبْ فَقَد أعْجَبَك الحادِثُ [لَيْتَ شِعري](٢) إلىٰ أيِّ سِنادٍ(٣) استَنَدوا [وعلى أيّ عِمادٍ اعتَمَدوا] وبِأيَّةِ عُرْوةٍ تَمَسّكوا، [وعلى أيّةِ ذُرِّيَّةٍ اَقْدَموا واحتنكوا]؟(٤)[لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً](٥).

استبدلوا الذُنابى(٦) والله بالقوادِمِ والعَجزَ بالكاهِلِ، فَرَغْماً لمَعاطِسِ قومٍ ﴿يحسبون أنّهُم يُحسِنون صُنْعاً﴾(٧)، ﴿ألا إنّهم هُمُ المُفْسِدون وَلٰكن لا يَشْعُرونَ﴾(٨).

[وَيْحَهُم] ﴿أَفَمَنْ يهَدي إلى الحقِّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدّي(٩) إلّا أَنْ يُهدىٰ فما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمونَ﴾(١٠).

---

(١) وفي رواية ابن أبي الحديد : ألا هلمّنّ فاسمعن ، وما عشتنّ أراكنّ الدهر عجباً .
قولها : وما عشتنّ : أي أراكنّ الدهر شيئاً عجيباً لا يذهب عجبه وغرابته مدة حياتكنّ، أو يتجدّد لكنّ كلّ يوم أمر عجيب متفرّع على هذا الحادث الغريب .
(٢) ليت شعري : أي ليتني علمت .
(٣) السناد : ما يستند إليه .
(٤) قال الجوهريّ : احتنك الجراد الأرض : أي أكل ما عليها وأتى على نبتها وقوله تعالى حاكياً عن إبليس: ﴿ولأ حتنكنّ ذرّيّته﴾ [الاسراء (١٧) : ٦٢] قال الفرّاء : يريد : لأستولينّ عليهم ، والمراد بالذّريّة ذريّة الرّسول (صلى الله عليه وآله) .
(٥) المولى : الناصر والمحبّ ، والعشير : الصاحب المخالط المعاشر ، وبئس للظالمين بدلاً : أي بئس البدل من اختاروه على إمام العدل وهو أمير المؤمنين (عليه السلام) .
(٦) الذُّنابى بالضمّ : ذنب الطائر ومنبت الذّنب، والذّنابى في الطائر أربع ذنابى بعد الخوافي وهي مادون الرّيشات العشر من مقدّم الجناح التي تسمّى قوادم ، الذّنابى من الناس : السفلة والأتباع . والعجز كالعضد : مؤخّر الشيء ، يؤنث ويذكر ، وهو للرّجل والمرأة جميعاً ، والكاهل : الحارك ، وهو ما بين الكتفين، وكاهل القوم : عمدتهم في المهمّات، وعدتهم للشدائد والملمّات ، ورغماً ، مصدر رغم أنفه أي لصق بالرّغام بالفتح، وهو التّراب ، ورغم الأنف يستعمل في الذّل ، والعجز عن الانتصار ، والانقياد على كره ، والمعاطس جمع معطس ـ بالكسر والفتح ـ وهو الأنف .
(٧) الكهف (١٨): ١٠٤.
(٨) البقرة (٢): ١٢.
(٩) قرئ في الآية «يهدّي» بفتح الهاء وكسرها وتسديد الدّال فأصله يهتدي، وبتخفيف الدال وسكون الهاء .
(١٠) يونس (١٠) : ٣٥.

أما لَعَمْري لقد لَقِحَتْ فَنَظِرَةٌ رَيْثَما تُنْتِج[١] ثمّ احْتَلِبوا طِلاعَ القَعْبِ[٢] دَماً عَبيطاً[٣]، وذُعافاً مُمْقِراً[٤]، هُنالِكَ يَخْسَرُ المُبْطِلونَ، ويَعْرِفُ التالون غِبَّ[٥] ماسَنَّ[٦] الأوَّلونَ.

ثمّ طيبوا [بعد ذلك] عن أنفسكم[٧] أنفساً[٨]، وَطَأْمنوا لِلْفِتْنَةِ جَأْشاً[٩] ، وابْشروا بِسَيْفٍ صارِمٍ[١٠] [وَسَطْوَةِ مُعْتَدٍغاشِمٍ][١١] وهَرَجٍ شامِلٍ[١٢] ، وَاستِبدادٍ[١٣] مِنَ الظالمينَ ، يَدَعُ فَيْئَكُم زَهيداً[١٤] ، وَزَرْعَكُمْ حَصيداً[١٥] ، فَيا حسرتي لكم ،

---

(١) وفي بعض نسخ ابن أبي الحديد : أما لعمر الله ، وفي بعضها : أما لعمر إلهكنّ ، والعمر ـ بالفتح والضمّ ـ بمعنى العيش الطويل ، ولا يستعمل في القسم إلاّ العَمَر ـ بالفتح ـ، ومعنى عمر الله بقاؤه ودوامه ، ولقحت كعلمت أي حملت ، والفاعل فعالتهم ، أو فعالهم ، أو الفتنة ،أو الأزمنة ، والنظرة ـ بفتح النّون وكسر الظاء ـ: التأخير ، واسم يقوم مقام الانظار ، أي انتظروا [أو انظروا] نظرة قليلة ، وريثما تنتج : أي قدر ما تنتج ، يقال : نتجت الناقة على ما لم يسمّ فاعله : تنتج نتاجاً وقد نتجها أهلها نتجاً وأنتجت الفرس إذا حان نتاجها .

(٢) القعب : قدح من خشب يروي الرجل ، أو قدح ضخم ، واحتلاب طلاع القعب : هو أن يمتلئ من اللّبن حتى يطلع عنه ويسيل . في الاحتجاج : ملء العقب .

(٣) العبيط : الطريّ .

(٤) الذُعاف ، كغُراب : السّم ، والمَقِر ـ بكسر القاف ـ: الصبر ـ وربّما يسكّن ـ، وأمقر أي صار مرّاً . في الأمالي : ذعافاً ممضّاً . وفي الاحتجاج : ذعافاً مبيداً . والمبيد : المهلك، وأمضّه الجرح : أوجعه .

(٥) غبّ كلّ شيء : عاقبته .

(٦) في الأمالي : ما أسكن ، وفي الاحتجاج : ما أسس.

(٧) في الاحتجاج : عن دنياكم .

(٨) في الأمالي : لنتنها . وطاب نفس فلان بكذا : أي رضي به من دون أن يكرهه عليه أحد، وطابت نفسه عن كذا أي رضي ببذله .

(٩) في الأمالي : ثم اطمئنّوا وفي الاحتجاج : واطمئنّوا . وفي كتاب ناظر عين الغريبين : طأمنته : سكنته فاطمأنّ، والجأش ـ مهموزاً ـ: النفس والقلب أي اجعلوا قلوبكم مطمئنّة لنزول الفتنة .

(١٠) السيف الصارم : القاطع.

(١١) الغشم : الظلم .

(١٢) الهرج : الفتنة والاختلاط . وفي الأمالي : هرج دائم شامل . وفي رواية ابن أبي الحديد : وقرح شامل ، فالمراد بشمول القرح ، إمّا للأفراد أو للأعضاء .

(١٣) الاستبداد بالشيء : التفرّد به .

(١٤) والفيء : الغنيمة والخراج وما حصل للمسلمين من أموال الكفّار من غير حرب ، والزهيد : القليل .

(١٥) والحصيد : المحصود ، وعلى رواية : زرعكم ،كناية عن أخذ أموالهم بغير حقّ ، وعلى رواية ، جمعكم يحتمل ذلك ، وأن يكون كناية عن قتلهم واستئصالهم . وفي الأمالي والاحتجاج : جمعكم حصيداً .

وَأَنّى[1] **بِكُمْ وَقَدْ عُمِّيَتْ**[2] **عليكم أَنُلزِمُكموها وَأَنْتُم لها كارِهون»**[3].

قال سويد بن غفلة : فأعادت النساء قولها (عليها السلام) علىٰ رجالهن فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين ، وقالوا : يا سيّدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد؛ لما عَدَلنا إلىٰ غيره، فقالت : « **إلَيْكُمْ عَنيّ ! فَلا عُذْرَ بَعْدَ تَعذيرِكُم وَلا أمْرَ بَعْدَ تَقصيرِكُم»**[4].

٤ ـ عيادة أبي بكر وعمر بن الخطاب للزهراء (عليها السلام) :

كان الصحابة رجالاً ونساءً يعودون فاطمة (عليها السلام) بين الحين والحين إلّا عمر وأبا بكر لم يعوداها لأنّها قاطعتهُما ورفضتهُما ولم تأذن لهُما بعيادتها ، ولمّا ثقل عليها المرض وقاربتها الوفاة لم يجدا بُدّاً من عيادتها لئلّا تموت بضعة المصطفىٰ (صلى الله عليه وآله) وهي ساخطة عليهما سخطاً ذاع صيته علىٰ رؤوس الأشهاد، فتبقىٰ وصمة عار تلاحق الخليفة وجهازه الحاكم إلىٰ يوم الدين ، وأرادوا حلّ الأزمة باسترضاء الزهراء (عليها السلام) لينتهي كلّ شيء.

وروي أنّ عمر قال لأبي بكر : إنطلق بنا إلىٰ فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا فاستأذنا علىٰ فاطمة فلم تأذن لهما ، فأتيا عليّاً فكلّماه فأدخلهما عليها، فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلىٰ الحائط فسلّما عليها ، فلم تردّ عليهما

(١ و ٢) وأنّى بكم : أي وأنّى تلحق الهداية بكم ، وعميت عليكم ـ بالتخفيف ـ : أي خفيت والتبست ، وبالتشديد على صيغة المجهول أي لبّست .

(٣) هود (١١): ٢٨ .

(٤) معاني الأخبار: ٣٥٤ ـ ٣٥٥ / ح ١، أمالي الطوسي: ٣٧٤ ـ ٣٧٦ / ح ٨٠٤، الاحتجاج للطبرسي: ١٤٦ ـ ١٤٩ (احتجاج الزهراء عليها السلام على أبي بكر ـ دخول نساء المهاجرين والأنصار عليها عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٥٨ ـ ١٥٩ / ح ٨، مناقب أمير المؤمنين(عليه السلام) لابن عقدة: ٦١ ـ ٦٣ (فصل ٨، ٦)، بلاغات النساء لابن طيفور: ١٩ ـ ٢٠ (كلام فاطمة عليها السلام وخطبها) وفيها اختلاف يسير باللفظ.

السَّلامَ ، فتكلّم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي وإنك لأحبّ إليَّ من عائشة إبنتي ، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقىٰ بعده ، أفتراني أعرفكِ وأعرف فضلكِ وشرفكِ، وأمنعك حقّكِ وميراثك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ إلّا أنّي سمعت أباكِ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : « لا نورّث ، ما تركناه صدقه ».

فقالت (عليها السلام) : « **أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعرفانه وتفعلان به؟ فقالا : نعم، فقالت : نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبّ فاطمة إبنتي فقد أحبّني ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟** ».

قالا : نعم ، وسمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

قالت : «**فإنّي أُشهدُ الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأشكونّكما إليه** »، فقال أبو بكر : أنا عائذ بالله تعالىٰ من سخطه ومن سخطكِ يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي ، حتىٰ كادت نفسه أن تزهق وفاطمة تقول : « **والله لأدعونَّ عليكما في كلّ صلاة أُصلّيها ، ثم خرج باكياً**» فاجتمع الناس إليه فقال لهم : يبيت كلّ رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي[1].

٥ ـ الساعات الأخيرة قبل الرحيل :

كانت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في ذلك اليوم الذي توفيت فيه طريحة الفراش، وقد أخذ منها المرض مأخذه، ولم يسمع لها سوى الأنين والحنين

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٠ (كيف كانت بيعة أبي بكر).

لأبيها، لقد رأت أَباها في المنام وهو يقول لهـا : «**هـلمّي إليّ يـا بُـنَيَّة فـإنّي إليك مشُتاقٌ** ثمّ قال لها : **أنتِ الليلةَ عندي**»[1].

انتبهت من غفوتها واستعدّت للرحيل إلىٰ الآخرة ، فقد سمعت من أبيها الصادق المصدَّق الذي قال : «**من رآني فقد رآني**»[2]. سمعت منه نـبأ ارتـحالها فلا مجال للشكّ والتردّد في صدق الخبر .

فتحت عينها واستعادت نشاطها ولعلّها كانت في صحوة الموت وقامت لاتّخاذ التدابير اللازمة ، واغتنمت تلك السويعات الأخيرة من حياتها، أقبلت الزهراء تزحف أو تمشي متّكئة علىٰ الجدار نحو الموضع الذي فيه الماء من بيتها، وشرعت تغسل ثياب أطفالها بيديها المـرتعشتين، ثـم دعت أطـفالها وطفقت تغسل رؤوسهم، ودخل الإمام عليّ (عليه السلام) البيت وإذا به يرىٰ عزيزته قد غادرت فراش العلّة وهي تمارس أعمالها المنزلية .

رقّ لها قلب الإمام حين نظر إليها وقد عادت إلىٰ أعمالها التي كانت قـد اعتادت على بذل الجُهد فيها أيّام صحّتها، فـلا عـجب إذا سألهـا عـن سـبب قيامها بتلك الأعمال المجهِدة بالرغم من انحراف صحّتها، وإذا بها تجيبه بكلّ صراحة بأنّ: هذا اليوم هو آخر يوم من أيام حياتي، قـمت لأغسـل أطـفالي وثـيابهم لأنّـهم سـيصبحون يـتامىٰ بـلا أُمّ، سألهـا الإمـام عـن مـصدر هـذا النبأ فأخبرته بالرؤيا ، فهي بذلك قـد نـعت نـفسها إلىٰ زوجـها بـما لا يـقبل الشك .

---

(1) بحار الأنوار ٤٣: ١٧٩ / ح١٥.

(2) مسند أحمد ٣: ٥٥ (ما أُسند عن أبي سعيد الخدري)، المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ١١١ (ذكر الهـيثم بـن حبيب عن أبي جحيفة).

٦ ـ وصيّة الزهراء (عليها السلام) للإمام عليّ (عليه السلام) :

وفي الساعات الأخيرة من حياتها حان لها أن تكاشف زوجها بما أضمرته في صدرها طيلة هذه المدّة من الوصايا التي يجب تنفيذها.

فقالت لعليّ(عليه السلام): « **يابن عمّ إنّه قد نُعيت إليَّ نفسي وإنّني لا أرىٰ ما بي إلّا أنـنّي لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة ، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي**» .

قال لها عليّ (عليه السلام) : «**أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله)**» . فجلس عند رأسها ، وأخرج مَن كان في البيت .

ثم قالت : « **يابن عمّ ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني** » .

فقال عليّ (عليه السلام) : « **معاذ الله أنتِ أعلم بالله ، وأبرّ وأتقىٰ وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أُوبّخكِ بمخالفتي وقد عزّ عليَّ مفارقتكِ وفقدكِ إلّا أنّه أمر لا بدّ منه، والله لقد جدّدتِ عليَّ مصيبة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقد عَظُمَتْ وفاتُكِ وفَقَدُكِ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضّها وأحزنها!! هذه مصيبة لا عزاء عنها، ورزية لا خلف لها** ».

ثم بكيا جميعاً ساعة ، وأخذ الإمام رأسها وضمّها إلىٰ صدره ثم قال : « **أوصيني بما شئت فإنّكِ تجديني وفياً أمضي كلّما أمرتني به ، وأختار أمركِ علىٰ أمري**».

فقالت (عليها السلام) : «**جزاكَ الله عنّي خير الجزاء ، يابن عمّ أُوصيك أوّلاً أن تتزوّج بعدي . . . . فإنّ الرجال لا بدّ لهم من النساء**»، ثم قالت (عليها السلام) : «**أُوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني فإنّهم عدوّي وعدوّ رسول الله ، ولا تترك أن يصلّي عليَّ أحد منهم ولا من أتباعهم ، وادفنّي في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار**»(١) .

ثم قالت (عليها السلام) : «**يابن العمّ إذا قضيتُ نحبي فاغسلني ولا تكشف عنّي، فإنّي طاهرة**

(١) روضة الواعظين : ١ / ١٥١ (مجلس في ذكر فاطمة عليها السلام)، وفي رواية: إذا هدأت الأصوات ونامت العيون.

مطهّرة، وحنّطني بفاضل حنوط أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وصَلِّ عليّ، وليصلِّ معك الأَدنىٰ فالأَدنىٰ من أهل بيتي، وادفنّي ليلاً لا نهاراً، وسرّاً لا جهاراً ، وعفِّ موضع قبري، ولا تُشهِد جنازتي أحداً ممّن ظلمني ، يابن العمّ أنا أعلم أنّك لا تقدر علىٰ عدم التزويج من بعدي فإن أنت تزوّجت امرأة اجعل لها يوماً وليلةً ، واجعل لأولادي يوماً وليلةً ، يا أبا الحسن ! ولا تَصِح في وجوههما فيصبحا يتيمين غريبين منكسرين ، فإنّهما بالأمس فقدا جدّهما واليوم يفقدان أُمّهما»(١).

وروىٰ ابن عباس وصيّة مكتوبة لها جاء فيها :

«هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصت وهي تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأَنّ الجنّة حقّ ، والنار حقّ ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها ، وأَنّ الله يبعث من في القبور. يا عليّ أنا فاطمة بنت محمّد ، زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة ، أنت أولىٰ بي من غيري ، حنّطني وغسّلني وكفّني بالليل، وصلِّ عليّ وادفنّي بالليل، ولا تُعلم أحداً ، وأستودعك الله، وأقرأ علىٰ ولديّ السلام إلىٰ يوم القيامة»(٢) .

٧ ـ أوّل نعش أُحدث في الإسلام :

روي عن أسماء بنت عميس أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت لأسماء : إنّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء ، إنّه يطرح علىٰ المرأة الثوب فيصفها لمن رأىٰ، فقالت أسماء : يا بنت رسول الله أنا أُريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجريدة رطبة فحسنتها ، ثم طرحت عليها ثوباً ، فقالت فاطمة (عليها السلام) : **«ما أحسن هذا وأجمله ، لا تعرف به المرأة من الرجل»**(٣).

(١) بحار الأنوار : ٤٣ / ١٧٨ و ١٩٢ / ح١٥ و ٢٠.

(٢) بحار الأنوار : ٤٣ / ٢١٤ .

(٣) كشف الغمّة ٢: ١٢٦ (فصل في وفاة فاطمة عليها السلام)، ذخائر العقبىٰ: ٥٣ (ذكر وصيتها عليها السلام إلى أسماء)، بحار ←

وعن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) : «**أوّل نعش أُحدث في الإسلام نعش فاطمة ، إنّها اشتكت شكاتها التي قبضت فيها، وقالت لأسماء : إنّي نحلت فذهب لحمي ، ألا تجعلين لي شيئاً يسترني ؟ فقالت أسماء : إنّي إذ كنت بأرض الحبشة رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لك مثله ؟ فإن أعجبك صنعت لك ، قالت (عليها السلام) : نعم ، فدعت بسرير ، فأكبته لوجهه ، ثم دعت بجرائد ـ نخل ـ فشدّدته على قوائمه، ثم جلّلته ثوباً فقالت أسماء: هكذا رأيتهم يصنعون ، فقالت (عليها السلام) : اصنعي لي مثله ، أُستريني سترك الله من النار**»[1].

٨ ـ لحظات عمرها الأخيرة :

انتقلت السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلىٰ فراشها، واضطجعت فيه وهي مستقبلة القبلة .

وقيل : إنّها أرسلت بنتيها زينب وأُمّ كلثوم إلىٰ بيوت بعض الهاشميات لئلّا تشهدا موت أُمّهما ، كلّ ذلك من باب الشفقة والرأفة والتحفّظ عليهما من صدمة مشاهدة المصيبة .

وكان الإمام عليّ والحسن والحسين (عليهم السلام) خارج البيت في تلك الساعة ولعلّ خروجهم كان للسبب نفسه أو لسبب آخر.

وحين حانت ساعة الاحتضار وانكشف الغطاء فتحت السيّدة فاطمة (عليها السلام) عينيها ثم قالت : «**السلام علىٰ جبرئيل، السلام علىٰ رسول الله، اللهمّ مع رسولك، اللهمّ في رضوانك وجوارك ودارك دار السلام، ثم قالت : هذه مواكب أهل السماوات وهذا جبرئيل وهذا رسول الله يقول : يا بنية أَقدمي فما أمامكِ خيرٌ لك**». ثم قالت : «**وعليك السلام يا قابض الأرواح عجّل بي ولا تعذّبني**» ثم قالت : «**إليك ربّي لا**

← الأنوار ٤٣: ١٨٩، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٤: ٣٤ (باب ماورد في النعش للنساء)، كنز العمال ١٣: ٦٨٦ / ح٣٧٧٥٦.

(١) تهذيب الأحكام ١: ٤٦٩ (باب تلقين المحتضر، ح١٥٤٠)، بحار الأنوار ٤٣: ٢١٢ ـ ٢١٣ / ح٤٣.

إلىٰ النار» ثم غمضت عينيها ومدّت يديها ورجليها .

وجاء عن أسماء أنّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) لمّا حضرتها الوفاة قالت لأسماء : «**إنّ جبرئيل أتىٰ النبيّ ـ لما حضرته الوفاة ـ بكافور من الجنّة فقسّمه أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعليّ، وثلثاً لي، وكان أربعين درهماً فقالت : يا أسماء ائتني ببقية حنوط والدي من موضع كذا وكذا، وضعيه عند رأسي ، فوضعته ثم قالت لأسماء ـ حين توضّأت وضوءها للصلاة ـ : هاتي طيبي الذي أتطيّب به ، وهاتي ثيابي التي أُصلي فيها فتوضأت**» ثم تسجَّت بثوبها ثم قالت : «**انتظريني هنيئةً وادعيني فإن أجبتك وإلّا فاعلمي أنّي قدمت علىٰ أبي فأرسلي إلىٰ عليّ**».

فنادتها أسماء فلم تجبها ، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الحياة، فوقعت عليها تقبّلها وهي تقول : يا فاطمة إذا قدمت على أبيك رسول الله(صلى الله عليه وآله) فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام ، ودخل الحسن والحسين فوجدا أُمّهما مسجّاة فقالا : يا أسماء ما ينيم أُمّنا في هذه الساعة ؟ قالت : يا ابنَيْ رسول الله ليست أُمّكما نائمة ، لقد فارقت الدنيا .

فألقىٰ الحسن نفسه عليها يقبّلها مرةً ويقول : «**يا أُمّاه كلّميني قبل أن تفارق روحي بدني**»، وأقبل الحسين يقبّل رجلها ويقول : «**أنا ابنك الحسين كلّميني قبل أن يتصدّع قلبي فأموت**» .

فقالت لهما أسماء : يا ابنَيْ رسول الله ، إنطلقا إلىٰ أبيكما عليّ فأخبراه بموت أُمّكما ، فخرجا حتىٰ إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء فابتدر إليهما جمع من الصحابة وسألوهما عن سبب بكائهما فقالا : «**قد ماتت أُمّنا فاطمة (عليها السلام)**» . فوقع الإمام عليّ (عليه السلام) علىٰ وجهه يقول : «**بمن العزاء يابنت محمّد**»[1] ؟

---

(١) كشف الغمّة ٢: ١٢٢ ـ ١٢٣ (ذكر حالها بعد أبيها عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ١٨٦ ـ ١٨٧ / ح١٨.

٩ ـ مراسم التشييع والدفن :

وارتفعت أصوات البكاء من بيت عليّ (عليه السلام) فارتجّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، واجتمعت نساء بني هاشم في دار فاطمة (عليها السلام) فصرخن وبكين ، وأقبل الناس إلىٰ عليّ (عليه السلام) وهو جالس والحسن والحسين بين يديه يبكيان ، وخرجت اُمّ كلثوم وهي تقول : يا أبتاه يا رسول الله! الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً.

واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجّون ، وينتظرون خروج الجنازة ليصلّوا عليها ، وخرج أبو ذر وقال : انصرفوا فإنّ ابنة رسول الله قد اُخّر إخراجها في العشية[1] .

وأقبل أبو بكر وعمر يعزّيان علياً (عليه السلام) ويقولان له : يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة علىٰ ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)[2].

وهكذا تفرّق الناس ، وهم يظنّون أنّ الجنازة تشيّع صباح غد. وروي أنّ وفاتها كانت بعد صلاة العصر أو أوائل الليل .

ولكنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) غسّلها وكفّنها هو وأسماء في تلك الليلة، ثم نادىٰ: يا حسن يا حسين يا زينب يا اُمّ كلثوم هلمّوا فتزوّدوا من اُمّكم فهذا الفراق واللقاء الجنّة ، وبعد قليل نحّاهم أمير المؤمنين (عليه السلام) عنها[3].

ثم صلّىٰ عليٌّ علىٰ الجنازة ورفع يديه إلىٰ السماء فنادىٰ « **اللهمّ هذه بنت**

(١) روضة الواعظين: ١٥١ ـ ١٥٢، بحار الأنوار ٤٣: ١٩٢ / ح ٢٠.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ٣٩٢ (وقائع السقيفة عن ابن عبّاس)، بحار الأنوار ٤٣: ١٩٩ / ح٢٩.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ١٧٩ / ح١٥.

نبيّك فاطمة أخرجتها من الظلمات إلىٰ النور ، فأضاءت ميلاً في ميل »[١].

فلمّا هدأت الأصوات ونامت العيون ومضىٰ شطر من الليل تقدّم أمير المؤمنين والعباس والفضل بن العباس ورابع يحملون ذلك الجسد النحيف، وشيّعها الحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقداد وبريدة وعمار[٢].

ونزل عليّ (عليه السلام) إلىٰ القبر ، واستلم جسد بضعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأضجعها في لحدها وقال : « **يا أرض أستودعك وديعتي ، هذه بنت رسول الله ، بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله وعلىٰ ملّة رسول الله محمّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله)، سلّمتكِ أيتها الصدّيقة إلىٰ من هو أولىٰ بكِ منّي ، ورضيت لكِ بما رضي الله تعالىٰ لكِ** » ، ثم قرأ ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**﴾[٣]، ثم خرج من القبر ، وتقدّم الحاضرون وأهالوا التراب علىٰ تلك الدرّة النبويّة، وسوّىٰ عليّ [٤](عليه السلام) قبرها.

١٠ ـ تأبين الإمام عليّ (عليه السلام) للزهراء (عليها السلام) :

انتهت مراسم الدفن بسرعة خوفاً من انكشاف أمرهم وهجوم القوم عليهم ، فلمّا نفض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول وزوجته الودود التي عاشت معه عيشة الصفاء والطهارة والتضحية والإيثار، وتحمّلت من أجله الأهوال والصعاب ، فأرسل دموعه علىٰ خدّيه ،

(١) المصدر نفسه: ٢١٥ / ح٤٤.
(٢) روضه الواعظين: ١٥٢، بحار الأنوار ٤٣: ١٩٣ / ح٢٠.
(٣) طه (٢٠): ٥٥.
(٤) بحار الأنوار ٧٩: ٢٧ ـ ٢٨ / ح١٣.

وحوّل وجهه إلىٰ قبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثم قال:

«السلام عليك يا رسول الله عنّي ، والسلام عليك عن ابنتك وحبيبتك وقرّة عينك وزائرتك والبائتة في الثرىٰ ببقعتك ، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك ، قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، وعفىٰ عن سيدة نساء العالمين تجلّدي، إلّا أنّ في التأسي لي بسنّتك في فرقتك موضع تعزي، فلقد وسّدتُك في ملحودة قبرك بعد أن فاضت نفسك بين نحري وصدري ، وغمضتك بيدي ، وتوليت أمرك بنفسي .

بلىٰ ، وفي كتاب الله لي أنعم القبول، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، قد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله!

أمّا حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهّد ، لا يبرح الحزن من قلبي، أو يختار الله دارك التي أنت فيها مقيم ، كَمَدٌ مقيّح ، وهم مهيّج ، سرعان ما فرّق الله بيننا وإلىٰ الله أشكو ، وستنبّئك ابنتك بتضافر اُمّتك عليّ ، وعلىٰ هضمها حقّها فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلىٰ بثه سبيلاً ، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين، والسلام عليكما يا رسول الله سلام مودّع لاسئم ولا قالٍ، فإن أَنصرف فلا عن ملالة ، وإن أُقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين، والصبر أَيمن وأجمل .

ولو لا غلبة المستولين علينا لجعلتُ المقام عند قبرك لزاماً، والتلبّث عنده عكوفاً ، ولأعولتُ إعوال الثكلىٰ علىٰ جليل الرزية ، فبعين الله تُدفَن ابنتك سرّاً ، ويُهتضم حقّها قهراً، ويُمنع إرثها جهراً ولم يطل منك العهد ، ولم يخلق منك الذكر، فإلىٰ الله ـ يا رسول الله ـ المشتكىٰ ، وفيك ـ يا رسول الله ـ أجمل العزاء ، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته»[1].

---

(١) الكافي ١: ٤٥٨ ـ ٤٥٩ / ح٣ (باب مولد الزهراء عليها السلام)، دلائل الإمامة: ١٣٧ ـ ١٣٨ (خبر وفاتها عليها السلام)، أمالي الطوسي: ١٠٩ ـ ١١٠ / ح ١٦٦، بحار الأنوار ٤٣: ١٩٣ ـ ١٩٤ / ح ٢١. وفيها اختلاف يسير باللفظ.

١١ ـ محاولة نبش القبر :

وحين أصبح الصباح أقبل الناس ليشيّعوا جنازة الزهـراء (عليها السلام) فـبلغهم الخبر الذي لم يتوقّعوه وعـلموا أنّ عـزيزة رسـول الله (صلى الله عليه وآله) قـد دفـنت ليـلاً وسرّاً .

وكان الإمام عليّ (عليه السلام) قد سوّىٰ في البقيع صور قـبور سـبعة أو أكـثر ، وحيث إنّ البقيع كان في ذلك اليوم وإلىٰ يومنا هذا مقبرة أهل المدينة ولهذا أقبل الناس إلىٰ البقيع يبحثون عن قبر فاطمة (عليها السلام) فأُشكل عليهم الأمـر ولم يعرفوا القبر الحقيقي لسيّدة نساء العالمين ، فضجّ الناس ، ولام بعضهم بعضاً وقالوا : لن يخلّف نبيّكم إلّا بنتاً واحدة ، تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها والصلاة عليها ولا تعرفون قبرها ، فقال بعضهم : هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتىٰ نخرجها فنصلّي عليها .

وروي أنّ أبـا بكــر وعــمر أقـبلا مـع أُنـاس يـريدون الصـلاة عـلىٰ فاطمة (عليها السلام) .

فقال المقداد : قد دفنّا فاطمة (عليها السلام) البارحة ، فالتفت عمر إلىٰ أبـي بكـر فقال : ألم أقل لك إنّهم سيفعلون ؟ قـال العـباس : إنّـها أوصت أن لا تـصلّيا عليها، فقال عمر : لا تتركون ـ يا بني هاشم ـ حسدكم القديم لنا أبداً ، إنّ هذه الضغائن التي في صدوركم لن تـذهب، والله لقـد هـممتُ أن أنـبش قـبرها فأُصلي عليها[١] .

ووصل خبر محاولات القوم لنبش القـبر إلىٰ الإمـام عـليّ (عليه السلام) فـلبس

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣٨٥ (وقائع السقيفة عن ابن عباس)، بحار الأنوار ٤٣: ١٩٩ / ح٢٩.

القباء الأصفر الذي كان يلبسه في الحروب ، وحمل سيفه ذا الفقار وقد احمرّت عيناه ودرّت أوداجه من شدة الغضب ، وقَصَدَ البقيع .

وسبقت الأخبار عليّاً إلىٰ البقيع ، فنادىٰ مناديهم : هذا عليّ بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه ، يقسم بالله لئن حُوّل من هذه القبور حجر ليطعن السيف في رقاب الآمرين، فقال رجل : ما لك يا أبا الحسن والله لننبشنّ قبرها ولنصلّين عليها! فضرب عليّ (عليه السلام) بيده إلىٰ جوامع ثوب الرجل وهزّه ثم ضرب به الأرض، وقال له : « **يابن السوداء أمّا حقي فقد تركته مخافة أن يرتدّ الناس عن دينهم ، وأمّا قبر فاطمة فوالذي نفس عليّ بيده لئن رُمتَ وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقينّ الأرض من دمائكم** » .

فقال أبو بكر : يا أبا الحسن بحقّ رسول الله وبحقّ فاطمة إلّا خلَّيت عنه ، فإنّا غير فاعلين شيئاً تكرهه . فخلىٰ عنه وتفرّق الناس[(١)] .

١٢ ـ تاريخ شهادتها (عليها السلام) :

لا شك أنّ وفاة الزهراء (عليها السلام) كانت في السنة الحادية عشرة من الهجرة ، لأنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) حجّ حجّة الوداع في السنة العاشرة ، وتوفّي في أوائل السنة الحادية عشرة ، واتّفق المؤرّخون علىٰ أنّ السيّدة فاطمة (عليها السلام) قد عاشت بعد أبيها أقلّ من سنة ، علماً بأنّها كانت في ريعان شبابها كما كانت في أتمّ الصحة في حياة أبيها ، نعم اختلفوا في يوم وشهر وفاتها اختلافاً شديداً .

فقد روي أنّها عاشت بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ستة أشهر . وقيل : خمسة وتسعين يوماً . وقيل: خمسة وسبعين يوماً أو أقلّ من ذلك[(٢)].

(١) دلائل الإمامة للطبري : ١٣٦ ـ ١٣٧ (ذكر خبر وفاتها عليها السلام).

(٢) انظر بحار الأنوار ٤٣: ٢٠٠ ـ ٢٠١، الإصابة لابن حجر ٨: ٢٦٦ ـ ٢٦٧ (ترجمة فاطمة عليها السلام رقم ١١٥٨٧).

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) : **«أنها قبضت في جمادىٰ الآخرة يوم الثلاثاء لثـلاث خلون منه ، سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة»**[١].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) : **« وتوفّيت ولها ثماني عشـرة سـنة وخـمسة وسـبعون يوماً»**[٢].

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري : وقبض النبيّ ولها يومئذ ثماني عشرة سنة وسبعة أشهر[٣].

قال أبو الفرج الإصفهاني : وكانت وفاة فاطمة الزهـراء (عليها السلام) بـعد وفـاة النبيّ (صلى الله عليه وآله) بمدّة يختلف في مبلغها، فالمكثر يقول ستة أشهر ، والمقلّ يقول أربعين يوماً ، إلّا أنّ الثابت في ذلك مـا روي عـن الإمـام البـاقر (عليه السلام) أنّـها توفيت بعد النبيّ بثلاثة أشهر[٤].

وهكذا انتهت حياتها الزاخرة بالفضائل والمناقب والمواقـف المـبدئية المشرّفة ، فالسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيةً ورحمة الله وبركاته .

❀ ❀ ❀

(١) دلائل الإمامة: ٧٩ (خبر ولادتها عليها السلام)و ١٣٤ (خبر وفاتها عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٩/ح١٦ و ١٧٠ / ح ١١.
(٢) الكافي ١: ٤٥٧ / ح ١٠ (باب مولد الزهراء عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٧/ح ١٠.
(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٢ (باب مناقب فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٦/ح٨ .
(٤) مقاتل الطالبيين: ١٩.

الفصل الثالث

تراث الزهراء (عليها السلام)

لقد أحصىٰ المسلمون الأوائل علىٰ الرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله) جميع أقواله وأفعاله ومن هؤلاء انتقلت سنّة الرسول(صلى الله عليه وآله) إلىٰ الطبقة الثانية وغيرها من الطبقات[1].

ولا شك أنّ أكثرهم وعياً لأقواله وأفعاله من الطبقة الأُولىٰ أُولئك الذين كانوا على صلة به في أكثر الأوقات وفي مختلف المناسبات[2].

وعلى هذا الأساس لا بدّ وأن يكون للصحابة الأوائل دور في هذه الناحية أبرز من أُولئك الذين دخلوا الإسلام في السنين الأخيرة من حياته كأبي هريرة وغيره ممّن امتلأت مجاميع الحديث بمرويّاتهم وأصبحوا من أوسع المصادر لها في حين أنّ صلاتهم بالرسول (صلى الله عليه وآله) كانت محدودة للغاية ... لذلك كان موقف الباحثين من مرويّاتهم مشوباً بالحذر ، وفي الوقت ذاته لا يستبعد أحد على الذين لازموه منذ بعثته إلىٰ أن اختاره الله إليه أن يرووا عنه آلاف الروايات وبخاصة إذا كانوا من المقرّبين إليه كعليّ (عليه السلام) وغيره من الصحابة الأبرار في حين أنّ مجاميع السنّة لم ترو عنهم إلّا القليل القليل

---

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٩٦/١ .

(٢) المصدر السابق .

بالقياس لما روته عن غيرهم في السنين الثلاث الأخيرة من حياته[١].

كما يجب أن لا نستبعد ما ترويه المصادر الشيعية عن مصحف فاطمة، ذلك الكتاب الذي ورد ذكره على لسان الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)[٢]؛ لأنّ الزهراء لم تفارق أباها طيلة حياتها ، وكانت ترعاه وتتولّىٰ خدمته وتسمع أحاديثه وأخباره وخطبه بنحوٍ لم يتوفّر لغيرها من الناس إذا استثنينا ابن عمّها عليّاً (عليه السلام)[٣] .

وبعد هذا ألا تستغرب حينما تسمع ما يقوله الحافظ السيوطي من أنّ جميع ما روته فاطمة رضي الله عنها من الحديث لا يبلغ عشرة أحاديث ، وما يقوله الحافظ البدخشاني من أنّ كلّ ما روي عنها ثمانية عشر حديثاً[٤]؟!. مع أنّا نعلم أنّ المروي عن عائشة ما يفوق الألفين وهي لم تعاشر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلّا بعد الهجرة بما يقلّ عن عشر سنوات، بينما عاشت الزهراء مع أبيها علىٰ أقلّ الروايات ثمانية عشر عاماً وعلىٰ أكثرها ثمانية وعشرين عاماً !.

وقال الاُستاذ توفيق أبو علم: « أخذت الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه، أو ما كان يأمر بكتابته لها ، وقد أخذ عنها ابناها الحسن والحسين وأبوهما عليّ وحفيدتها فاطمة بنت الحسين مرسلاً وعائشة واُم سلمة وأنس بن مالك وسلمىٰ اُم رافع رضي الله عنهم ، وقد ساعدها على ذلك أنّها ألمّت بكثير من علوم القرآن، وإحاطتها باُمور من الشرائع السابقة،

---

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٩٦/١ .

(٢) وهم أدرىٰ بما في البيت .

(٣) سيرة الأئمة الاثني عشر : ١ / ٩٦ .

(٤) عن الثغور الباسمة في مناقب السيّدة فاطمة ، للسيوطي : ٥٢ .

وكــانت تــعرف القــراءة والكـتابة، ولقـد فـطمها الله بـالعلم، وكـان أبـوها رســول الله(صلى الله عليه وآله) يســتكتب لهــا الصــحف التــي تسـترشد بـها فـي أمـر دينها وتبصّرها بأُمور دنياها، فالسيّدة فاطمة من أهل بيت اتّقوا الله وعلّمهم الله»[1].

(١) ولنعم هذا الاقتباس من قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ﴾ انظر (أهل البيت) لتوفيق أبو علم: ص١٢٨ ـ ١٢٩.

مصحف فاطمة (عليها السلام)

لقد كانت الزهراء ربيبة العلم والتقىٰ وكان حظّها منهما وفيراً ، ويدلّنا على شيء من ذلك بعض ما أُثر عنها من الأحاديث التي روتها عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) بالمباشرة في الأحكام والآداب والأخلاق وفضائل أهل البيت(عليهم السلام) وقد جُمع في ما سُميّ بـ« مسند فاطمة الزهراء » لعدّة مؤلفين، أولهم السيوطي المتوفّى عام (٩١١ هـ)، والثّاني للسيّد حسين شيخ الإسلامي التويسركاني، وقد جمع فيه (٢٦٠) حديثاً مما نُقل عن الزهراء عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، أو ممّا يرتبط بها صلوات الله عليها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والثّالث للشيخ عزيز الله العطاردي، والرّابع للشيخ أحمد الرحماني الهمداني، حيث جمع في كتابه «فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفىٰ» حوالي (٨٤) حديثاً ممّا نُقل عنها في كتب الخاصة والعامة .

ومن هنا نعود إلى ماكتبه السيّد هاشم معروف الحسني عن مصحف فاطمة الذي تشير الروايات إليه وتفصح مرويّاتها عن سعة علومها وفضلها عند الله وعند رسوله وأهل بيته، قال رضوان الله عليه : « فليس بغريب ـ والحال هذه ـ أن تكون السيّدة فاطمة (عليها السلام) قد جمعت قسماً ممّا سمعته منه ومن زوجها في التشريع والأخلاق والآداب وما سيحدث في مستقبل الزمان من الأحداث والتقلبات ، وقد ورث الأئمة من أبنائها في جملة ما ورثوه عنها هذا الكتاب واحداً بعد واحد »[١] .

(١) سيرة الأئمة الإثني عشر : ١ / ٩٦ ـ ٩٧ .

نماذج مختارة من مسند فاطمة (عليها السلام)

١ ـ اهتمامها بالعلم وتدوين السنة :

١ ـ قال أبو محمّد العسكريّ (عليه السلام) : **حضرت امرأة عند الصدّيقة فاطمة الزهراء(عليها السلام)** فقالت : إنّ لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليكِ أسألكِ ، **فأجابتها فاطمة (عليها السلام) عن ذلك فثنّت فأجابت ، ثمّ ثلّثت إلى أن عشّرت ، فأجابت ، ثمّ خجلت من الكثرة فقالت** لا أشقّ عليك يا ابنة رسول الله، قالت فاطمة : **هاتي وسلي عمّا بدا لك ، أرأيت من اكترى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار ، أيثقل عليه ؟ فقالت : لا ، فقالت : اكتريت أنا لكلّ مسألة بأكثر من مِلء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً ، فأحرى أن لا يثقل عليَّ ، سمعت** أبي(صلى الله عليه وآله) يقول :

«إنّ علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نورٍ، ثمّ ينادي منادي ربّنا عزّوجلّ : أيُّها الكافلون لأيتام آل محمّد (صلى الله عليه وآله) الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الّذين هم أئمّتهم ، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الّذين كفلتموهم ونعشتموهم ، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا ، فيخلعون على كلّ واحدٍ من أُولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم حتّى إنّ فيهم ـ يعني في الأيتام ـ من يخلع عليه مائة ألف خلعة ، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم ، ثمّ إنّ الله تعالى يقول : أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتّى تتمّوا لهم خلعهم وتضعّفوها لهم ، فيتمّ لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ، ويضاعف لهم ، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم، ثمّ إنّ الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتّى تتمّوا لهم خلعهم وتضعّفوها لهم،

فيتمّ لهم ماكان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممّن خلع على من يليهم».

وقالت فاطمة (عليها السلام): **«يا أمة الله إنّ سلكة من تلك الخلع لأفضل ممّا طلعت عليه الشمس ألف ألف مرّة وما فضل فإنّه مشوب بالتنغيص والكدر»**[١].

٢ ـ عن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى فاطمة (عليها السلام) فقال: يا ابنة رسول الله هل ترك رسول الله عندك شيئاً تطرفينيه؟ فقالت: **«يا جارية هات تلك الحريرة»**، فطلبَتْها فلم تجدها، فقالت: **«ويحكِ أُطلبيها فإنّها تعدل عندي حسناً وحسيناً»**، فطلبتها فإذا هي قد قممتها في قمامتها[٢]، فإذا فيها: قال محمّد النبيُّ: **«ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت، إنّ الله يحبُّ الخيّر الحليم المتعفّف، ويبغض الفاحش الضنين السئّال الملحف، إنَّ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة، وإنَّ الفحش من البذاء، والبذاء في النار»**[٣].

٢ ـ التعريف بأهل البيت (عليهم السلام):

١ ـ وعنها سلام الله عليها أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لها: **«أما ترضين أنّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً، وأعظمهم علماً؟ فإنّك سيّدة نساء العالمين كما سادت مريم نساءَ قومها»**[٤].

٢ ـ عن يزيد عن عبد الملك النفليّ، عن أبيه، عن جدّه قال: دخلت

---

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ٣٤٠ ـ ٣٤١ / ح٢١٦، بحار الأنوار ٢: ٣ / ح٣.

(٢) القمامة ـ بالضمّ ـ: الكناسة.

(٣) دلائل الإمامة: ٦٥ ـ ٦٦ / ح١.

(٤) كنز العمّال ١١، ٦٠٥، حديث ٣٢٩٢٥، سبل الهدىٰ والرشاد: ١١: ٢٩١ (ذكر جماع أبواب العشرة الذين شهد لهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بالجنّة، باب ١٠.

على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: فبدأتني بالسلام، قال: وقالت: قال أبي وهو ذا حيٌّ: **من سلّم عليّ وعليك ثلاثة أيّام فله الجنّة**. قلت لها: ذا في حياته وحياتك أو بعد موته وموتك؟ قالت: **في حياتنا وبعد وفاتنا**[1].

٣ ـ إنّ فاطمة رضي الله عنها قالت: **أتيت النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقلت: السّلام عليك يا أبة، فقال: وعليك السّلام يا بنيّة، فقلت: والله ما أصبح يا نبيّ الله في بيت عليّ حبّة طعام، ولا دخل بين شفتيه طعام منذ خمس، ولا أصبحت له ثاغية ولا راغية، ولا أصبح في بيته سفّة ولا هفّة**[2].

فقال النبيُّ (صلى الله عليه وآله): **ادني منّي، فدنوت، فقال: أدخلي يدك بين ظهري وثوبي، فإذا حجر بين كتفي النبيّ (صلى الله عليه وآله) مربوط إلى صدره**، فصاحت فاطمة صيحة شديدة، فقال لها: **ما أُوقدت في بيوت آل محمّد نار منذ شهر**.

ثمّ قال (صلى الله عليه وآله) ورفع باب خيبر وهو ابن نيّف وعشرين، وكان لا يـرفعه خمسون رجلاً.

فأشرق وجه فاطمة، ثمّ أتت عليّاً فإذا البيت قد أنار بنور وجهها، فقال لها: **يا ابنة محمّد! لقد خرجت من عندي ووجهك على غير هذا الحـال؟** فـقالت: **إنَّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) حدّثني بفضلك، فما تمالكت حتّى جئتك**[3].

٤ ـ عن أسماء بنت عميس، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: **إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاها يوماً فقال: أين ابناي ـ يعني حسناً وحسيناً ـ؟ قالت: قلت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، وإنّا لنحمد الله تعالى**، فقال عليّ: **أذهب بهما فـإنّي أتخوّف أن يبكيا عليكِ وليس عندك شيء، فذهب بهما إلى اليهوديّ. فتوجّه إليه رسول**

---

(١) « المناقب » لابن المغازليّ الشافعيّ: ص٣٦٤.

(٢) الثاغية: الشاة. والراغية: البعير. والسفّة: المأكول. والهفّة: المشروب.

(٣) دلائل الإمامة: ٦٩ ـ ٧٠ / ح٨ (ذكر مسند فاطمة عليها السلام)، أهل البيت (عليهم السلام) لتوفيق أبو علم: ١٣٠.

الله(صلى الله عليه وآله) **فوجدهما يلعبان في مشربة بين أيديهما فضل من تمر ، فقال : يا عليُّ ألا تقلب ابنيَّ ـ** أي ترجعهما ـ **قبل أن يشتدَّ الحرُّ عليهما ؟** قال : فقال عليٌّ : **قد أصبحنا فليس في بيتنا شيء ، فلو جلست يا رسول الله حتّى أجمع لفاطمة تمرات ، فجلس رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **وهو ينزع لليهوديّ كلّ دلو بتمرة ، حتّى اجتمع له شيء من تمر ، وحمله رسول الله وعليٌّ**[1] .

٥ ـ وعنها سلام الله عليها في حديث طويل ، قالت : **يا رسول الله! إنَّ سلمان تعجَّب من لباسي ، فو الّذي بعثك بالحقِّ ما لي ولعليّ منذ خمس سنين إلّا مَسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا ، فإذا كان اللّيل افترشناه ، وإنَّ مرفقتنا لَمِن أدم حشوها ليف ، فقال** النبيّ(صلى الله عليه وآله) : **يا سلمان إنَّ ابنتي لفي الخيل السوابق**[2].

٦ ـ عن زينب ابنة عليّ ، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) : **أما إنّك يا عليُّ وشيعتك في الجنّة**[3].

٧ ـ عن فاطمة بنت رسول الله أنّها دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فبسط ثوباً وقال لها : **اجلسي عليه ، ثمّ دخل الحسن فقال له : اجلس معها ، ثمّ دخل الحسين فقال له : اجلس معهما ، ثمّ دخل عليٌّ فقال له : اجلس معهم ، ثمّ أخذ بمجامع الثوب فضمّه علينا ثمّ قال : اللّهمّ هم منّي وأنا منهم ، اللّهمّ ارض عنهم كما أنّي عنهم راض**[4].

٨ ـ عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت : **قال لي رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **: ألا**

---

(١) كشف الغمّة ٢: ٢٧٢ (فصل في ذكر الإمام الحسين عليه السلام)، ذخائر العقبى: ٤٩ (ذكر ما كانت فيه من ضيق عليها السلام)، المعجم الكبير ٢٢: ٤٢٢ (ذكر ما ورت أسماء عن فاطمة عليها السلام)، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٧١ (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام رقم ١٥٦٦)، مجمع الزوائد ١٠: ٣١٦ (باب عيش رسول الله صلى الله عليه وآله).

(٢) الدروع الواقية: ٢٧٥ (التذكير الآخرة)، بحار الأنوار ٤٣: ٨٨ / ح٩، والمسك بالفتح فالسكون: الجلد، الأدم أيضاً، الجلد والمرفقة: المتكأة والمخدة.

(٣) دلائل الإمامة: ٦٥ ح ٤(ذكر مسندها عليها السلام).

(٤) دلائل الإمامة: ٦٨ /ح ٥ (عن سندها عليها السلام) .

أُبشّرك ؟ إذا أراد الله أن يتحف زوجة وليّه في الجنّة بعث إليك تبعثين إليها من حليّك[١].

٩ ـ عن عليّ بن موسى الرضا ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين ، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال : من كنت وليّه فعليٌّ وليُّه ، ومن كنت إمامه فعليٌّ إمامه**[٢].

١٠ ـ روى السيّد محمّد الغماريّ الشافعيّ في كتابه : عن فاطمة بنت الحسين الرضويّ ، عن فاطمه بنت محمّد الرضويّ ، عن فاطمة بنت إبراهيم الرضويّ ، عن فاطمة بنت الحسن الرضويّ ، عن فاطمة بنت محمّد الموسويّ ، عن فاطمة بنت عبدالله العلويّ ، عن فاطمة بنت الحسن الحُسينيّ ، عن فاطمة بنت أبي هاشم الحُسينيّ ، عن فاطمة بنت محمدّ بن أحمد بن موسى المبرقع ، عن فاطمة بنت أحمد بن موسى المبرقع ، عن فاطمة بنت موسى المبرقع ، عن فاطمة بنت الإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام) ، عن فاطمة بنت موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، عن فاطمة بنت الصادق جعفر بن محمّد (عليهما السلام) ، عن فاطمة بنت الباقر محمّد بن عليّ (عليهما السلام) ، عن فاطمة بنت السجّاد عليّ بن الحُسين زين العابدين (عليهما السلام) ، عن فاطمة بنت أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) ، عن زينب بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) ، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قالت :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **« ألا من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً »**[٣].

---

(١) دلائل الإمامة: ٦٧ / ح ٣ (عن مسندها عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٨٠ / ح ٦٩.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١٢: ٦٩ / ح ٢٧٨، بحار الأنوار ٣٨: ١١٢ / ح ٤٩. وقد مرّ ذكر هذا الحديث بأسانيد متعددة من طرق الفريقين في الجزء السابق تفصيلاً.

(٣) عوالم المعارف ومستدركاتها : ٢١ / ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ، نقلاً عن « اللؤلؤة المثنية » للشيخ محمّد بن محمّد بن أحمد الجشتيّ الداغستانيّ : ٢١٧ ، طبع مصر ، سنة ١٣٠٦ .

١١ ـ عن حارثة بن قدامة قال : حدّثني سلمان قال : حدَّثني عمّار وقال: اُخبرك عجباً ؟ قلت : حدَّثني يا عمّار ، قال : نعم : شهدت عليَّ بن أبي طالب (عليه السلام) وقد ولج على فاطمة (عليها السلام) ، فلمّا أبصرت به نادت : اُدن لاُحدِّثك بما كان وبما هو كائن وبما لم يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة . قال عمّار : فرأيت أمير المؤمنين (عليه السلام) يرجع القهقرى فرجعت برجوعه إذ دخل على النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، فقال له : **اُدن يا أبا الحسن ، فدنا فلمّا اطمأنَّ به المجلس قال له : تحدِّثني أم اُحدَّثك ؟** قال : **الحديث منك أحسن يا رسول الله ، فقال :كأنّي بك وقد دخلت على فاطمة وقالت لك كيت وكيت ، فرجعت ، فقال عليٌّ** (عليه السلام) : **نور فاطمة من نورنا ؟** فقال (صلى الله عليه وآله) : **أو لا تعلم ؟** فسجد عليٌّ شكراً لله تعالى .

قال عمّار : فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) وخرجت بخروجه ، فولج على فاطمة (عليها السلام) وولجت معه ، فقالت : **كأنّك رجعت إلى أبي (صلى الله عليه وآله) فأخبرته بما قلته لك ؟** قال : **كان كذلك يا فاطمة** ، فقالت : **اعلم يا أبا الحسن أنَّ الله تعالى خلق نوري ، وكان يسبّح الله جلَّ جلاله ، ثمّ أودعه شجرة من شجر الجنّة فأضاءت فلمّا دخل أبي الجنّة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك ؛ ففعل ، فأودعني الله سبحانه صُلب أبي** (صلى الله عليه وآله) **، ثمّ أودعني خديجة بنت خويلد فوضعتني ، وأنا من ذلك النور ، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن . يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى**[1] .

١٢ ـ عن أبي الطفيل ، عن أبي ذرٍّ (رضي الله عنه) ، قال : سمعت فاطمة (عليها السلام) تقول: «**سألت أبي** (صلى الله عليه وآله) **عن قول الله تبارك وتعالى ﴿ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم ﴾**[2] قال : **هم الأئمّة بعدي : عليٌّ وسبطاي وتسعة من صلب الحسين ، هم رجال**

---

(١) عيون المعجزات: ٤٦ ـ ٤٧ (تحدّث أمير المؤمنين عليه السلام بما كان وما يكون).
(٢) الأعراف (٧) : ٤٦ .

الأعراف، لا يدخل الجنّة إلّا مـن يـعرفهم ويـعرفونه ، ولا يـدخل النـار إلّا مـن أنكـرهم وينكرونه ، لا يُعرف الله إلّا بسبيل معرفتهم»(١).

١٣ ـ عن سعد الساعديّ ، عن أبيه قال : سألت فاطمة صلوات الله عـليها عن الأئمّة فقالت : **سـمعت رسـول الله (صلى الله عليه وآله) يـقول : الأئـمّة بـعدي عـدد نـقباء بـني إسرائيل**(٢).

١٤ ـ عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : قال أبي (عليه السلام) لجابر بن عبدالله الأنصاريّ : **إنّ لي إليك حاجة فمتى يخفُّ عليك أن أخلو بك فاسألك عـنها ؟** فقال له جابر : في أيّ الأوقات شئت ، فخلا به أبو جعفر (عليه السلام) ، قال له: **يا جابر أخبرني عن اللّوح الّذي رأيته في يد أُمّي فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما أخبرتك به أنّه في ذلك اللّوح مكتوباً** . فقال جابر : أشهد بالله أنّي دخلت على أُمّك فاطمة (عليها السلام) في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أُهنّئها بولادة الحسين (عليه السلام) فرأيت في يـدها لوحاً أخضر ظننت أنّه من زمرُّد ، ورأيت فيه كتابةً بيضاء شبيهة بـنور الشـمس ، فقلت لها : بأبي أنت وأميّ يا بنت رسول الله ما هذا اللّوح ؟ فقالت : **هذا اللّوح أهداه الله عزَّوجلَّ إلى رسوله (صلى الله عليه وآله) فيه اسم أبي واسم بَعلي واسم ابنيَّ وأسماء الأوصياءِ من ولدي ، فأعطانيه أبي ليسرّني بذلك .**

قـال جـابر : فأعـطتنيه أمّك فـاطمة (عليها السلام) فـقرأتـه وانـتسخته . فـقال له أبي (عليه السلام) : **فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ ؟** فقال : **نعم** ، فمشى معه أبي (عليه السلام) حتّى انتهى إلى منزل جابر فأخرج إلى أبي صحيفة من رقّ ، فقال : **يا جابر انظر أنت في كتابك لأقرأه أنا عليك** ، فنظر جابر في نسخته(٣) **فقرأه عليه أبي (صلى الله عليه وآله) فـوالله مـا**

---

(١) و(٤) كفاية الأثر: ١٩٣ ـ ٢٠٠ (ذكر ما جاء عن الزهراء عليها السلام)، المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٥٤ (فصل في إمامة الأئمة عليهم السلام)، بحار الأنوار ٣٦: ٣٤١ ـ ٣٤٢ / ح٢٠٧.

(٣) إنّما كانت ملاقاة جابر مع أبي جعفر (عليه السلام) بعد زيارة الأربعين في المدينة قطعاً وقد قيل إنّه في زيـارة

خالف حرفٌ حرفاً ، قال جابر : فإنّي أشهد بالله أنّي هكذا رأيته في اللّوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذاكتاب من الله العزيز الحكيم لمحمّد نوره وسفيره وحجابه ودليله ، نزل به الرُّوح الأمين من عند ربِّ العالمين ؛ عظِّم يا محمّد أسمائي واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي ، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا ، قاصم الجبّارين [ومبير المتكبّرين] ومذلُّ الظالمين وديّان يوم الدِّين ، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا ، فمن رجا غير فضلي ، أو خاف غير عدلي؛ عذَّبته عذاباً لا أُعذّبه أحداً من العالمين ، فإيّاي فاعبد وعليَّ فتوكّل .

إنّي لم أبعث نبيّاً فأكملت أيّامه وانقَضَتْ مدَّته إلّا جعلت له وصيّاً ، وإنّي فضّلتك على الأنبياء وفضّلت وصيّك على الأوصياء ، وأكرمتك بشبليك بعده وبسبطيك الحسن والحسين ، وجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدَّة أبيه ، وجعلت حسيناً خازن وحيي ، وأكرمته بالشهادة ، وختمت له بالسعادة ، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداءِ درجةً ، جعلت كلمتي التامّة معه ، والحجّة البالغة عنده ، بعترته أثيب وأُعاقب، أوَّلهم عليٌّ سيّد العابدين، وزين أوليائي الماضين ؛ وابنه سميُّ جدِّه المحمود ، محمّد الباقر لعلمي والمعدن لحكمتي ؛ سيهلك المرتابون في جعفر ، الرَّادُّ عليه كالرّادِّ عليَّ ، حقَّ القول منّي لأكرمنَّ مثوى

← الأربعين مكفوف البصر فكيف يمكن معه قراءة النسخة ؟ ويمكن أن نقول : إنّما يكون عماه في آخر أيّام حياته فاشتبه على بعض من ترجمه فتوهّم عماه في الأربعين، سنة ٦١ ، وهو خلاف ما نصّوا عليه من أنّه كفّ بصره آخر عمره . وما في « بشارة المصطفى » في خبر زيارته في الأربعين من قول عطيّة « قال : فألمسنيه ، فألمسته فخرَّ على القبر » لا يدلُّ على العمى ، ولعلّ من شدَّة الحزن وكثرة البكاء ابيضّت عيناه ، أو غمرتهما العبرة في ذلك اليوم . ويؤيّده ما في هذا الخبر « ثمّ جال ببصره حول القبر وقال : السلام عليكم...» .

جعفر، ولأُسرَّنَّه في أوليائه وأشياعه وأنصاره ؛ وانتحبت بعد موسى فتنة عمياء حِندِس[١]**، لأنَّ خيط فرضي لا ينقطع ، وحجّتي لا تخفى ، وأنَّ أوليائي لا يشقون أبداً ؛ ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ، ومن غيّر آية من كتابي فقد افترى عليَّ .**

ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدَّة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي ، [ألا] إنَّ المكذِّب بالثامن مكذِّب بكلِّ أوليائي ، وعليٌّ وليّي وناصري ، ومن أضع عليه أعباء النبوَّة وأمتحنه بالاضطلاع ، يقتله عفريت مستكبر ، يدفن بالمدينة الّتي بناها العبد الصالح ذو القرنين إلى جنب شرِّ خلقي ، حقَّ القول منّي لأُقرَّنَّ عينه بمحمّد ابنه وخليفته من بعده ، فهو وارث علمي ومعدن حكمتي وموضع سرِّي وحجّتي على خلقي جعلت الجنّة مثواه ، شفّعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار ، وأختم بالسعادة لابنه عليّ وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن وأُولئك هُم المهتدون»[٢] .

١٥ ـ قالت (عليها السلام) : **أبوا هذه الأُمَّة محمَّد وعليٌّ يقيمان أودهم وينقذانهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما ويبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما**[٣].

١٦ ـ عن فاطمة ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما قال : **قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : «أيّما رجل صنع إلى رجل من ولدي صنيعة فلم يكافئه عليها ، فأنا المكافئ له عليها»**[٤] .

١٧ ـ حدّثنا أحمد بن يحيى الأوديُّ ، حدثنا أبو نعيم ضرار بن صرد ، حدّثنا عبد الكريم أبو يعفور ، حدثنا جابر ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ،

(١) انتحب : تنفس شديداً . والحِندِس : الشديد الظلمة .

(٢) الكافي ١: ٥٢٦ ـ ٥٢٨ (باب ما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم عليهم السلام ، ح٣)، عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٢: ٤٨ ـ ٥٠ / ح٢، بحار الأنوار ٣٦: ١٩٥ ـ ١٩٧ / ح٣.

(٣) تفسير الإمام العسكري(عليه السلام): ٣٣٠ / ح١٩١، بحار الأنوار ٣٦: ٩ / ح١١.

(٤) تفسير الإمام العسكري(عليه السلام): ٣٣٠ / ح١٩١، بحار الأنوار ٣٦: ٩ / ح١١.

عن عائشة ، قالت : حدَّثتني فاطمة ، قالت : «**قال لي رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **: زوجك أعلم الناس علماً وأوّلهم سلماً ، وأفضلهم حلماً**»(١).

١٨ ـ قالت (عليها السلام) : « **واحمدوا الله الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السماوات والأرض إليه الوسيلة ، ونحن وسيلته في خلقه ،ونحن خاصّته ومحل قُدسه ، ونحن حجّته في غيبه ، ونحن ورثة أنبيائه** »(٢).

١٩ ـ عن محمَّد بن عمر الكناسي عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ ابن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن عليّ عن فاطمة بنت محمّد (صلى الله عليه وآله) قالت : «**خرج علينا رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **فقال : إنَّ الله عزّوجلّ باهى بكم ، فغفر لكم عامّة ، وغفر لعليّ خاصَّة ، وإنّي رسول الله إليكم غير هائب لقومي ومحاب لقرابتي ، هذا جبرئيل** (عليه السلام) **يخبرني : إنَّ السّعيد كلَّ السعيد حقَّ السعيد من أحبَّ عليّاً في حياتي وبعد وفاتي**»(٣).

٢٠ ـ عن زينب بنت أبي رافع عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّها أتت رسول الله بالحسن والحسين في مرضه الَّذي توفّي فيه ، فقالت : «**يا رسول الله إنّ هذين لم تورثهما شيئاً**» فقال : «**أمّا الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فله جرأتي وجودي**»(٤).

---

(١) الذرية الطاهرة النبوية للدولابي: ١٤٤ / ح ١٨١.

(٢) السقيفة وفدك: ١٠١ (القسم الثّاني)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١١ (ذكر ما ورد من السير في فدك).

(٣) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣ (باب ما يتعلق بالآخرة من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام)، الصراط المستقيم ٢: ٥٠ (فصل في أخبار الفريقين تجري مجرى النصّ)، بحار الأنوار ٣٩: ٢٥٧ / ح ٣٢، المعجم الكبير ٢٢: ٤١٥ (حديث أنس عن فاطمة عليها السلام)، المناقب للخوارزمي: ٧٨ / ح ٦٢، مجمع الزوائد ٩: ١٣٢ (باب جامع في من يحبّ عليّ ويبغضه)، كنز العمال ١٣: ١٤٥ ـ ١٤٦ / ح ٣٦٤٥٨.

(٤) دلائل الإمامة: ٦٨ ـ ٦٩ / ح ٦ (مسندها عليها السلام)، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٦٥ (باب إمامة ←

٢١ ـ عن عليّ عن فاطمة (عليها السلام) قالت : «**قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا فاطمة من صلّى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنّة**»(١).

٢٢ ـ عن زيد بن عليّ بن الحسين عن عمَّته زينب بنت عليّ (عليه السلام) عن فاطمة(عليها السلام) قالت : «**كان دخل إليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند ولادتي الحسين (عليه السلام) ، فناولته إيّاه في خرقة صفراء ، فرمى بها وأخذ خرقة بيضاء ولفّه فيها ثمّ قال : خذيه يا فاطمة ، فإنّه إمام ابن إمام أبو الأئمّة التسعة ، من صُلبه أئمّة أبرار ، والتاسع قائمهم**»(٢).

٢٣ ـ عن سهل بن سعد الأنصاريّ قال : سألت فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) عن الأئمّة فقالت : «**كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعليّ (عليه السلام) : يا عليُّ! أنت الإمام والخليفة بعدي ، وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضيت فابنك الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى الحسن فابنك الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى الحسين فابنه عليُّ بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى عليٌّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى موسى فابنه عليٌّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى عليٌّ فابنه محمَّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى محمَّد فابنه عليٌّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى عليٌّ فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا مضى الحسن فالقائم المهديُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، يفتح الله تعالى به مشارق الأرض ومغاربها ، فهم أئمّة الحقّ وألسنة الصدق ، منصور من نصرهم ، مخذول من خذلهم**»(٣).

← السبطين عليهما السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٢٩٣ / ح٥٤، الآحاد والمثاني ١: ٢٩٩ / ح٤٠٨، مجمع الزوائد ٩: ١٨٤ ـ ١٨٥ (باب ما جاء في الحسن عليه السلام من نحل)،كنز العمال ٧: ٢٦٨ / ح١٨٨٣٩.

(١) كشف الغمّة ٢: ١٠٠ (فصل في فضائل فاطمة عليها السلام)، بحار الأنوار ٤٣: ٥٥ / ح٤٨.

(٢) راجع كفاية الأثر: ١٩٣ ـ ٢٠٠ (في النصوص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام).

(٣) راجع كفاية الأثر: ١٩٣ ـ ٢٠٠ (في النصوص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام).

٣ ـ مصادر التشريع الإسلامي وفلسفته وأُصوله :

١ ـ القرآن الكريم هو أوّل مصادر التشريع الإسلامي وأهمّها وأشارت الزهراء(عليها السلام) الى ذلك والى جملة من علوم القرآن بشكل موجز كما مرّ في خطبتها المعروفة إذ قالت: **«أنتم عِبادَ الله نصب أمرِه ونهيِه ، وحَمَلَة دينهِ وَوَحْيِهِ ، وأُمناء الله على أنفسكم ، وبُلَغاؤه إلى الأُمم ، زعيمُ حقٍّ له فيكم، وعهدٌ قدّمه إليكم، وبقيّةٌ استخلفها عليكم ، كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بيّنةً بصائره ، منكشفةً سرائره ، منجليةً ظواهره ، مغتَبِطَةً به أشياعُه ، قائداً إلى الرضوان اتّباعه ، مؤدٍّ إلى النّجاة استماعُه ، بِه تُنال حججُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وعزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، ومحارِمُه المحذَّرة ، وبيّناتُه الجالية ، وبراهينُه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورُخَصُه الموهوبة ، وشرائعهُ المكتوبة»**(١).

٢ ـ وقالت عن فلسفة التشريع في نفس الخطبة : **«جعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاةَ تزكيةً للنفس ، ونماءً في الرزق ، والصيّامَ تَثبيتاً للإخلاص ، والحجَّ تشييداً للدين ، والعدْلَ: تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا نظاماً للملّة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة ، والجهادَ عِزّاً للإسلام ، والصبّر معونةً على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة ، وبرّ الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام مَنْسَأة في العمر ومنماة للعدد ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة ، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له**

---

(١) دلائل الإمامة: ١١٢ ـ ١١٣ (حديث فدك)، الاحتجاج ١: ١٣٣ ـ ١٤٤ (احتجاج الزهراءعليها السلام على القوم)، بحار الأنوار ٢٩: ٢٢٢ ـ ٢٢٣ / ح٨، السقيفة وفدك: ١٤١ ـ ١٤٢ (القسم الثّاني).

بالربوبيّة»[١].

٣ ـ وقالت عن بعض أُصول التشريع : حدَّثنا أحمد بن يحيى الصوفيُّ، حدثنا عبد الرحمن بن ديس الملائيّ ، حدثنا بشير بن زياد الجزريُّ ، عن عبدالله بن حسن ، عن أُمّه فاطمة بنت الحسين ، عن فاطمة الكبرىٰ قالت : **قال النبيُّ (صلى الله عليه وآله) : «إذا مرض العبد أوحى الله إلى ملائكته أن ارفعوا عن عبدي القلم ما دام في وثاقي ، فإنّي أنا حبسته ، حتّى أقبضه أو أُخلّي سبيله».**

قال : فذكرت لبعض ولده فقال :كان أبي يقول : أوحى الله إلى ملائكته : اكتبوا لعبدي أجر ماكان يعمل في صحّته[٢].

٤ ـ عن عليّ عن فاطمة رضي الله عنهما قالت : «**قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا حبيبة أبيها كلُّ مسكرٍ حرام ، وكلّ مسكر خمر»**[٣] .

٥ ـ عن سليمان بن أبي سليمان عن أُمّه أُمِّ سليمان قالت : دخلت على عائشة زوج النبيّ (صلى الله عليه وآله) فسألتها عن لحوم الأضاحيّ ، فقالت : قدكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) نهى عنها ، ثمَّ رخّص فيها .

وقدم عليُّ بن أبي طالب من سفر فأتته فاطمة بلحم من ضحاياها ، فقال : «**أو لم ينه عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقالت : إنّه قد رخّص فيها. قالت : فدخل عليٌّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسأله عن ذلك ، فقال له :كُلها من ذي الحجّة إلى ذي الحجّة»**[٤].

٦ ـ عن سيّدة النساء فاطمة ابنة سيّد الأنبياء صلوات الله عليهم أنّها

---

(١) دلائل الإمامة: ١١٢ ـ ١١٣ (حديث فدك)، الاحتجاج ١: ١٣٣ ـ ١٤٤ (احتجاج الزهراء عليها السلام على القوم)، بحار الأنوار ٢٩: ٢٢٢ ـ ٢٢٣ / ح٨، السقيفة وفدك: ١٤١ ـ ١٤٢ (القسم الثّاني).

(٢) الذريّة الطاهرة النبويّة: ١٤٨ ـ ١٤٩ / ح١٨٩.

(٣) دلائل الإمامة: ٦٩ / ح٧ (مسندها عليها السلام)، بحار الأنوار ٦٣: ٤٨٧ / ح١٨.

(٤) « أهل البيت » لتوفيق أبو علم : ١٢٩ ، ومسند أحمد : ٦ / ٢٨٣ (أحاديث فاطمة عليها السلام).

سألت أباها محمّداً (صلى الله عليه وآله) فقالت: «يا أبتاه! ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟» قال: «يا فاطمة من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة: ستّ منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره .

أمّا اللّواتي تصيبه في دار الدّنيا: فالأُولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عزّوجلّ سيماء الصالحين من وجهه، وكلّ عمل يعمله لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظّ في دعاء الصالحين .

وأمّا اللواتي تصيبه عند موته: فأوّلهنَّ أنّه يموت ذليلاً، والثانية يموت جائعاً، والثالثة يموت عطشاً، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه .

وأمّا اللواتي تصيبه في قبره: فأوّلهنَّ يوكّل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثانية يضيّق عليه قبره، والثالثة تكون الظلمة في قبره .

وأمّا اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره: فأوّلهنَّ أن يوكّل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية يحاسب حساباً شديداً، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم»(١) .

٤ ـ الأخلاق والآداب والسلوك :

١ ـ عن الحسين (عليه السلام)، عن أُمّه فاطمة رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إيّاكِ والبخل، فإنّه عاهة لا تكون في كريم . إيّاكِ والبخل فإنه شجرة في النار، وأغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله النار . وعليكِ بالسخاء، فإنَّ السخاء شجرة من شجر الجنّة، أغصانها متدلّية إلى الأرض، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك

(١) فلاح السائل: ٢٢ (الفصل الأوّل في تعظيم الصلاة)، بحار الأنوار ٨٠: ٢١ / ح٣٩.

الغصن إلى الجنّة»[١].

٢ ـ عن فاطمة البتول بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: «**قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): شرار أُمّتي الّذين غُذّوا بالنعيم، الّذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدّقون في الكلام»**[٢].

٣ ـ عن فاطمة بنت الحسين، عن جدّتها فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا دخل المسجد صلّى على محمَّدٍ وسلَّم، وقال: « **اللّهمّ اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك** ». وإذا خرج صلّى على محمّد وسلّم ثمّ قال: « **اللّهمّ اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك** »[٣].

٤ ـ قالت (عليها السلام): «**البشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنّة، والبشر في وجه المعاند المعادي يقي صاحبه عذاب النار»**[٤].

٥ ـ عن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن فاطمة ابنة النبيّ (صلى الله عليه وآله) قالت: سمعت النبيّ (صلى الله عليه وآله) يقول: «**إنَّ في الجمعة لساعةً لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عزّوجلّ فيها خيراً إلّا أعطاه. قالت: فقلت: يا رسول الله أيُّ ساعة هي؟ قال: إذا تدلّى نصف عين الشمس للغروب. قال: وكانت فاطمة تقول لغلامها: اصعد على السطح، فإن رأيت نصف عين الشمس قد تدلّى للغروب فأعلمني حتّى أدعو»**[٥].

٦ ـ قال ابن حمّاد الأنصاريُّ الدولابيُّ المتوفّى ٣١٠: حدَّثنا أبو جعفر

---

(١) دلائل الإمامة: ٧١ / ح٩ (مسندها عليها السلام).

(٢) ذم الكلام وأهله للهروي ١: ١١٦ ـ ١١٧ / ح١٠١، تاريخ مدينة دمشق ٢٧: ٣٦٦ (ترجمة عبدالله بن الحسن الهاشمي رقم ٣٢٤٢). وتشدق في الكلام: أتسع فيه من غير احتياط.

(٣) دلائل الإمامة: ٧٥ / ح١٤ (مسندها عليها السلام)، أمالي الطوسي: ٤٠١ / ح٨٩٤، المصنف لابن أبي شيبة ١: ٣٧٣ باب ١١٠/ ح١، كنز العمال ٨: ٣٢١ / ح٢٣١٠٩.

(٤) « تفسير الإمام العسكري» : ٣٥٤ / ح٢٤٣، بحار الأنوا ٧٢: ٤٠١/ ح٤٢، والمراد من الفقرة الثانية مداراة النواصب تقيّةً منهم.

(٥) دلائل الإمامة: ٧١ / ح١٠ (مسندها عليها السلام)، بحار الأنوار ٨٦: ٢٦٩ / ح٨.

محمَّد بن عوف بن سفيان الطائيُّ الحمّصيُّ ، حدّثنا موسى بن أيُّوب النصيبيُّ، حدّثنا محمَّد بن شعيب ، عن صدقة مولى عبد الرحمن بن الوليد ، عن محمّد بن عليّ بن حسين ، قال : خرجت أمشي مع جدّي حسين بن عليّ إلى أرضه ، فأدركنا النعمّان بن بشير على بغلة له فنزل عنها ، وقال للحسين: اركب أبا عبدالله ، فأبىٰ، فلم يزل يقسم عليه حتّى قال : أما إنّك قد كلّفتني ما أكره ، ولكن أُحدِّثك حديثاً حدَّثتنيه أمّي فاطمة : إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : **« الرجل أحقُّ بصدر دابّته وفراشه والصلاة في بيته ، إلّا إماماً يجمع الناس »** . فاركب أنت على صدر الدابّة و [أردفني خلفك] .

فقال النعمان : صدقت فاطمة ، حدَّثني أبي ـ وها هو ذا حيٌّ بالمدينة عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال : إلّا أن يأذن، فلمّا حدّثه النعمان بهذا الحديث ركب حسين السرج ، وركب النعمان خلفه[1].

٧ ـ حدَّثنا أحمد بن يحيى الأوديُّ ، حدّثنا جبارة بن مغلّس ، حدّثنا عبيد بن الوسيم ، عن حسين بن الحسن ، عن أمّه فاطمة بن حسن ، عن أبيها ، عن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **«لا يلومنّ إلّا نفسه من بات وفي يده غَمَر»**[2][3].

٨ ـ حدّثنا أحمد بن يحيى الصوفيُّ ، حدّثنا عبد الرحمن بن دبيس ، حدّثنا بشير بن زياد ، عن عبدالله بن حسن ، عن أُمِّه ، عن فاطمة الكبرى(عليها السلام)، قالت : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : **«ما التقى جندان ظالمان إلّا تخلّى الله**

---

(١) الذريّة الطاهرة النبويّة: ١٣٧ / ح١٧١.

(٢) الغَمَر : الدَسَم .

(٣) الذريّة الطاهرة النبويّة: ١٣٨ / ح١٧٢.

منهما ، فلم يبال أيُّهما غلب، وما التقى جندان ظالمان إلّاكانت الدائرة على أعتاهما»[١].

٩ ـ وقالت (عليها السلام) في وصف ما هو خير للنساء : «**خير لهنَّ ألّا يرين الرجال ولا يرونهنَّ**»[٢].

١٠ ـ عن جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ عن اُمّه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت : «**لمّا نزلت على النبيّ (صلى الله عليه وآله) ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾**[٣]، قالت فاطمة : **فتهيّبت النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن أقول له : يا أبه ، فجعلت أقول له : يا رسول الله، فأقبل عليَّ فقال لي : يا بنيّة لم تنزل فيك ولا أهلك من قبل ، أنت منّي وأنا منك ، وإنّما نزلت في أهل الجفاء والبذخ والكبر ، قولي : يا أبه ، فإنّه أحبُّ للقلب وأرضى للربِّ ثمَّ قبّل النبيُّ(صلى الله عليه وآله) جبهتي ، مسحني بريقه ، فما احتجت إلى طيب بعده»**[٤].

١١ ـ وقالت فاطمة (عليها السلام) : «**من أصعد إلى الله خالص عبادته؛ أهبط الله إليه أفضل مصلحته**»[٥].

١٢ ـ عن ليث بن أبي سليم عن عبدالله بن الحسن عن اُمّه فاطمة بنت الحسين عن أبيها عن اُمّه فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «**خياركم ألينكم مَناكِبَ، وأكرمهم لنسائهم**»[٦].

١٣ ـ سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه عن المرأة ما هي ؟ قالوا : عورةٌ ، قال:

---

(١) كشف الغمّة ٢: ١٧٦ (ذكر من روىٰ من أولاد الحسن عليه السلام)، الذريّة الطاهرة النبوية: ١٤٩ / ح ١٩٠.

(٢) سؤالات حمزة للدارقطني: ٢٨٠ / ح ٤٠٩، حلية الأولياء ٢: ٤١ (ترجمة فاطمة عليها السلام رقم ١٣٣).

(٣) النور (٢٤) : ٦٣ .

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٠٢ (باب مناقب فاطمة عليها السلام)، كشف اليقين: ٣٥٤ ـ ٣٥٥ / المبحث ٢٠.

(٥) تفسير الإمام العسكري(عليه السلام): ٣٢٧ / ح ١٧٧، عدة الداعي: ٢١٨ (في بيان علاج الرياء)، بحار الأنوار ٦٧: ٢٤٩ / ح ٢٥.

(٦) دلائل الإمامة: ٧٥ ـ ٧٦ / ح ١٥ (مسندها عليها السلام).

فمتى تكون أدنى من ربّها ؟ فلم يدروا، فلمّا سمعت فاطمة (عليها السلام) ذلك قالت : **«أدنى ما تكون من ربّها أن تلزم قعر بيتها**، فـقال رسـول الله (صلى الله عليه وآله) : **إنَّ فـاطمة بـضعة منّي»**(١).

١٤ ـ وعنها سلام الله عليها في حديث طويل ، قـالت : **«يـا رسـول الله! إنَّ سلمان تعجَّب من لباسي ، فو الَّذي بعثك بالحقِّ ما لي ولعليّ منذ خمس سنين إلّا مَسك كبش نعلف عليه بالنهار بعيرنا ، فإذاكان اللّيل افترشناه ، وأنَّ مرفقتنا لَمِن أدم حشوها ليف ، فقال النبيّ (صلى الله عليه وآله) : يا سلمان إنَّ ابنتي لفي الخيل السوابق»**(٢).

١٥ ـ عن عليِّ بن الحسين بن عليّ (عليهما السلام) : **«أنَّ فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) استأذن عليها أعمى فحجبته ، فقال لها النـبيُّ (صلى الله عليه وآله) : لم حـجبته وهـو لا يـراكِ؟ فـقالت : يا رسول الله إن لم يكن يراني فأنا أراه ، وهو يشمّ الريح، فقال النبيُّ (صلى الله عليه وآله) : أشـهد أنّك بضعة منّي»**(٣).

١٦ ـ حدَّثنا يزيد بن سنان ، حدثّنا الحسن بن عليّ الواسطيّ ، حدّثنا بشير ابن ميمون الواسطيّ ، حدَّثنا عـبدالله بـن الحسـن بـن الحسـن بـن عـليّ بـن أبي‌طالب ، قال : حدَّثتني اُمّي فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى بـنت محمّد : إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يعوّذ الحسـن والحسـين ويـعلّمهما هـؤلاء الكلمات كما يعلِّمهما السورة من القرآن ، يقول : **« أعوذ بكلمات الله التامّة من شرِّ كلِّ شيطان وهامَّة ، ومن كلِّ عين لامّة »**(٤).

١٧ ـ عن الزهراء صلوات الله عليها قالت : **«دخل عليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد افترشت فراشي للنوم ، فقال : يا فاطمة لا تنامي إلّا وقد عملت أربـعة : خـتمتِ القـرآن ،**

(١) العُدد القوية: ٢٢٤ / ح١٧، بحار الأنوار ٤٣: ٩١ ـ ٩٢ / ح١٦.
(٢) الدروع الواقعيه: ٢٧٥ (التذكير بالآخرة)، بحار الأنوار ٤٣: ٨٨ / ح٩.
(٣) دعائم الإسلام ٢: ٢١٤ / ح٧٩٢، بحار الأنوار ٤٣: ٩١ / ح١٦.
(٤) الذّرّية الطاهرة ، لابن حمّاد الأنصاريّ الدولابيّ : ١٤٩ / ح١٩١.

وجعلت الأنبياء شفعاءَكِ، وأرضيت المؤمنين عن نفسك ، وحججت واعتمرتِ. قال هـذا وأخذ في الصلاة ، فصبرت حتّى أتمّ صلاته ، قلت : يا رسول الله إنّك أمرت بأربعة لا أقدر عليها في هذا الحال ! فتبسّم (صلى الله عليه وآله) [**وقال**] **: إذا قرأت ﴿قل هو الله أحد﴾ ثلاث مرّات فكأنَّك ختمت القرآن ، وإذا صلّيت عليّ وعلى الأنبياءِ قبلي كُنّا شفعاءَك يوم القيامة ، وإذا استغفرت للمؤمنين رضوا كلُّهم عنك ، وإذا قلت : سبحان الله والحمد لله ولا اله إلّا الله والله أكبر ، فقد حججت واعتمرتِ»**[1].

١٨ ـ في حديث طويل قالت (عليها السلام) : «**يا أبت فديتك ما الّذي أبكاك ؟**» فذكر لها ما نزل به جبرئيل من الآيتين المتقدِّمتين ﴿ **وإنَّ جهنَّم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكلِّ باب منهم جزء مقسوم** ﴾[2] فسقطت فاطمة (عليها السلام) على وجـهها وهي تقول : «**الويل ثمَّ الويل لمن دخل النار**»[3] .

٥ ـ الحكم والسياسة والتأريخ :

١ ـ والخطبتان اللتان نقلناهما عنها تفصحان عن بُعد نظرها وسعة أفقها فيما يخصّ: الثورة النبويّة المباركة، ومستقبلها، والجاهلية التي سبقت البعثة المباركة، وما سيترتّب علىٰ انحراف القيادة الإسلامية عن مسارها الصحيح .

فراجعهما ولاحظهما مرةً أُخرىٰ بإمعان .

٢ ـ إخبارات غيبيّة : عن فاطمة الصغرى بنت الحسين رضي الله عنهما، عن أبيها ، عن جدَّتها فاطمة الكبرىٰ بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قـالت : «**قـال لي رسول الله** (صلى الله عليه وآله) **: يدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات ، لم يبلغهم الأوّلون ، ولم يدركهم**

---

(١) خلاصة الأذكار : ٧٠، صحيفة الزهراء(عليها السلام): ١٦٥ ـ ١٦٦ / ح٣٧.

(٢) الحجر (١٥) : ٤٣ ـ ٤٤ .

(٣) الدروع الواقية: ٢٧٥ (التذكير بالآخرة)، بحار الأنوار ٤٣: ٨٨ / ح ٩.

الآخرون»[١].

٣ ـ إسرار النبيّ لها صلوات الله عليهما عن عائشة قالت : أقبلت فاطمة تمشي ، كأنَّ مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : مرحباً بابنتي ؛ ثمَّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثمَّ إنَّه أسرَّ إليها حديثاً ، فبكت ، فقلت لها : استخصَّك رسول الله (صلى الله عليه وآله) حديثه ثمَّ تبكين ! ثمّ إنَّه أسرَّ إليها حديثاً فضحكت ، فقلت: **ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن ! فسألتها عمّا قال ، فقالت : ماكنت لأفشي سرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؛ حتّى إذا قبض النبيُّ (صلى الله عليه وآله) سألتها ، فقالت : إنّه أسرَّ إليَّ فقال : إنّ جبرئيل (عليه السلام) كان يعارضني بالقرآن في كلِّ عام مرَّةً ، وإنَّه عارضني به العام مرَّتين ، ولا أراه إلّا قد حضر أجلي ، وإنك أوَّل أهل بيتي لحوقاً بي ، ونعم السلف أنا لك ، فبكيت لذلك، ثمَّ قال: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الأُمَّة ـ أو نساء المؤمنين ـ ؟**[٢] **قالت : فضحكت لذلك**[٣] .

١٩ ـ عن عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت : لمّا مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ دعا ابنته فاطمة فسارّها ، فبكت ، ثمَّ سارّها فضحكت ، فسألتها عن ذلك ، فقالت : **أمّا حين بكيت فإنّه أخبرني أنّه ميّت ، فبكيت ، ثمَّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به فضحكت**[٤] .

* * *

(١) دلائل الإمامة: ٧٢ / ح ١١ (مسندها عليها السلام)، مقاتل الطالبيين: ١٣١ (ذكر عليّ بن الحسين عليه السلام) .
(٢) الظاهر أن الترديد من عائشة .
(٣) مسند أحمد ٦: ٢٨٢ (أحاديث فاطمة عليها السلام)، المعجم الكبير ٢٢: ٤١٨ (ما روت عائشة عن فاطمة عليها السلام).
(٤) المصدر السابق : ٢٨٣ (أحاديث فاطمة عليها السلام).

نماذج من أدعيتها

كانت (عليها السلام) إذا جنّ الليل تقوم في محرابها صافّةً قدميها منقطعةً إلىٰ ربّها مصليةً مناجيةً متهجدةً تدعو الله سبحانه بلسان الخائف الذليل المنقطع، وتقول في دعائها : **« اللهمّ إنّي أسألك قوةً في عبادتك ، وتبصّراً في كتابك ، وفهماً في حكمك، اللهمّ صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد ، ولا تجعل القرآن بنا ماحلاً ، والصراط زائلاً ومحمّداً (صلى الله عليه وآله) عنا مولّياً ».**

ومن دعائها أيضاً :

١ ـ **« اللهمّ اجعل أوّل يومي هذا فلاحاً ، وأوسطه صلاحاً ، وآخره نجاحاً، اللّهمّ صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد، واجعلنا ممن أناب إليك فَقبلته ، وتوكّل عليك فكفيته ، وتضرّع إليك فرحمته»**[1].

٢ ـ **« اللّهمّ إنّي أسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفافَ والغنىٰ ، والعمل بما تحبّ وترضىٰ ، اللّهمّ إنّي أسألك من قوّتك لضعفنا، ومن غناك لفقرنا وفاقتنا، ومن حلمكَ وعلمكَ لجهلنا ، اللّهمّ صلِّ علىٰ محمّد وآل محمّد، وأعنّا علىٰ شكرك وذكرك وطاعتك وعبادتك يا أرحم الراحمين »**[2].

٣ ـ دعاء النور المعروف عنها :

«بسم الله النور ، بسم الله نور النور ، بسم الله نور علىٰ نور ، بسم الله الذي هو مدبّر

---

(١) بحار الأنوار ٨٧: ٣٣٨ ـ ٣٣٩، صحيفة الزهراء(عليها السلام): ١٤٨ ـ ١٤٩ / ح٢٨ و ٢٩.

(٢) بحار الأنوار ٨٧: ٣٣٩ / صحيفة الزهراء(عليها السلام): ١٥٢ / ح٣٢.

الأُمور ، بسم الله الذي خلق النور من النور ، الحمد لله الذي خلق النور من النور ، وأنزل النور علىٰ الطور ، في كتاب مسطور ، في رقّ منشور ، بقدر مقدور ، علىٰ نبيّ محبور ، الحمد لله الذي هو بالعزّ مذكور ، وبالفخر مشهور، وعلىٰ السرّاء والضرّاء مشكور، وصلّىٰ الله علىٰ سيدنا محمدٍ وآله الطاهرين»[1] .

* * *

(١) الدعوات للراوندي: ٢٠٨ / ح ٥٦٤، بحار الأنوار ٤٣: ٦٧ / ح ٥٩.

أدب السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

بالرغم من أنّ فاطمة (عليها السلام) توفّيت ولها ثماني عشرة سنة فإنّ النصوص المؤرّخة تشير إلى أنّها ـ مثل سائر المعصومين (عليهم السلام) ـ توفّرت على إلقاء وتدوين ما يرتبط بمبادئ الشريعة الإسلامية، وأنّها (عليها السلام) في لقاءاتها مع العنصر النسوي كانت تتكفّل بالإجابة على أسئلتهنّ ، وأنّها بعامة أثر عنها من النصوص ما يفصح عن شخصيّتها العلميّة والأدبيّة، ولعلّ النماذج التي نقلها المؤرّخون بالنسبة إلى النصوص الخطابية التي ارتجلتها تفصح بوضوح عن الطابع الأدبي المحكم في خطاباتها،فهناك خطبتان مأثورتان عن فاطمة (عليها السلام) فيما ارتجلت أُولاهما بمحضر من النساء « بعد وفاة النبيّ(صلى الله عليه وآله) » والأُخرىٰ ارتجلتها بمحضر من شخصيّات المهاجرين والأنصار ...* .

وقد ذكرنا نص الخطبتين بعد أحداث رحلة النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، وعلّق الدكتور محمود البستاني على هذا النص الفني قائلاً : « لقد بدأت الخطبة بتمجيد الله تعالى وهو أُسلوب قد اختطّه النبيّ وفصّله الإمام عليّ (عليه السلام) حيث يلاحظ أنّ فاطمة(عليها السلام) قد أفادت من جانب من النبيّ والإمام عليّ (عليه السلام) أُسلوبياً ، واختطت منحىً فنياً خاصاً من جانب آخر ، إنّها تسلسلت موضوعياً من الحمد ، فالشكر ، فالثناء على معطيات الله تعالى، ثم صفاته تعالى ، ثم نبوّة أبيها فمعطيات ذلك ، ثم اتّجهت إلى الموضوع الرئيس وسردت قائمة

(*) تقدم الكلام في الفصل السابق وأشرنا هناك الى مصادر الخطبتين.

بالمعطيات النفسية والعبادية، وهكذا وصلت بين النبوّة وبين معطياتها اجتماعياً، بين المقدمة وبين الموضوع ، فجاءت الخطبة خاضعةً عمارياً لخطوط هندسية متواشجة فيما بينها، وأمّا الأدوات الفنية التي توكّأت عليها فتتمثّل في حشدٍ ملحوظ من العنصر (الصوري) وفي عناية ملحوظة بالعنصر الإيقاعي فضلاً عن العنصر اللفظي، من تقابل وتماثل وتتابع وتكرار وقسم...»[(١)].

هذا عن النثر، وأمّا أدبها المنظوم فنذكر نماذج منه :

١ ـ لمّا دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقبلتْ على أنس بن مالك فقالت : «**يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثّوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) التراب ؟**» ثمّ بكت ورثته قائلةً :

أغبرّ آفاق السماء وكوّرت ... شمس النهار وأظلم العصران

فالأرض من بعد النبيّ كئيبة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكلّ يمان

يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه ... صلّى عليك منزل القرآن

ثمَّ أخذت قبضةً من تراب القبر فجعلتها على عينيها ووجهها، ثمَّ أنشأت تقول :

ماذا على من شمَّ تربة أحمد ... أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا

صُبّت عليَّ مصائب لو أنّها ... صُبَّت على الأيّام عُدن لياليا[(٢)]

٢ ـ وقالت أيضاً في رثائه (صلى الله عليه وآله) :

قل للمغيَّب تحت أطباق الثرىٰ ... إن كنت تسمع صرختي وندائيا

صُبَّت عليَّ مصائب لو أنّها ... صُبَّت على الأيّام صِرن لياليا

---

(١) راجع للتفصيل ، تاريخ الأدب العربي : ٢٥٧ ـ ٢٦٢ (أدب فاطمة عليها السلام).

(٢) عيون الأثر ٢: ٤٣٤ (ذكر مصيبة الأولين والآخرين من المسلمين بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله).

قــد كـنتُ ذات حـمىً بـظلِّ مـحمّد لا أخــتشي ضــيماً وكــان جــماليا
فــاليوم أخشــع للــذليل وأتّــقي ضــيمى وأدفــع ظــالمي بـردائـيا
فــإذا بكت قــمريّة فــي ليــلها شــجناً عـلى غـصن بكـيت صـباحيا
فــلأجعلنّ الحــزن بــعدك مـونسي ولأجــعلنّ الدمــع فــيك وشــاحيا
مــاذا عــلى مـن شـمّ تـربة أحـمد أن لا يشــمّ مـدى الزمـان غـواليـا[1]

٣ ـ وعن محمَّد بن المفضَّل قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: جاءت فاطمة(٣) إلى سارية في المسجد وهي تقول وتخاطب النبيّ(صلى الله عليه وآله):

قــد كــان بــعدك أنــباء وهــنبثة لو كــنت شـاهدَها لم تكـثر الخـطب
إنّــا فــقدناك فــقد الأرض وابــلَها واخــتلَّ قـومك لمّـا غـبت وانـقلبوا
أبــدت رجــال لنـا فـحوى صـدورهم لمــا قـضيت وحـالت دونك التـرب[2]

* * *

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١: ٢٠٨ (مناقب فاطمة عليها السلام).
(٢) كشف الغمّة ٢: ١١٣ (ذكر خطبة الزهراء عليها السلام).

الرواة والمحدّثون عن فاطمة الزهراء (عليها السلام)

قلنا : إنّ الزهراء فاطمة (عليها السلام) كانت ربيبة العلم والتُـقىٰ، وعـرفنا أنّ لهـا كتاباً يدعىٰ « المصحف » اختص به أهل البيت (عليهم السلام) وقد كانت معنيّة بنشر العلم وإنفاقه بالإضافة إلى اهتمامها بتربية أبنائها ومن خَدَمها فـي بـيتها كـاُمّ أيمن وفضّة التي لم تكن تتكلم إلّا بالقرآن (بما يقرب من عشرين سنة) .

وممّا يدلنا على اهتمامها ببذل العلم كثرة الرواة عنها صـلوات الله عـليها وإليك قائمة بأسمائهم :

١ ـ ابن أبي مليكة .
٢ ـ أبو أيوب الأنصاري .
٣ ـ أبو سعيد الخدري .
٤ ـ أبو هريرة .
٥ ـ أسماء بنت عميس .
٦ ـ اُمّ كلثوم .
٧ ـ بشير بن زيد .
٨ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري .
٩ ـ الحسن بن عليّ (عليه السلام) .
١٠ ـ الحسين بن عليّ (عليه السلام) .
١١ ـ الحكم بن أبي نعيم .
١٢ ـ ربعي بن خراش .
١٣ ـ زينب بنت أبي رافع .

١٤ ـ زينب بنت عليّ (عليها السلام) .

١٥ ـ سلمان الفارسي .

١٦ ـ سهل بن سعد الأنصاري .

١٧ ـ شبيب بن أبي رافع .

١٨ ـ العباس بن عبد المطلب .

١٩ ـ عبدالله بن الحسن .

٢٠ ـ عبدالله بن العباس .

٢١ ـ عبدالله بن مسعود .

٢٢ ـ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

٢٣ ـ عليّ بن الحسين (عليه السلام) .

٢٤ ـ عوانة بن الحكم .

٢٥ ـ فاطمة بنت الحسين (عليه السلام).

٢٦ ـ القاسم بن أبي سعيد الخدري .

٢٧ ـ هارون بن خارجة .

٢٨ ـ هشام بن محمّد .

٢٩ ـ يزيد بن عبد الملك[١] .

* * *

(١) راجع للتفصيل : مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام) للشيخ عزيز الله العطاردي : ٥٩٠ ـ ٦٠٢ .

فهرس المصادر

ـ أ ـ

١ ـ **الآحاد والمثاني**، ابن أبي عاصم الضحّاك المتوفى (٢٨٧ هـ)، دار الدراية، ط الأُولى (١٤١١ هـ).

٢ ـ **الاحتجاج على أهل اللجاج**، أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب المتوفى (٥٦٠ هـ)، دار النعمان، النجف الأشرف، ط سنة (١٣٨٦ هـ).

٣ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، دار المفيد بيروت، ط الثانية (١٤١٤ هـ).

٤ ـ **الأربعون حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين** عليه‌السلام، سليمان بن عبدالله الماحوزي المتوفّىٰ (١٠٧٥ هـ)، مطبعة الأمير، قم، ط الأُولى (١٤١٧ هـ).

٥ ـ **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبرّ القرطبي المتوفى (٤٦٣ هـ)، دار الجيل، بيروت، ط (١٤١٢ هـ).

٦ ـ **الاستغاثة**، أبو القاسم الكوفي عليّ بن أحمد بن موسى ابن الإمام الجواد المتوفى (٣٥٢ هـ)، دار الكتب العلمية، قم، ط الأُولى.

٧ ـ **الأسرار الفاطمية**، محمّد فاضل المسعودي (معاصر)، مؤسسة الزائر، قم، ط الثانية (١٤٢٠ هـ).

٨ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأُولى (١٤١٥ هـ).

٩ ـ **أعلام الدين في صفات المؤمنين**، أبي محمّد الحسن بن أبي الحسن محمّد

الديلمي من علماء القرن الثامن، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ط الثانية (١٤١٤هـ).

١٠ ـ **إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ**، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ط الأُولى (١٤١٧هـ).

١١ ـ **الأغاني**، عليّ بن الحسين بان ألفرج الإصفهاني المتوفى (٣٥٦ هـ)، دار الفكر، بيروت ط الأُولى (١٤٠٧ هـ).

١٢ ـ **الأمالي**، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن حسين القمي المعروف بالصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، مؤسسة البعثة، قم، ط الأُولى (١٤١٧ هـ).

١٣ ـ **الأمالي**، أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان المفيد المتوفى (٤١٣ هـ)، دار المفيد، بيروت، ط الثانية (١٤١٤ هـ).

١٤ ـ **الأمالي**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط الثانية (١٤١٤ هـ).

١٥ ـ **الإمام عليّ بن أبي طالب سيرة وتاريخ**، محمّد حسن آل ياسين (معاصر).

١٦ ـ **الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)**، أبو محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى (٢٧٦ هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم، ط الأُولى (١٤١٣ هـ).

١٧ ـ **الإمام عليّ بن أبي طالب (أعلام الهداية ـ ٢)**، مجمع جهانى أهل البيت عليهم السلام .

١٨ ـ **إمتاع الأسماع**، تقي الدين أحمد بن عليّ المقريزي المتوفى (٨٤٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأُولى (١٤٢٠ هـ).

١٩ ـ **الأنوار في مولد النبيّ صلى الله عليه وآله المختار**، أحمد بن عبدالله بن محمّد البكري المتوفى (٩٥٣ هـ).

٢٠ ـ **أهل البيت** عليهم السلام، توفيق أبو علم (معاصر).

ـ ب ـ

٢١ ـ **بحار الأنوار**، العلّامة محمّد باقر المجلسي المتوفى (١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط الأُولى (١٤٠٣ هـ).
٢٢ ـ **البداية والنهاية**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى (٧٧٤ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأُولى (١٤٠٨ هـ).
٢٣ ـ **بشارة المصطفى**، أبو جعفر محمّد بن عليّ الطبري الإمامي المتوفى (٥٢٥ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط (١٤٢٠ هـ).
٢٤ ـ **بصائر الدرجات**، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار القمي المتوفى (٢٩٠ هـ)، منشورات الأعلمي، طهران، ط سنة (١٤٠٤ هـ).
٢٥ ـ **بلاغات النساء**، أبو محمّد أحمد بن طيفور البغدادي المتوفى (٣٨٠ هـ)، مكتبة بصيرتي، قم.

ـ ت ـ

٢٦ ـ **تاج المواليد** (مجموعة نفيسة)، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، مكتبة السيّد المرعشي، قم، ط سنة (١٤٠٦ هـ).
٢٧ ـ **تاريخ الأئمة المعصومين** (مجموعة نفيسة)، من أثر القدماء العلماء الإمامية الثقات (الكاتب البغدادي)، مكتبة السيّد المرعشي، قم، ط سنة (١٤٠٦ هـ).
٢٨ ـ **تاريخ الأدب العربي في المنهج الإسلامي**، الدكتور محمود البستاني (معاصر)، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ط سنة (١٤٠١ هـ).
٢٩ ـ **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب المتوفى (٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط الأُولى.

٣٠ـ تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى (٩١١ هـ).

٣١ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأُمم والملوك)، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٣٢ـ تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى (٥٧١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط سنة (١٤١٥هـ).

٣٣ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي المتوفى (٢٨٤ هـ)، دار صادر بيروت.

٣٤ـ تأويل الآيات الطاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين عليّ الحسيني المتوفّى (٩٦٥ هـ)، مدرسة الإمام المهدي ط الأُولى (١٤٠٧ هـ).

٣٥ـ تخريج الأحاديث، جمال الدين الزيلعي المتوفى (٧٦٢ هـ)، دا ابن خزيمة، الرياض، ط الأُولى (٤١٤ هـ).

٣٦ـ تذكرة الخواص، أبو المظفر يوسف سيد قزاوغلي بن عبدالله سبط ابن الجوزي المتوفى (٦٥٤ هـ)، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، ط الأُولى (١٤٢٦ هـ).

٣٧ـ تفسير الإمام العسكري، المنسوب الى الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام المتوفى (٢٦٠ هـ).

٣٨ـ تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)، أبي إسحاق أحمد بن إبراهيم المعروف بالإمام الثعلبي المتوفى (٤٢٧ أو ٤٣٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأُولى (١٤٢٢ هـ).

٣٩ـ تفسير جوامع الجامع، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط الأُولى (١٤٢١ هـ) .

٤٠ ـ **تفسير الصافي**، محسن الفيض الكاشاني المتوفى (١٠٩١ هـ)، مكتبة الصدر، طهران، ط الثانية (١٤١٦ هـ).

٤١ ـ **تفسير العيّاشي**، أبو نضر محمّد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي المتوفى (٣٢٠ هـ)، المكتبة العلمية، طهران.

٤٢ ـ **تفسير فرات الكوفي**، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي المتوفى (٣٥٢ هـ)، وزارة الثقافة، طهران، ط الأُولى (١٤١٠ هـ).

٤٣ ـ **تفسير القرآن**، عبدالرزاق همام بن نافع الصنعاني الحميري المتوفى (٢١٢هـ)، مكتب الرشد، الرياض، ط الأُولى (١٤١٠ هـ).

٤٤ ـ **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**، محمّد أحمد القرطبي المتوفى (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (١٤٠٥ هـ).

٤٥ ـ **تفسير القمي**، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمي المتوفى (٣٢٩ هـ)، مؤسسة دار الكتاب، قم، ط الثالثة (١٤٠٤ هـ).

٤٦ ـ **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (تفسير الفخري الرازي)**، محمّد بن عمر فخر الدين الرازي المتوفى (٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية.

٤٧ ـ **تفسير مجاهد**، أبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكّي المخزومي المتوفى (١٠٤ هـ)، مجمع الحبوث الإسلامية، إسلام آباد.

٤٨ ـ **تفسير نور الثقلين**، عبد عليّ بن جمعة العروسي الحويزي المتوفى (١١١٢هـ)، مؤسسة إسماعيليان، قم، ط الرابعة (١٤١٢ هـ).

٤٩ ـ **تمهيد الأوائل**، أبوبكر محمّد بن الطيّب الباقلاني المتوفى (٤٠٣ هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الثانية (١٤١٤ هـ).

٥٠ ـ **التمهيد**، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبرّ القرطبي (ابن عبدالبرّ) المتوفى (٤٦٣ هـ)، وزارة عموم الأوقات، المغرب سنة (١٣٨٧ هـ).

٥١ ـ تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، الحافظ الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ)، دار الوطن، الرياض، ط سنة (١٤٢١ هـ).
٥٢ ـ تهذيب الكمال، يوسف بن عبدالرحمن المزّي المتوفى (٧٤٢ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأُولى (١٤١٣ هـ).
٥٣ ـ تهذيب الأحكام، أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط الثانية (١٣٦٤ هـ).

ـ ث ـ

٥٤ ـ الثاقب في المناقب، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن حمزة الطوسي المتوفى (٥٦٠ هـ)، أنصاريان، قم، ط الثانية (١٤١٢ هـ).
٥٥ ـ الثقات، محمّد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي المتوفى (٩٥٤ هـ)، مؤسسة الكتب العثمانية، الهند، ط الأُولى (١٣٩٣ هـ).
٥٦ ـ الثغور الباسمة في مناقب السيّدة فاطمة عليها السلام، جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت (١٤٠٥ هـ).

ـ ج ـ

٥٧ ـ جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، جعفر محمّد بن جرير الطبري المتوفى (٣١٠ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط (١٤١٥ هـ).
٥٨ ـ جامع السعادات، المولى أحمد النراقي المتوفى (١٢٤٥ هـ)، دار النعمان، النجف الأشرف، ط الرابعة.
٥٩ ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، أبو عيسى بن محمّد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي المتوفى (٢٧٩ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط الثانية (١٤٠٣ هـ).

٦٠ـ **الجامع الصغير**، جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط الأُولى (١٤٠١ هـ).

ـ ح ـ

٦١ـ **حلية الأبرار**، السيّد هاشم بن سليمان الكتكاني البحراني المتوفى (١١٠٧هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط الأُولى (١٣٩٦ هـ).

٦٢ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني المتوفى (٤٣٠ هـ)، دار الكتب العربي، بيروت، ط الخامسة (١٤٠٧ هـ).

ـ خ ـ

٦٣ـ **الخصائص الفاطمية**، المولى باقر بن المولى إسماعيل الكجوري المتوفى (١٣١٣ هـ)، الشريف الرضي، قم، ط سنة (١٣٨٠ ش).

٦٤ـ **الخرائج والجرائح**، أبو الحسين سعيد بن عبدالله الراوندي المعروف بقطب الدين الراوندي المتوفى (٥٧٣ هـ)، مؤسسة الإمام المهدي(عج)، قم، ط الأُولى (١٤٠٩ هـ).

٦٥ـ **خلاصة الأذكار**، ملا محسن الفيض الكاشاني المتوفى (١٠٩١ هـ)، ط حجرية، طهران.

ـ د ـ

٦٦ـ **الدرّ المنثور في التفسير المأثور**، عبدالرحمٰن أبي بكر السيوطي المتوفى (٩١١هـ)، دار المعرف، بيروت.

٦٧ـ **الدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم** عليهم السلام، جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي العاملي المشغري المتوفى (٦٦٤ هـ)، مؤسسة نشر الإسلامي، قم.

٦٨ ـ **الدروع الواقية**، جمال العارفين رضي الدين السيّد عليّ بن موسى بن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ط الأُولى (١٤١٤ هـ).

٦٩ ـ **دعائم الإسلام**، أبي حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور التميمي المغربي المتوفى (٣٦٣ هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط الثانية.

٧٠ ـ **الدعوات**، قطب الدين الراوندي المتوفى (٥٧٣ هـ)، مدرسة الإمام المهدي(عج)، قم، ط الأُولى (١٤٠٧ هـ).

٧١ ـ **دلائل الإمامة**، محمّد بن جرير بن رستم الطبري الشيعي المتوفى أوائل القرن الرابع، مؤسسة البعثة، قم، ط سنة (١٤١٣ هـ).

ـ ذ ـ

٧٢ ـ **ذخائر العقبىٰ**، أحمد بن عبدالله الطبري المتوفى (٦٩٤ هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة ط (١٣٥٦ هـ).

٧٣ ـ **الذرّية الطاهرة النبويّة**، أبو بشر محمّد بن أحمد ابن حمّاد الأنصاري الرازي الدولابي المتوفى (٣١٠ هـ)، دار السلفية، الكويت، ط الأُولى (١٤٠٧هـ).

٧٤ ـ **ذمّ الكلام وأهله**، أبو إسماعيل عبدالله بن محمّد بن عليّ بن محمّد بن أحمد الأنصاري الهروي المتوفى (٤٨١ هـ)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة، ط الأُولى (١٤١٨ هـ).

ـ ر ـ

٧٥ ـ **الروض الفائق في المواعظ والرقائق**، الشيخ شعيب عبدالله بن سعد بن عبدالكافي المصري الحريفيس المتوفى (٨٠١ هـ)، مطبعة المصطفىٰ الباب الحلبي.

٧٦ـ **روضة الواعظين**، محمّد بن الفتّال النيسابوري المتوفى (٥٠٨ هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم ط الأُولى.
٧٧ـ **رياحين الشريعة، (فارسي)**، ذبيح الله بن محمّد عليّ بن عليّ أكبر المحلاتي (معاصر).

ـ س ـ

٧٨ـ **سبل الهدىٰ والرشاد**، محمّد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى (٩٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأُولى (١٤١٤ هـ).
٧٩ـ **السقيفة وفدك**، أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري المتوفى (٣٢٣هـ)، شركة الكتبي، بيروت، ط الثانية (١٤١٣ هـ).
٨٠ـ **السنن الكبرىٰ**، أبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي المتوفى (٤٥٨ هـ)، دار الفكر، بيروت.
٨١ـ **سنن أبي داود**، أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني المتوفى (٢٧٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ط الأُولى (١٤١٠ هـ).
٨٢ـ **سنن ابن ماجة**، أبي عبدالله محمّد بن يزيد القزويني ابن ماجة، المتوفى (٢٧٣ هـ)، دار الفكر، بيروت.
٨٣ـ **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ).
٨٤ـ **السنن الكبرىٰ للنسائي**، أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأُولى (١٤١١ هـ).
٨٥ـ **السنة (المسند الكبير)**، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني المتوفى (٢٨٧ هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة (٤١٢ هـ).
٨٦ـ **سيرة الأئمة الاثني عشر**، هاشم معروف الحسني المتوفى (١٤٠٤ هـ)، منشورات الشريف الرضي ط الأُولى (١٤٠١ هـ).

٨٧ ـ **سيرة أعلام النبلاء**، محمّد بن أحمد الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط التاسعة (١٤١٤ هـ).
٨٨ ـ **السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون)**، علي بن برهان الدين الحلبي المتوفى (١٠٤٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط سنة (١٤٠٠ هـ).
٨٩ ـ **السيرة النبوية**، عبدالملك بن هشام بن أيّوب الحميري المتوفى (٢١٣هـ)، مكتبة محمّد عليّ، مصر، ط سنة (١٣٨٣ هـ).
٩٠ ـ **السيرة النبوية**، ابن كثير إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى (٧٤٧ هـ)، دار المعرفة، بيروت ط سنة (١٣٨٦ هـ).
٩١ ـ **سؤالات حمزة**، عليّ بن عمر الدارقطني المتوفى (٣٨٥ هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأُولى (١٤٠٤ هـ).

ـ ش ـ

٩٢ ـ **شجرة طوبى**، الشيخ مهدي بن الهادي المازندراني الحائري المتوفى (١٣٠٠ هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط الخامسة (١٣٨٥ هـ).
٩٣ ـ **شرح نهج البلاغة**، أبي حامد هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي المتوفى (٦٥٦ هـ)، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط (١٩٦١ م).
٩٤ ـ **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار**، القاضي النعمان بن محمّد المغربي المتوفى (٣٦٣ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط الثانية (١٤١٤ هـ).
٩٥ ـ **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل**، عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الحنفي النيسابوري (الحاكم الحسكاني) المتوفى (٤٧٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأُولى (١٤١١ هـ).

- ص -

٩٦ـ **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**، إسماعيل بن الحماد الجوهري المتوفى (٣٩٣ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة (١٤٠٧ هـ).

٩٧ـ **الصراط المستقيم**، أبي محمّد عليّ بن يونس العاملي النباطي البياضي المتوفى (٨٧٧ هـ)، المكتبة المرتضوية لإحياء التراث..

٩٨ـ **صحيح البخاري**، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة الجعفي المتوفى (٢٥٦ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط (١٤٠١ هـ).

٩٩ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن حجاج القشيري النيشابوري المتوفى (٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٠٠ـ **الصواعق المحرقة**، ابن حجر الهيتمي المتوفى (٩٧٤ هـ)، مكتبة القاهرة، القاهرة.

١٠١ـ **صحيفة الزهراء**، جمع جواد الفيومي (معاصر)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط الأُولى.

- ط -

١٠٢ـ **الطبقات الكبرىٰ**، ابن سعد محمّد بن سعد بن منيع الزهري البصري المتوفى (٢٣٠ هـ)، دار صادر، بيروت.

١٠٣ـ **الطرف**، عليّ بن موسى ابن طاووس الحسني المتوفى (٦٦٤ هـ)، طبعة الخيام، قم، ط الأُولى (١٣٩٩ هـ).

١٠٤ـ **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**، عليّ بن موسى ابن طاووس الحسني المتوفى (٦٦٤ هـ).

- ع -

١٠٥ ـ **العُدد القوية لدفع المخاوف اليومية**، رضي الدين عليّ بن يوسف المطهر الحلّي المتوفى (٧٢٦ هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ط الأُولى (١٤٠٨ هـ).

١٠٦ ـ **عدّة الداعي ونجاح الساعي**، أحمد بن فهد الحلّي المتوفى (٨٤١ هـ)، مكتبة وجدان، قم، ط الأُولى.

١٠٧ ـ **العقد الفريد**، أحمّد بن محمّد بن عبدربّه الأندلسي المتوفى (٣٢٨ هـ)، دار الكتب العربي، بيروت، ط سنة (١٣٨٤ هـ).

١٠٨ ـ **علل الشرائع**، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ط (١٣٨٥ هـ).

١٠٩ ـ **العمدة (عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار)**، يحيىٰ بن الحسن الأسدي الحلّي ابن البطريق المتوفى (٦٠٠ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط سنة (١٤٠٧ هـ).

١١٠ ـ **عوالم العلوم والمعارف ومستدركاتها**، العلّامة عبدالله بن نور الله البحراني الإصفهاني (من أعلام القرن ١٢ هـ).

١١١ ـ **عيون الأثر**، ابن سيّد الناس محمّد بن محمّد أبو الفتح المتوفى (٧٣٤ هـ)، مؤسسة عز الدين، بيروت ط سنة (١٤٠٦ هـ).

١١٢ ـ **عيون أخبار الرضا** عليه السلام ، أبو جعفر محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت (١٤٠٤ هـ).

١١٣ ـ **عيون المعجزات**، الشيخ حسين بن عبدالوهاب (من علماء القرن الخامس)، محمّد كاظم الكتبي، النجف الأشرف (١٣٦٩ هـ).

- غ -

١١٤ ـ **الغدير في الكتاب والسنّة والأدب،** عبدالحسين أحمد الأميني التبريزي المتوفى (١٣٩١ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الرابعة (١٣٩٧ هـ).

- ف -

١١٥ ـ **فاطمة الزهراء**عليها السلام ، إبراهيم الأميني (معاصر)، مؤسسة البعثة، طهران (١٤١٠ هـ).

١١٦ ـ **فاطمة الزهراء وتر في غمد،** سليمان الكتاني المسيحي (معاصر).

١١٧ ـ **فتح الباري في شرح صحيح البخاري،** أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني المتوفى (٨٥٢ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية.

١١٨ ـ **فدك في التاريخ،** الشهيد السعيد السيّد محمّد باقر الصدر المتوفى (١٤٠٠هـ)، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط الأُولى (١٤١٥ هـ).

١١٩ ـ **فضائل الخمسة من الصحاح الستة،** السيّد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، المتوفى (١٤١٠ هـ)، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم، ط الأُولى (١٤٢٢هـ) .

١٢٠ ـ **الفضائل،** شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل بن أبي طالب القمّي المتوفى (٦٦٠هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف ط سنة (١٣٨١ هـ).

١٢١ ـ **فضائل أمير المؤمنين**عليه السلام، أبي العبّاس أحمد بن محمّد الكوفي الجارودي (ابن عقدة) المتوفى (٣٣٣ هـ)، المحقق عبدالرزاق فيض الدين، قم، ط الأُولى.

١٢٢ ـ **فضائل الصحابة،** أحمّد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٣ ـ الفصول المهمّة في معرفة الأئمة، عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي المعروف بابن الصبّاغ المتوفى (٨٥٥ هـ)، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط الأُولى (١٤٢٧ هـ).
١٢٤ ـ فضل آل البيت، تقي الدين أحمد بن عليّ المقريزي المتوفى (٨٤٥هـ)، شرح المحقق السيّد عليّ عاشور، قم، ط الأُولى (١٤٢٠ هـ).
١٢٥ ـ فلاح السائل، أبو القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن محمّد ابن طاووس المتوفى (٦٦٤ هـ)، ط حجري (١٣٣٦ هـ).

ـ ق ـ

١٢٦ ـ قرب الإسناد، أبي العبّاس عبدالله بن جعفر الحميري (من علماء القرن الثالث)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ط الأُولى (١٤١٣ هـ).

ـ ك ـ

١٢٧ ـ الكامل في التاريخ، عليّ بن محمّد بن محمّد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير المتوفى (٦٣٠ هـ)، دار صادر، بيروت، ط سنة (١٣٨٦هـ).
١٢٨ ـ الكافي، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفى (٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط الرابعة (١٣٦٢ ش).
١٢٩ ـ الكشّاف عن حقائق وغوامض التأويل، محمّد بن عمر بن محمّد بن أحمد الزمخشري المتوفى (٥٣٨ هـ)، نشر البلاغة، قم، ط الأُولى (١٤١٣ هـ).
١٣٠ ـ كتاب سُليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي المتوفى (٧٦هـ)، المحقّق محمّد باقر الأنصاري.
١٣١ ـ كشف الخفاء ومزيل الألباس، الشيخ إسماعيل بن محمّد العجلوني الحراني المتوفى (١١٦٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة (١٤٠٨هـ)

١٣٢ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمة**، عليّ بن عيسى الإربلي المتوفى (٨٢٦هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط الثانية (١٤٠٥هـ).
١٣٣ـ **كشف المحجّة لثمرة المهجة**، أبي القاسم عليّ بن موسى بن طاووس المتوفى (٦٦٤هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط سنة (١٣٧٠هـ).
١٣٤ـ **كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين**، الحسن بن يوسف المطهر الحلّي المتوفى (٧٢٦هـ).
١٣٥ـ **كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر**، أبي القاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزاز القمي الرازي المتوفى (٤٠٠هـ)، انتشارات بيدار، قم، (١٤٠١هـ).
١٣٦ـ **كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب**، محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفى (٦٥٨هـ)، دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، طهران، ط الثالثة (١٤٠٤هـ).
١٣٧ـ **الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء**، السيّد عبدالحسين شرف الدين الموسوي المتوفى (١٣٧٧هـ)، طبعة النجف الأشرف.
١٣٨ـ **كنز العمّال**، عليّ المتّقي بن حسان الدين الهندي المتوفى (٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت ط (١٤٠٩هـ).

ـ ل ـ

١٣٩ـ **اللؤلؤة المثنية**، الشيخ محمّد بن محمّد بن أحمد الجثني الداغستاني.
١٤٠ـ **لسان العرب**، أبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم ابن منظور التوفى (٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم، ط الخامسة (١٤٠٥هـ).

- م -

١٤١ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي المتوفى (٨٠٧ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١٤٠٨ هـ).

١٤٢ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، أبي عليّ الفضيل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ أو ٥٦٠ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط الأُولى (١٤١٥ هـ).

١٤٣ ـ **المحتضر**، الشيخ حسن بن سليمان الحلّي المتوفى في القرن التاسع، المكتبة الحيدرية، إيران، ط (١٤٢٤ هـ).

١٤٤ ـ **مختصر بصائر الدرجات**، الحسن بن سليمان الحلّي المتوفى في القرن التاسع، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط الأُولى (١٣٧٠ هـ).

١٤٥ ـ **مرآة العقول في شرح أخبار الرسول**، محمّد باقر المجلسي المتوفى (١١١١هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران .

١٤٦ ـ **مروج الذهب**، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي المتوفى (٣٤٦ هـ)، دا الفكر، بيروت، ط الأُولى (١٤٢١ هـ).

١٤٧ ـ **المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي‌طالب**، محمّد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي المتوفى (أوائل القرن الرابع الهجري)، مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم (١٤١٥ هـ).

١٤٨ ـ **مسائل عليّ بن جعفر ومستدركاتها**، عليّ ابن الإمام الصادق عليه السلام المتوفى (١٤٧هـ)، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد، ط الأُولى (١٤٠٩ هـ) .

١٤٩ ـ **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبدالله محمّد بن محمّد الحاكم النيسابوري المتوفى (٤٠٥ هـ)، دار الفكر، بيروت ط الأُولى.

١٥٠ ـ **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى (٢٤١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط الأُولى.

١٥١ ـ **مسند ابن راهويه**، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي المتوفى (٢٣٨ هـ)، مكتبة الإيمان، المدينة المنورّة، ط الأُولى (١٤١٢هـ).

١٥٢ ـ **مسند أبي داود الطيالسي**، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري المشهور بأبي داود الطيالسي المتوفى (٢٠٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط الأُولى.

١٥٣ ـ **مسند أبي يعلىٰ الموصلي**، الحافظ إسماعيل بن محمّد بن الفضل التميمي المتوفى (٣٠٧ هـ)، دار المأمون للتراث، بيروت، ط الأُولى (١٤٠٧ هـ).

١٥٤ ـ **مسند الشهاب**، القاضي أبي عبدالله محمّد بن سلامة القضاعي المتوفى (٤٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأُولى (١٤٠٣ هـ).

١٥٥ ـ **مسند فاطمة الزهراء**، عزير الله العطاردي (معاصر).

١٥٦ ـ **مسكن الفؤاد**، الشهيد الثاني الشيخ زين الدين عليّ بن أحمد الجبعي العاملي المتوفى (٩٦٥ هـ)، مؤسسة آل البيت، قم، ط الأُولى (١٤٠٧ هـ).

١٥٧ ـ **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار**، أبي الفضل عليّ الطبرسي المتوفى في القرن السابع، دار الحديث، إيران، ط الأُولى (١٤٠١ هـ).

١٥٨ ـ **مصباح الشريعة**، المنسوب الى الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام المتوفى (١٤٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط سنة (١٤٠٠ هـ).

١٥٩ ـ **المصنف**، أبي بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الصنعاني الحِميَري المتوفى (٢١١ هـ)، منشورات المجلس العلمي.

١٦٠ ـ **المصنف في الأحاديث والآثار**، الحافظ عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة إبراهيم ابن عثمان المتوفى (٢٣٥ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط الأُولى (١٤٠٩هـ).

١٦١ ـ **مصباح المتهجّد**، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ) ط حجرية.

١٦٢ ـ **معالم المدرستين**، السيّد مرتضى العسكري المتوفى (١٤٢٨ هـ).

١٦٣ ـ **معاني الأخبار**، أبي جعفر محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط الأُولى (١٣٧٩ هـ).
١٦٤ ـ **المعجم الصغير**، الطبراني المتوفى (٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية.
١٦٥ ـ **المعجم الكبير**، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى (٣٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية (١٤٠٤ هـ).
١٦٦ ـ **مع المصطفى**، الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) (معاصرة)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأُولى (١٣٩٢ هـ).
١٦٧ ـ **مقاتل الطالبيين**، أبي الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد الإصفهاني الأُموي المتوفى (٣٥٦ هـ)، دار الكتاب، قم، ط الثانية (١٣٨٥ هـ).
١٦٨ ـ **مكارم الأخلاق**، أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي المتوفى (٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم ط السادسة (١٣٩٢ هـ).
١٦٩ ـ **مناقب آل أبي طالب**، محمّد بن عليّ بن شهرآشوب السروي المازندراني المتوفى (٥٨٨ هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط الأُولى (١٣٧٦هـ).
١٧٠ ـ **مناقب أمير المؤمنين**، ابن عقدة أحمد بن محمّد بن سعيد الكوفي المتوفى (٣٣٣ هـ).
١٧١ ـ **مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب**، محمّد بن سليمان الكوفي القاضي المتوفى (٣٠٠ هـ)، مجمع إحياء الثقافة، قم، ط الأُولى (١٤١٢ هـ).
١٧٢ ـ **مناقب أهل البيت**، المولى حيدر عليّ بن محمّد الشيرواني المتوفى (١٢٠٠هـ)، المنشورات الإسلامية، بيروت ط (١٤١٤ هـ).
١٧٣ ـ **مناقب عليّ بن أبي طالب** عليه السلام، أبي بكر أحمد بن بن موسى بن مردويه الإصفهاني المتوفى (٤١٦ هـ)، دار الحديث، قم، ط الثانية (١٤٢٤ هـ).

١٧٤ ـ **مناقب عليّ بن أبي طالب**عليه السلام، عليّ بن محمّد الواسطي الشافعي ابن المغازلي المتوفى (٤٨٣ هـ)، دار الأضواء، بيروت (١٤٠٦ هـ).
١٧٥ ـ **من لا يحضره الفقيه**، أبي جعفر محمّد بن عليّ الصدوق المتوفى (٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط الأُولى (١٣٧٩ هـ).
١٧٦ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، محمّد بن أحمد الذهبي المتوفى (٧٤٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط الأُولى (١٣٨٢ هـ).
١٧٧ ـ **المناقب**، الموفق بن أحمد بن محمد المكّي الخوارزمي المتوفى (٥٦٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط الثانية (١٤١٤ هـ).

ـ ن ـ

١٧٨ ـ **النصّ والاجتهاد**، السيّد عبدالحسين شرف الدين المتوفى (١٣٧٧ هـ)، المحقق أبو مجتبىٰ، قم، ط الأُولى (١٤٠٤ هـ).
١٧٩ ـ **نظم درر السمطين في فضائل المصطفى**صلى الله عليه وآله **والمرتضىٰ والبتول والسبطين**عليهم السلام، محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي المدني المتوفى (٧٥٠ هـ)، مكتبة الإمام أمير الميؤمنين عليه السلام، ط الأُولى (١٣٧٧ هـ).
١٨٠ ـ **نوادر المعجزات**، محمّد بن جرير بن رستم الطبري المتوفى أوائل القرن الرابع، مؤسسة الإمام المهدي(عج)، قم، ط الأُولى (١٤١٠ هـ).
١٨١ ـ **نهج البلاغة، خطب وحكم أمير المؤمنين**، جمعه ورتّبه الشريف المرتضى محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي المتوفى (٤٠٦ هـ)، دار الذخائر، قم، ط الأُولى (١٤١٢ هـ).

- هـ -

١٨٢ـ **الهداية الكبرى**، أبي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي المتوفى (٣٣٤هـ)، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط الرابعة (١٤١١ هـ).

- و -

١٨٣ـ **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين أبو الصفا خليل بن إيبك بن عبدالله الصفدي الشافعي المتوفى (٧٦٤ هـ).

- ي -

١٨٤ـ **ينابيع المودّة لذوي القربى**، سليمان بن إبراهيم القندوزي المتوفى (١٢٩٤هـ)، دار الأُسوة، قم، ط الأُولى (١٤١٦ هـ).

الفهرس

فهرس اجمالي ٥
كلمة المجمع ٧
مقدّمة المؤلف.. ٩

الباب الأوّل

الفصل الأوّل: الزهراء عليها السلام في سطور ١٩
الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيّة الزهراء عليها السلام ٢٣
الزهراء في آيات الذكر الحكيم ٢٣
١ ـ الزهراء عليها السلام كوثر الرسالة ٢٤
٢ ـ الزهراء عليها السلام في سورة الدهر ٢٥
٣ ـ الزهراء عليها السلام في آية التطهير ٢٧
٤ ـ مودّة الزهراء عليها السلام أجر الرسالة........................ ٢٨
٥ ـ الزهراء عليها السلام في آية المباهلة ٢٩
الزهراء عليها السلام عند سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله ٣١
الزهراء عليها السلام عند الأئمة والصحابة والمؤرّخين ٣٣
الفصل الثالث: مظاهر من شخصيّة الزهراء عليها السلام ٣٧
١ ـ علمها ومعرفتها........................ ٣٩
٢ ـ مكارم أخلاقها........................ ٤٠
٣ ـ جودها وإيثارها ٤٢
٤ ـ إيمانها وتعبّدها لله........................ ٤٥
٥ ـ حنُوّها وشفقتها........................ ٤٧
٦ ـ جهادها المتواصل........................ ٤٨

الباب الثاني

الفصل الأوّل: نشأة الزهراء فاطمة عليها السلام ٥٣
١ ـ شخصية السيّدة خديجة «أُمّ فاطمة عليها السلام» ٥٣
نشاطها التجاري ٥٤
٢ ـ زواج النبيّ صلى الله عليه وآله واقترانه بخديجة ٥٦
مكانة خديجة عليها السلام لدىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله ٥٩
٣ ـ الأمر الإلهي في خلق فاطمة عليها السلام ٦١
٤ ـ أُنس خديجة بفاطمة عليها السلام ٦٣
٥ ـ فاطمة الوليدة ٦٤
٦ ـ تاريخ الولادة ٦٥
الفصل الثاني: مراحل حياة الزهراء عليها السلام ٦٩
الفصل الثالث: الزهراء عليها السلام مع أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ٧١
فاطمة عليها السلام في مرحلة الطفولة ٧١
١ ـ فاطمة عليها السلام في شِعب أبي طالب عليه السلام ٧٢
٢ ـ وفاة السيّدة خديجة وعام الحزن ٧٣
٣ ـ انفراد الزهراء عليها السلام بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ٧٤
٤ ـ فاطمة الممتحنة ٧٦
٥ ـ هجرتها عليها السلام إلىٰ المدينة ٧٩
٦ ـ الزهراء عليها السلام في المدينة ٨١
٧ ـ محاولات خطبتها عليها السلام ٨٤
٨ ـ عليّ عليه السلام يتقدّم لخطبة الزهراء عليها السلام ٨٥
٩ ـ أمر زواجها من السماء ٨٧

١٠ ـ خطبة العقد ٨٨
١١ ـ مهرها وجهازها.. ٨٩
١٢ ـ مقدّمات الزفاف ووليمة العرس ٩١
١٣ ـ مراسم ليلة الزفاف.................................. ٩٤
١٤ ـ زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله للزهراء في صبيحة عرسها ٩٧
١٥ ـ تاريخ الزواج.. ٩٩
مميّزات زواج الزهراء عليها السلام بعليّ عليه السلام........................ ١٠٠
من الزواج إلىٰ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ١٠١
١ ـ الزهراء عليها السلام في بيت الزوجيّة.......................... ١٠١
أ ـ إدارة شؤون البيت والحياة الشاقة ١٠٣
ب ـ طيب معاشرتها للإمام عليّ عليه السلام ١٠٨
ج ـ فاطمة عليها السلام في دور الأُمّ ١١٠
٢ ـ الزهراء عليها السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله في تثبيت دعائم الدولة............ ١١١
أ ـ الزهراء عليها السلام قبل فتح مكّة............................ ١١١
ب ـ الزهراء عليها السلام في فتح مكّة ١١٤
٣ ـ حجة الوداع والأيّام الأخيرة............................ ١١٦
٤ ـ وصايا الرسول صلى الله عليه وآله في ساعة الوداع ١١٩

الباب الثالث

الفصل الأوّل: الزهراء عليها السلام بعد أبيها والظروف التي مهّدت لانتزاع فدك من الزهراء عليها السلام واستشهادها ١٢٥
١ ـ حدث السقيفة.. ١٢٥

٢ ـ نتائج وافرازات السقيفة........................... ١٣٦
٣ ـ خيارات الحاكمين الجدد بعد مسك السلطة.................. ١٤٠
الخيار الأوّل انتزاع القوّة المالية للإمام عليّ عليه السلام................ ١٤٠
الخيار الثّاني مواجهة معارضة الإمام عليه السلام.................... ١٤١
٤ ـ الخطوات العملية الأُخرىٰ لمواجهة زعماء المعارضة آل محمّد عليهم السلام.. ١٤١
٥ ـ فدك بين النبيّ صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام........................ ١٤٤
٦ ـ الاستيلاء على فدك وإخراج وكيل الزهراء منها............... ١٤٦
٧ ـ خطبة الزهراء عليها السلام في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وادانة المستولين على فدك.. ١٤٩
٨ ـ محاولة أبي بكر لتلطيف الجوّ الساخن.................... ١٥٧
٩ ـ رّد الزهراء على أبي بكر.............................. ١٥٩
١٠ ـ محاولة أبي بكر لإخماد عواطف المسلمين تجاه نصرة الزهراء. ١٥٩
١١ ـ الزهراء تكشف النقاب عن خذلانها..................... ١٦٠
١٢ ـ الزهراء تشكو حال المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وآله............... ١٦٠
١٣ ـ ردّ فعل الخليفة علىٰ خطاب الزهراء عليها السلام.................... ١٦٢
١٤ ـ دفاع أُم سلمة عن حقّ الزهراء عليها السلام...................... ١٦٣
١٥ ـ شكوى الزهراء إلىٰ الإمام عليّ عليه السلام........................ ١٦٤
١٦ ـ الزهراء عليها السلام تعلن مقاطعتها للحاكمين..................... ١٦٤
١٧ ـ المعنىٰ الرمزي والسياسي لفدك........................ ١٦٥
١٨ ـ خيارات الإمام عليّ عليه السلام تجاه الوضع الجديد................ ١٦٩
١٩ ـ قرار المواجهة السلمية ودور الزهراء عليها السلام................... ١٦٩

٢٠ ـ تقييم الحركة الفاطمية: ١٧٣
٢١ ـ الهجوم علىٰ دار الزهراء عليها السلام ١٧٦
٢٢ ـ المواجهة مع الزهراء عليها السلام ١٨٠
٢٣ ـ كلام الزهراء في حقّ الإمامة وظلامة أهل البيت ١٨٢
٢٤ ـ السيّدة فاطمة عليها السلام في أيّامها الأخيرة ١٨٤
الفصل الثاني: مرض الزهراء عليها السلام واستشهادها ١٨٧
١ ـ فاطمة عليها السلام علىٰ فراش المرض ١٨٧
٢ ـ عيادة النساء للسيّدة فاطمة عليها السلام ١٨٨
٣ ـ خطبة الزهراء في نساء المهاجرين والأنصار ١٨٩
٤ ـ عيادة أبي بكر وعمر بن الخطاب للزهراء عليها السلام ١٩٥
٥ ـ الساعات الأخيرة قبل الرحيل ١٩٦
٦ ـ وصيّة الزهراء عليها السلام للإمام عليّ عليه السلام ١٩٨
٧ ـ أوّل نعش أُحدث في الإسلام ١٩٩
٨ ـ لحظات عمرها الأخيرة ٢٠٠
٩ ـ مراسم التشييع والدفن ٢٠٢
١٠ ـ تأبين الإمام عليّ عليه السلام للزهراء عليها السلام ٢٠٣
١١ ـ محاولة نبش القبر ٢٠٥
١٢ ـ تاريخ شهادتها عليها السلام ٢٠٦
الفصل الثالث: تراث الزهراء عليها السلام ٢٠٩
مصحف فاطمة عليها السلام ٢١٢
نماذج مختارة من مسند فاطمة عليها السلام ٢١٣
١ ـ اهتمامها بالعلم وتدوين السنة ٢١٣

٢ ـ التعريف بأهل البيت ٢١٤
٣ ـ مصادر التشريع الإسلامي وفلسفته وأُصوله ٢٢٤
٤ ـ الأخلاق والآداب والسلوك ٢٢٦
٥ ـ الحكم والسياسة والتأريخ ٢٣١
نماذج من أدعيتها ٢٣٣
أدب السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام ٢٣٥
الرواة والمحدّثون عن فاطمة الزهراء عليها السلام ٢٣٨
فهرس المصادر ٢٤١
الفهرس التفصيلي ٢٦١